مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء السادس

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق بما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

العماد الأصفهاني

﴿ ١ – إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ * ﴾

إسحاق الموصلى

كُنْيَتُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَكَانَ الرَّشِيدُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُولَعَ بِهِ، كَنَّاهُ أَبَا صفوَانَ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَكَانُهُ مِنَ الْأَدَبِ

(*) ترجم له فى وفيات الاعيان بترجمة مطولة صفحة ٦٥ جزء أول، نكتفى منها بما لم يذكره ياقوت :

أبو محمد، إسحاق بن إبراهيم، بن ماهان، بن بهمن، بن نسك التميمى، بالولاء، الأرجانى الاصل، المعروف بابن النديم الموصلى.

كان من ندماء الخلفاء، وله الظرف المشهور، والخلاعة والغناء، اللذان تفرد بهما، وكان من العلماء باللغة، والاشعار، وأخبار الشعراء، وأيام الناس، وروى عنه مصعب بن عبد الله الزبيرى، والزبير بن بكار، وغيرهما، وكانت له يد طولى فى الحديث، والفقه، وعلم الكلام. قال محمد بن عطية العطوى الشاعر : كنت فى مجلس القاضى يحيى بن أكثم، فوافى إسحاق ابن إبراهيم الموصلى، وأخذ يناظر أهل الكلام، حتى انتصف منهم، ثم تكلم فى الفقه فأحسن وقاس واحتج، وتكلم فى الشعر واللغة، ففاق من حضر، ثم أقبل على القاضى يحيى فقال له : — أعز الله القاضى — أفى شيء مما ناظرت فيه وحكيته نقص أو مطعن ؟؟ قال لا . قال : فما بالى أقوم بسائر هذه العلوم قيام أهلها، وأنسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه يعنى الغناء، قال العطوى : فالتفت إلى القاضى يحيى، وقال لى: الجواب فى هذا عليك، وكان العطوى من أهل الجدل، فقال للقاضى يحيى نعم : — أعز الله القاضى — الجواب على، ثم أقبل على إسحاق، فقال : يا أبا محمد، أنت كالفراء والاخفش فى النحو ؟ فقال لا . فقال : فأنت فى اللغة ومعرفة الشعر كالاصمعى، وأبى عبيدة ؟ قال لا . قال : فأنت فى علم الكلام، كأبى الهذيل العلاف، والنظام البلخى ؟ قال لا . قال : فأنت فى الفقه كالقاضى : وأشار إلى القاضى يحى ؟ قال لا . قال : فأنت فى الشعر كأبى العتاهية، وأبى نواس ؟ قال لا . قال : فمن هنا نسبت إلى ما نسبت إليه، لانه لا نظير لك فيه، وأنت فى غيره دون رؤساء أهله، فضحك وقام وانصرف .

—

وَالشِّعْرِ ، لَوْ أَرَدْنَا اسْتِيعَابَهُ ، طَالَ الْكِتَابُ وَخَرَجْنَا عَنْ غَرَضِنَا مِنَ الاخْتِصَارِ ، وَمَنْ وَقَفَ عَلَى الْأَخْبَارِ ، وَتَتَبَّعَ الْآثَارَ ، عَلِمَ مَوْضِعَهُ ، وَأَمَّا الْغِنَاءُ فَكَانَ أَصْغَرَ عُلُومِهِ ، وَأَدْنَى مَا يُوصَفُ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ الْغَالِبَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي سَائِرِ عُلُومِهِ نُظَرَاءُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي هَذَا نَظِيرٌ ، لَحِقَ فِيهِ مَنْ مَضَى ، وَسَبَقَ مَنْ بَقِيَ ، فَهُوَ إِمَامُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَهَ النَّاسِ لِلْغِنَاءِ

—فقال القاضي يحيي للمطوى : لقد وفيت الحجة حقها ، وفيها ظلم قليل لاسحاق ، وإنه ممن يقل في الزمان نظيره ، وذكر صاحبنا عماد الدين ، أبو المجد إسماعيل ، بن باطيش الموصلي ، في كتابه الذى سماه التميز والفصل : أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، كان مليح المحاورة والنادرة ، ظريفاً فاضلا ، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ، ومالك ابن أنس ، وهشيم بن بشير ، وأبي معاوية الضرير . وأخذ الأدب عن الأصمعي ، وأبي عبيدة . وبرع في علم الغناء ، فغلب عليه ونسب إليه ، وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه ، وكان المأمون يقول : لولا ما سبق لاسحاق على ألسنة الناس ، واشتهر بالغناء ، لوليته القضاء ، فانه أولى وأعف وأصدق ، وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة ، ولكنه اشتهر بالغناء ، وغلب على جميع علومه ، مع أنه أصغرها عنده ، ولم يكن له فيه نظير ، وكان كثير الكتب ، حتى قال أبو العباس ثعلب : رأيت لاسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب ، وكلها سماعه ، وما رأيت اللغة في منزل أحد قط ، أكثر منها في منزل إسحاق ، ثم منزل ابن الاعرابي ، ونقلت من حكاياته أنه قال : كان لنا جار يعرف بأبي حفص ، وينبز باللوطي ، فمرض جار له فعاده ، فقال له : كيف تجدك ؟ أما تعرفني ؟ فقال له المريض بصوت ضعيف : أنت أبو حفص اللوطي ، فقال له : تجاوزت حد المعرفة ، — لا رفع الله جنبك — . وكان المعتصم يقول : ما غناني إسحاق بن إبراهيم قط . الا خيل لي أنه قد زاد في ملكي ، وأخباره كثيرة ، وكان قد عمي في آخر عمره قبل موته بسنتين ، ومولده في سنة —

وَالتَّسَمِّي بِهِ ، وَيَقُولُ : وَدِدْتُ أَنِّي أُضْرَبُ ، - كُلَّمَا أَرَادَ مِنِّي مَنْ يَنْدُبُنِي أَنْ أُغَنِّيَ ، وَكُلَّمَا قَالَ قَائِلٌ : إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ الْمُغَنِّي ، - عَشْرَ مَقَارِعَ ، وَلَا أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَأُعْفَى مِنَ الْغِنَاءِ وَالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : لَوْلَا مَا سَبَقَ لِإِسْحَاقَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ ، وَشُهِرَ بِهِ مِنَ الْغِنَاءِ عِنْدَهُمْ ، لَوَلَّيْتُهُ الْقَضَاءَ بِحَضْرَتِي ، فَإِنَّهُ أَوْلَى بِهِ ، وَأَحَقُّ وَأَعَفُّ ، وَأَصْدَقُ تَدَيُّنًا وَأَمَانَةً مِنْ هَؤُلَاءِ الْقُضَاةِ . قَالَ : بَقِيتُ زَمَانًا مِنْ دَهْرِي أُغَلِّسُ (١) إِلَى هُشَيْمٍ ، فَأَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ ، ثُمَّ أَصِيرُ إِلَى الْكِسَائِيِّ ، فَأَقْرَأُ عَلَيْهِ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَآتِي الْفَرَّاءَ ، فَأَقْرَأُ

— خمسين ومائة ، وهي السنة التي ولد فيها الامام الشافعي ، - رضى الله عنه - ، وتوفى في شهر رمضان ، سنة خمس وثلاثين ومائتين بعلة الزرب ، وقيل في شوال ، سنة ست وثلاثين ، والاول أشهر ، وقيل توفى يوم الخميس بعد الظهر ، لخمس خلون من ذى الحجة ، سنة ست وثلاثين ومائتين — رحمه الله تعالى — . ورثاه بعض أصحابه بقوله :

أصبح اللهو تحت عفر التراب ... ثاوياً في محلة الاحباب
إذ مضى الموصلي وانقرض الأنـ ... ـس ومجت مشاهد الاطراب
بكت الملهيات حزناً عليه ... وبكاه الهوى وصفو الشراب
وبكت آلة المجالس حتى ... رحم العود عودة المضراب

وقيل إن هذه المرثية ، في أبيه إبراهيم ، والصحيح الاول .

وترجم له أيضاً في كتاب مدينة السلام جزء رابع صحيفة ٤٨٠ .

(١) أي أسير وقت الغلس

عَلَيْهِ جُزْءًا ، ثُمَّ آتِي مَنْصُورًا زَلْزَلَ ، فَيُضَارِبُنِي طَرِيقَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ، ثُمَّ آتِي عَاتِكَةَ بِنْتَ شُهْدَةَ ، فَآخُذُ مِنْهَا صَوْتًا أَوْ صَوْتَيْنِ ، ثُمَّ آتِي الأَصْمَعِيَّ فَأُنَاشِدُهُ ، وَآتِي أَبَا عُبَيْدَةَ فَأُذَاكِرُهُ ، ثُمَّ أَصِيرُ إِلَى أَبِي فَأُعْلِمُهُ مَا صَنَعْتُ ، وَمَنْ لَقِيتُ ، وَمَا أَخَذْتُ ، وَأَتَغَدَّى مَعَهُ ، وَإِذَا كَانَ الْعِشَاءُ رُحْتُ إِلَى الرَّشِيدِ .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : خَرَجْتُ مَعَ الرَّشِيدِ (١) ، فَلَقِيتُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ بِهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : هَلْ حَمَلْتَ شَيْئًا مِنْ كُتُبِكَ ؟ فَقَالَ : حَمَلْتُ مَا خَفَّ ، فَقُلْتُ : كَمْ مِقْدَارُهُ ؟ فَقَالَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ صُنْدُوقًا ، فَعَجِبْتُ وَقُلْتُ : إِذَا كَانَ هَذَا مَا خَفَّ ، فَكَمْ يَكُونُ مَا ثَقُلَ ؟ فَقَالَ : أَضْعَافَ ذَلِكَ . وَكَانَ الأَصْمَعِيُّ يَعْجَبُ بِقَوْلِ إِسْحَاقَ :

إِذَا كَانَتِ الأَحْرَارُ أَصْلِي وَمَنْصِبِي
وَدَافِعُ ضَيْمِي خَازِمٌ وَابْنُ خَازِمِ
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ وَتَنَاوَلَتْ
يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِداً غَيْرَ (٢) قَائِمِ

(١) سقط إسم المحل الذى خرجوا اليه ، وهذه الحكاية لم ترد فى الأغانى
(٢) الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « ثم »

وَقَالَ جعفرُ بْنُ قدامةَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنَجِّمُ قَالَ : سَأَلَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ الْمَأْمُونَ أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ إِلَيْهِ ، مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَالرُّوَاةِ ، لَا مَعَ الْمُغَنِّينَ ، فَإِذَا أَرَادَ الْغِنَاءَ غَنَّاهُ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ سَأَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ ، أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ مَعَ الْفُقَهَاءِ ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَكَانَ يَدْخُلُ وَيَدُهُ فِي يَدِ الْقُضَاةِ ، حَتَّى يَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ (١) وَقَالَ : وَلَا كُلُّ هَذَا يَا إِسْحَاقُ ، وَقَدِ اشْتَرَيْتُ مِنْكَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ ، بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ لَهُ بِهَا .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَطِيَّةَ الشَّاعِرِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فِي مَجْلِسٍ لَهُ ، يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِيهِ أَهْلُ الْعِلْمِ ، وَحَضَرَهُ إِسْحَاقُ ، فَجَعَلَ يُنَاظِرُ أَهْلَ الْكَلَامِ حَتَّى انْتَصَفَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي الْفِقْهِ فَأَحْسَنَ وَاحْتَجَّ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي الشِّعْرِ وَاللُّغَةِ ، فَفَاقَ مَنْ حَضَرَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى يَحْيَى ابْنِ أَكْثَمَ وَقَالَ : ـ أَعَزَّ اللهُ الْقَاضِيَ ـ ، أَفِي شَيْءٍ مِمَّا نَاظَرْتُ

(١) سقط هنا جزء من الرواية لا يتم الكلام إلا به ، وهو : فسأل إسحاق المأمون أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة ، والصلاة معه في المقصورة ، فضحك المأمون الخ

فِيهِ تَقْصِيرٌ ؟ قَالَ : لَا وَاللهِ ، قَالَ : فَمَا بَالِي أَقُومُ بِسَائِرِ الْعُلُومِ قِيَامَ أَهْلِهَا ، وَأُنْسَبُ إِلَى فَنٍّ وَاحِدٍ قَدِ اقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ الْعَطَوِيُّ : فَالْتَفَتَ إِلَىَّ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ ، وَقَالَ : جَوَابُهُ فِي هَذَا عَلَيْكَ ، قَالَ : وَكَانَ الْعَطَوِيُّ مِنْ أَهْلِ الْجَدَلِ وَالْكَلَامِ ، فَالْتَفَتُّ إِلَى إِسْحَاقَ ، وَقُلْتُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَخْبِرْنِي إِذَا قِيلَ : مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالشِّعْرِ وَاللُّغَةِ ؟ أَيَقُولُونَ إِسْحَاقُ ، أَمِ الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ؟ فَقَالَ : بَلِ الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، قَالَ . فَإِنْ قِيلَ . مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنَّحْوِ ؟ أَيَقُولُونَ إِسْحَاقُ ، أَمِ الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ ؟ قَالَ . بَلِ الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ : قَالَ : فَإِنْ قِيلَ : مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْأَنْسَابِ ؟ أَيَقُولُونَ إِسْحَاقُ ، أَمِ ابْنُ الْكَلْبِيِّ ؟ قَالَ : بَلِ ابْنُ الْكَلْبِيِّ قَالَ : فَإِنْ قِيلَ : مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْكَلَامِ ؟ أَيَقُولُونَ إِسْحَاقُ ، أَمْ أَبُو الْهُذَيْلِ وَالنَّظَّامُ ؟ قَالَ : بَلْ أَبُو الْهُذَيْلِ ، وَالنَّظَّامُ ، قَالَ : فَإِنْ قِيلَ مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْفِقْهِ ؟ أَيَقُولُونَ إِسْحَاقُ ، أَمْ أَبُو حَنِيفَةَ ، وَأَبُو يُوسُفَ ؟ فَقَالَ : بَلْ أَبُو حَنِيفَةَ

وَأَبُو يُوسُفَ ، قَالَ : فَإِنْ قِيلَ : مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحَدِيثِ ؟ أَيَقُولُونَ إِسْحَاقُ ، أَمْ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيّ ، وَيَحْيَ بْنُ مَعِينٍ ؟ قَالَ : بَلْ عَلِيُّ الْمَدِينِيُّ ، وَيَحْيَ بْنُ مَعِينٍ . قَالَ : فَإِذَا قِيلَ مَنْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْغِنَاءِ ؟ أَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : فُلَانٌ أَعْلَمُ مِنْ إِسْحَاقَ ؟ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : فَمِنْ هُهُنَا نُسِبْتَ إِلَى مَا نُسِبْتَ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَكَ فِيهِ ، وَأَنْتَ فِي غَيْرِهِ لَكَ نُظَرَاءُ ، فَضَحِكَ وَقَامَ وَانْصَرَفَ . فَقَالَ لِي يَحْيَ بْنُ أَكْثَمَ . لَقَدْ وَفَّيْتَ الْحُجَّةَ ، وَفِيهَا ظُلْمٌ قَلِيلٌ لِإِسْحَاقَ ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا مَاثَلَ أَوْزَادَ عَلَى مَنْ فَضَّلْتَهُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَيَقِلُّ فِي الزَّمَانِ نَظِيرُهُ .

وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ جَمَاعَةٍ ، مِنْهُمْ : أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرُ ، وَهُشَيْمٌ ، وَابْنُ عُيَيْنَةَ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَكَانَ مَعَ كَرَاهِيَتِهِ لِلْغِنَاءِ أَحْذَقَ خَلْقِ اللهِ بِهِ ، مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ ، وَأَشَدَّ النَّاسِ بُخْلًا بِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ، حَتَّى عَلَى جَوَارِيهِ وَغِلْمَانِهِ ، وَمَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ ، مُتَعَصِّبًا لَهُ ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ ، وَهُوَ الَّذِي صَحَّحَ أَجْنَاسَ

الْغِنَاءِ وَطَرَائِقَهُ ، وَمَيَّزَهَا تَمْيِيزاً لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَلَا تَعَلَّقَ بِهِ أَحَدٌ بَعْدَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدِيماً مُمَيَّزاً عَلَى هَذَا الْجِنْسِ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ يَأْكُلُ الْمُغَنِّينَ أَكْلًا ، حَتَّى يَحْضُرَ إِسْحَاقُ فَيُدَارِيهِ إِبْرَاهِيمُ ، وَيَطْلُبُ مُكَافَأَتَهُ وَمُعَارَضَتَهُ ، وَلَا يَدَعُ إِسْحَاقَ يَكْبِتُهُ(١) ، وَكَانَ إِسْحَاقُ آفَتَهُ ، كَمَا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً ، وَلَهُ مَعَهُ عِدَّةُ مَشَاهِدَ ، قَالَ إِسْحَاقُ : كُنْتُ يَوْماً عِنْدَ الرَّشِيدِ ، وَعِنْدَهُ نُدَمَاؤُهُ وَخَاصَّتُهُ ، وَفِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ لِي الرَّشِيدُ : يَا(٢) إِسْحَاقُ تَغَنَّ :

شَرِبْتُ مُدَامَةً وَسُقِيتُ أُخْرَى

وَرَاحَ الْمُنْتَشُونَ وَمَا انْتَشَيْتُ

فَغَنَّيْتُهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ ، فَقَالَ : مَا أَصَبْتَ يَا إِسْحَاقُ وَلَا أَحْسَنْتَ ، فَقُلْتُ لَهُ : لَيْسَ

(١) في الاصل هذا « بكته » فأصلح

(٢) وفي الاصل الذي في مكتبة اكسفورد « يأبا اسحاق »

هَذَا مِمَّا تُحْسِنُهُ وَتَعْرِفُهُ ، وَإِنْ شِئْتَ فَغَنِّهِ ، فَإِنْ لَمْ أَجِدْكَ (١) تُخْطِئُ فِيهِ مُنْذُ ابْتِدَائِكَ إِلَى انْتِهَائِكَ ، فَدَمِي حَلَالٌ . ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : هَذِهِ صِنَاعَتِي ، وَصِنَاعَةُ أَبِي ، وَهِيَ الَّتِي قَرَّبَتْنَا مِنْكَ ، وَاسْتَخْدَمَتْنَا إِلَيْكَ ، وَأَوْطَأَتْنَا بِسَاطَكَ ، فَإِذَا نَازَعَنَاهَا أَحَدٌ بِلَا عِلْمٍ ، لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِيضَاحِ وَالذَّبِّ ، فَقَالَ : لَا غَرْوَ ، وَلَا لَوْمَ عَلَيْكَ ، وَقَامَ الرَّشِيدُ لِيَبُولَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ : وَيْلَكَ يَا إِسْحَاقُ ، تَجْتَرِئُ عَلَيَّ وَتَقُولُ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ، فَدَاخَلَنِي مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ تَشْتُمُنِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى إِجَابَتِكَ ، وَأَنْتَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ وَأَخُو الْخَلِيفَةِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَدْ كُنْتُ أَقُولُ لَكَ : يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ، كَمَا قُلْتَ لِي يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ، وَلَكِنَّ قَوْلِي فِي ذَمِّكَ ، يَنْصَرِفُ إِلَى خَالِكَ الْأَعْلَمِ ، وَلَوْلَاكَ لَذَكَرْتُ صِنَاعَتَهُ وَمَذْهَبَهُ . قَالَ إِسْحَاقُ :

(١) فى الاصل : أوجدك انك ، وأصلحت إلى ما ترى

وَكَانَ بَيْطَاراً[١] ، وَعَلِمْتُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَشْكُونِي إِلَى الرَّشِيدِ، وَأَنَّ الرَّشِيدَ سَيَسْأَلُ مَنْ حَضَرَ عَمَّا جَرَى فَيُخْبِرُهُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ الْخِلَافَةَ تَصِيرُ إِلَيْكَ ، فَلَا تَزَالُ تُهَدِّدُنِي بِذَلِكَ ، وَتُعَادِينِي كَمَا تُعَادِي سَائِرَ أَوْلِيَاءِ أَخِيكَ ، حَسَدًا لَهُ وَلِوَلَدِهِ عَلَى الْأَمْرِ ، وَأَنْتَ تَضْعُفُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ ، وَتَسْتَخِفُّ بِأَوْلِيَائِهِمْ تَشَيُّعًا[٢] وَأَرْجُو أَلَّا يُخْرِجَهَا اللهُ تَعَالَى عَنْ يَدِ الرَّشِيدِ وَوَلَدِهِ ، وَأَنْ يَقْتُلَكَ دُونَهَا ، وَإِنْ صَارَتْ إِلَيْكَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ ، فَحَرَامٌ عَلَيَّ الْعَيْشُ يَوْمَئِذٍ ، وَالْمَوْتُ أَطْيَبُ مِنَ الْحَيَاةِ مَعَكَ ، فَاصْنَعْ حِينَئِذٍ مَا بَدَا لَكَ .

فَلَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ ، وَثَبَ إِبْرَاهِيمُ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : شَتَمَنِي وَذَكَرَ أُمِّي ، وَاسْتَخَفَّ بِي ، فَغَضِبَ الرَّشِيدُ وَقَالَ : مَا تَقُولُ وَيْلَكَ ؟ قُلْتُ : لَا أَعْلَمُ ، سَلْ مَنْ حَضَرَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى مَسْرُورٍ وَحُسَيْنٍ الْخَادِمِ فَسَأَلَهُمَا عَنِ الْقِصَّةِ ، فَجَعَلَا يُخْبِرَانِهِ وَوَجْهُهُ يَرْبَدُّ[٣] إِلَى

(١) أى يعالج الدواب ويسمر نعالها

(٢) رواية الاغانى : تشفيا

(٣) أربد الرجل : تغير وجهه وتعبس والربدة : لون يختلط سواده بكدرة

أَنِ انْتَهَيَا إِلَى ذِكْرِ الْخِلَافَةِ ، فَسُرِّيَ (١) عَنْهُ وَرَجَعَ لَوْنُهُ ، وَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ : مَا لَهُ ذَنْبٌ ، شَتَمْتَهُ فَعَرَفَكَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى جَوَابِكَ ، ارْجِعْ إِلَى مَوْضِعِكَ ، وَأَمْسِكْ عَنْ هَذَا ، فَلَمَّا انْقَضَى الْمَجْلِسُ وَانْصَرَفَ النَّاسُ ، أَمَرَ أَلَّا أَبْرَحَ ، وَخَرَجَ كُلُّ مَنْ حَضَرَ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ غَيْرِي ، فَسَاءَ ظَنِّي وَهَمَّتْنِي (٢) نَفْسِي ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي : وَيْحَكَ يَا إِسْحَاقُ ، أَتُرَانِي لَا أَعْرِفُ وَقَائِعَكَ ؟ قَدْ وَاللهِ زَانَيْتَهُ (٣) دَفَعَاتٍ ، وَيْحَكَ لَا تَعُدْ ، وَيْحَكَ حَدِّثْنِي عَنْكَ لَوْ ضَرَبَكَ أَخِي إِبْرَاهِيمُ ، أَكُنْتُ أَقْتَصُّ (٤) لَكَ مِنْهُ ، فَأَضْرِبُهُ ؟ وَهُوَ أَخِي يَاجَاهِلُ ؟ أَتُرَاهُ لَوْ أَمَرَ غِلْمَانَهُ أَنْ يَقْتُلُوكَ فَقَتَلُوكَ ، أَكُنْتُ أَقْتُلُهُ بِكَ ؟ فَقُلْتُ : قَدْ وَاللهِ قَتَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَلَئِنْ بَلَغَهُ لَيَقْتُلَنِّي ، وَمَا أَشُكُّ

---

(١) أى زال مالحقه من غضب

(٢) أى قلقت وحزنت

(٣) فى الاصل : زنيته ، فأصلحتها الى زانيته ، بمعنى نسبته الى الزنا ، ويقال أزناه نسبه إلى الزنا « عبد الخالق »

(٤) آخذ منه القصاص

فِي أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ الْآنَ ، فَصَاحَ بِمَسْرُورٍ الْخَادِمِ وَقَالَ : عَلَيَّ بِإِبْرَاهِيمَ السَّاعَةَ ، وَقَالَ لِي : قُمْ فَانْصَرِفْ ، فَقُلْتُ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الْخَدَمِ ، وَكُلُّهُمْ كَانَ لِي مُحِبًّا ، وَإِلَيَّ مَائِلًا ، أَخْبِرُونِي بِمَا يَجْرِي ، فَأَخْبَرُونِي مِنْ غَدٍ : أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَبَّخَهُ وَجَهَّلَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لِمَ تَسْتَخِفُّ بِخَادِمِي ؟ وَصَنِيعَتِي ، وَنَدِيمِي ، وَابْنِ خَادِمِي ، وَصَنِيعَةِ أَبِي فِي مَجْلِسِي ، وَتَقَدَّمُ عَلَيَّ وَتَصْنَعُ فِي مَجْلِسِي ، وَحَضْرَتِي ، هَاهِ هَاهِ ، تَقْدُمُ عَلَى هَذَا وَأَمْثَالِهِ ، وَأَنْتَ مَالَكَ وَالْغِنَاءُ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَاهُوَ ؟ وَمَنْ أَخَذَ لَحْنَهُ وَطَارَحَكَ إِيَّاهُ ، حَتَّى تَظُنَّ أَنَّكَ تَبْلُغُ مِنْهُ مَبْلَغَ إِسْحَاقَ ، الَّذِي غُذِّيَ بِهِ ، وَهُوَ صِنَاعَتُهُ ، ثُمَّ تَظُنُّ أَنَّكَ تُخَطِّئُهُ فِيمَا لَا تَدْرِيهِ ، وَيَدْعُوكَ إِلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْكَ ، فَلَا تَثْبُتُ لِذَلِكَ ، وَتَعْتَصِمُ بِشَتْمِهِ ، أَلَيْسَ هَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى السُّقُوطِ ، وَضَعْفِ الْعَقْلِ ، وَسُوءِ الْأَدَبِ ، مِنْ دُخُولِكَ فِيمَا لَا يُشْبِهُكَ ، ثُمَّ إِظْهَارِكَ إِيَّاهُ وَلَمْ تُحْكِمْهُ ، أَلَيْسَ تَعْلَمُ وَيْحَكَ ؟ أَنَّ هَذَا سُوءُ رَأْيٍ وَأَدَبٍ ، وَقِلَّةُ مَعْرِفَةٍ وَمُبَالَاةٍ بِالْخَطَأِ ، وَالتَّكْذِيبِ وَالرَّدِّ الْقَبِيحِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ وَاللَّهِ

الْعَظِيمِ ، وَحَقِّ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ - وَإِلَّا فَأَنَا نَفِيٌّ(١) مِنْ أَبِي - لَئِنْ أَصَابَهُ سُوءٌ ، أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِ حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ سَقَطَ مِنْ دَابَّتِهِ ، أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِ سَقْفٌ ، أَوْ مَاتَ فَجْأَةً ، لَأَقْتُلَنَّكَ بِهِ - وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَأَنْتَ أَعْلَمُ - فَلَا تَعْرِضْ لَهُ ، قُمِ الْآنَ فَاخْرُجْ ، فَخَرَجَ وَقَدْ كَادَ يَمُوتُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَإِبْرَاهِيمُ عِنْدَهُ ، فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، فَجَعَلَ الرَّشِيدُ يَنْظُرُ إِلَيَّ مَرَّةً ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ أُخْرَى ، وَيَضْحَكُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ مَحَبَّتَكَ لِإِسْحَاقَ ، وَمَيْلَكَ إِلَيْهِ ، وَالْأَخْذَ عَنْهُ ، وَإِنَّ هَذَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ كَمَا تُرِيدُ ، إِلَّا أَنْ يَرْضَى ، وَالرِّضَا لَا يَكُونُ بِمَكْرُوهٍ ، وَلَكِنْ أَحْسِنْ إِلَيْهِ وَأَكْرِمْهُ ، وَبِرَّهُ وَصِلْهُ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، ثُمَّ خَالَفَ مَا تَهْوَاهُ ، عَاقَبْتَهُ بِيَدٍ مُنْبَسِطَةٍ ، وَلِسَانٍ مُنْطَلِقٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ إِلَى مَوْلَاكَ وَابْنِ مَوْلَاكَ ، فَقَبِّلْ رَأْسَهُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، وَأَصْلَحَ بَيْنَنَا .

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : حُدِّثْتُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ

---

(١) يريد : لست لأبى

أَنَا وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ يَوْماً عَلَى الرَّشِيدِ ، فَرَأَيْنَهُ لَقِسَ[(١)] النَّفْسِ، فَأَنْشَدَهُ إِسْحَاقُ :

وَآمِرَةٍ بِالْبُخْلِ قُلْتُ لَهَا اقْصِرِي
فَذَلِكَ شَيْءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

أَرَى النَّاسَ خِلَّانَ الْكِرَامِ وَلَا أَرَى
بَخِيلًا لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ خَلِيلُ

وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ
فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ

وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ الْفَتَى قَدْ عَلِمْتُهُ
إِذَا نَالَ يَوْماً أَنْ يَكُونَ يُنِيلُ

فَعَالِي: فَعَالُ الْمُوسِرِينَ[(٢)] تَكَرُّماً
وَمَالِي : كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ

وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أُحْرَمُ الْغِنَى
وَرَأْيُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلُ

---

(١) أي ضيق النفس (٢) والرواية الشهيرة : المكثرين

قَالَ : فقَالَ الرَّشِيدُ لَأَكْفِيكَ[١] إِنْ شَاءَ اللهُ : ثُمَّ قَالَ : لِلّهِ دَرُّ أَبْيَاتٍ تَأْتِينَا بِهَا ، مَا أَشَدَّ أُصُولَهَا ، وَأَحْسَنَ فُصُولَهَا ، وَأَقَلَّ فُضُولَهَا !!! وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : وَصْفُكَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِشِعْرِى ، أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَعَلَامَ آخُذُ الْجَائِزَةَ ، فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ : اجْعَلُوهَا لِهَذَا الْقَوْلِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَعَلِمْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ إِسْحَاقَ ، أَحْذَقُ بِصَيْدِ الدَّرَاهِمِ مِنِّى .

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ : قَالَ لِىَ الرَّشِيدُ يَوْمًا : بِأَىِّ شَىْءٍ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟ قُلْتُ : يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ تَقْبِضُ عَلَى الْبَرَامِكَةِ ، وَتُوَلِّى الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ الْوِزَارَةَ ، فَغَضِبَ وَصَاحَ ، وَقَالَ : وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ ؟ فَأَمْسَكْتُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ دَعَا بِنَا ، فَكَانَ أَوَّلَ شَىْءٍ غَنَّيْتُهُ :

إِذَا نَحْنُ صَدَقْنَاكَ[٢]   فَضَرَّ عِنْدَكَ الصِّدْقُ
طَلَبْنَا النَّفْعَ بِالْبَاطِـــلِ   إِذْ لَمْ يَنْفَعِ الْحَقُّ

---

(١) هذه طريقة الكوفيين اذا أكدوا الفعل اذ يكتفون باللام بدون نون التوكيد أما البصريون فيوجبون الجمع بين اللام والنون فيقولون لأكفينك « عبد الخالق »

(٢) وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « وقد صددناك »

فَلَوْ قَدَّمَ صَبًّا فِى هَوَاهُ الصَّبْرُ وَالرِّفْقُ
لَقُدِّمْتُ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ الْهَوَى رِزْقُ

وَالشِّعْرُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ . قَالَ : فَضَحِكَ الرَّشِيدُ ، وَقَالَ لِى يَا إِسْحَاقُ : قَدْ صِرْتَ حَقُوداً .

وَحَدَّثَتْ شَهَوَاتُ جَارِيَةُ إِسْحَاقَ ، الَّتِى كَانَ أَهْدَاهَا إِلَى الْوَاثِقِ : أَنَّ مُحَمَّداً الأَمِينَ ، لَمَّا غَنَّى إِسْحَاقُ لَحْنَهُ ، الَّذِى صَنَعَهُ فِى شِعْرِهِ :

يَأَيُّهَا الْقَائِمُ الْأَمِيرُ فَدَتْ
نَفْسَكَ نَفْسِى بِالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
بَسَطْتَ لِلنَّاسِ إِذْ وَلِيتَهُمُ(١)
يَدًا مِنَ الْجُودِ فَوْقَ كُلِّ يَدِ

أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَرَأَيْتُهَا قَدْ أُدْخِلَتْ إِلَى دَارِنَا ، يَحْمِلُهَا مِائَةُ فَرَّاشٍ(٢) .

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ : أَقَامَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ قُدُومِهِ عِشْرِينَ

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « أوليتهم »

(٢) لعل اللفظ مأخوذ من فرش الشىء : بسطه ، وهذه مهنة الخادم ، ومنها الفراشون الذين يقومون بمثل هذا فى الفرح والعزاء ، وعندى أن خادماً هنا أوفق «عبدالخالق»

شَهْراً ، لَمْ يَسْمَعْ حَرْفاً مِنَ الْأَغَانِى ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَغَنَّى بِحَضْرَتِهِ ، أَبُو عِيسَى بْنُ الرَّشِيدِ ، ثُمَّ وَاظَبَ عَلَى السَّمَاعِ ، مُتَسَتِّرًا مُتَشَبِّهاً فِى أَوَّلِ أَمْرِهِ بِالرَّشِيدِ ، فَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ حِجَجٍ [١] ثُمَّ ظَهَرَ لِلنُّدَمَاءِ وَالْمُغَنِّينَ ، وَكَانَ حِينَ أَحَبَّ السَّمَاعَ سَأَلَ عَنِّى ، فَجُرِحْتُ بِحَضْرَتِهِ ، وَقَالَ الطَّاعِنُ عَلَىَّ : مَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِى رَجُلٍ يَتِيهُ عَلَى الْخِلَافَةِ ؟ فَقَالَ : مَا بَقَّى هَذَا شَيْئًا مِنَ التِّيهِ إِلَّا اسْتَعْمَلَهُ ، فَأَمْسَكَ عَنْ ذِكْرِى ، وَجَفَانِى مَنْ كَانَ يَصِلُنِى ، لِسُوءِ رَأْيِهِ الَّذِى ظَهَرَ فِىَّ ، فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِى ، حَتَّى جَاءَنِى عَلُّويَةُ [٢] يَوْماً ، فَقَالَ لِى : أَتَأْذَنُ لِى فِى ذِكْرِكَ ، فَإِنَّا قَدْ دُعِينَا الْيَوْمَ ، فَقُلْتُ : لَا ، وَلَكِنْ غَنِّهِ بِهَذَا الشِّعْرِ ، فَإِنَّهُ سَيَبْعَثُهُ عَلَى أَنْ يَسْأَلَكَ ، لِمَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا سَأَلَكَ ، انْفَتَحَ لَكَ مَا تُرِيدُ ، فَكَانَ الْجَوَابُ ، أَسْهَلَ عَلَيْكَ مِنَ الِابْتِدَاءِ ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ لَحْنِى فِى شِعْرِى :

(١) أى أربع سنين (٢) رأيت من يضبط علويه كما ضبطناه وظنى أنه علويه بفتح العين واللام مخففين ، أو بفتح العين واللام مع شدها وكسرهائه كهاء سيبويه «عبدالخالق»

يَا مَشْرَعَ (١) الْمَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ
أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُودِ ؟
لِحَائِمٍ (٢) حَامَ حَتَّى لَا سَبِيلَ (٣) لَهُ
مُحَلَّأٍ (٤) عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودِ

قَالَ : فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِعَلَوَيْهِ الْمَجْلِسُ ، غَنَّاهُ الشِّعْرَ الَّذِي أَمَرْتُهُ ، فَمَا عَدَا الْمَأْمُونُ أَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ ، حَتَّى قَالَ : وَيْلَكَ يَا عَلَوَيْهِ ، لِمَنْ هَذَا الشِّعْرُ ؟ قُلْتُ : يَاسَيِّدِى لِعَبْدِكَ الَّذِي جَفَوْتَهُ ، وَاطَّرَحْتَهُ لِغَيْرِ جُرْمٍ . فَقَالَ : إِسْحَاقَ تَعْنِى؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : يَحْضُرُنِى السَّاعَةَ ، فَجَاءَنِى رَسُولُهُ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ . اُدْنُ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَادَّهُمَا إِلَيَّ ، فَأَكْبَبْتُ (٥) عَلَيْهِ فَاحْتَضَنَنِى بِيَدَيْهِ ، وَأَظْهَرَ مِنْ بِرِّى وَإِكْرَامِى ، مَا لَوْ أَظْهَرَ صَدِيقٌ مُؤَانِسٌ لِصَدِيقٍ لَسَرَّهُ (٦) .

---

(١) فى الاصل : « ياسرحة » والذى نعرفه مشرع
(٢) حام حول الشىء : دار
(٣) وفى الاصل : حيام ، وفى الاغانى : حوام
(٤) المحلأ : المطرود الذى يمنع عن الماء ، ومطرود صفة مؤكدة لمحلأ
(٥) أكببت : أقبلت والتجأت
(٦) فى الاغانى : « لصديقه لبره »

وَقَالَ إِسْحَاقُ . غَنَّيْتُ الْمَأْمُونَ يَوْماً .

لَأَحْسَنُ مِنْ قَرْعِ الْمَثَانِي وَرَجْعِهَا
تَوَاتُرُ صَوْتِ الثَّغْرِ يُقْرَعُ بِالثَّغْرِ (١)
وَسُكْرُ الْهَوَى أَرْوَى لِعَظْمِي وَمَفْصِلِي
مِنَ الشُّرْبِ بِالْكَاسَاتِ مِنْ عَاتِقِ الْخَمْرِ (٢)

فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَطْيَبَ مِنْ ذَلِكَ وَأَحْسَنَ ؟ الْفَرَاغُ ، وَالشَّبَابُ ، وَالْجِدَةُ .

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ : ذَكَرَ الْمُعْتَصِمُ وَأَنَا بِحَضْرَتِهِ يَوْماً بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ غَابَ عَنْهُ ، فَقَالَ : تَعَالَوْا حَتَّى نَقُولَ مَا يَصْنَعُ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : كَذَا (٣) ، وَقَالَ آخَرُونَ : كَذَا (٤) ، فَبَلَغَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ ، فَقَالَ : قُلْ يَا إِسْحَاقُ ، قُلْتُ : إِذًا أَقُولُ فَأُصِيبُ . قَالَ : أَتَعْلَمُ الْغَيْبَ ؟ قُلْتُ : وَلَكِنِّي أَفْهَمُ مَا يَصْنَعُ ، وَأَقْدِرُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، قَالَ :

(١) يريد صوت القبل (٢) يريد الخمر المعتقة ، فأضاف الصفة إلى الموصوف
(٣) فى الاغانى : يلعب بالنرد (٤) فى الاغانى : يغنى

فَإِنْ لَمْ تُصِبْ ، قُلْتُ : وَإِنْ أَصَبْتُ ، قَالَ : لَكَ حُكْمُكَ ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ ، قُلْتُ لَكَ دَمِي ، قَالَ : وَجَبَ ، قُلْتُ : وَجَبَ ، قَالَ : فَقُلْ ، قُلْتُ يَتَنَفَّسُ ، قَالَ : وَإِنْ كَانَ مَيِّتاً ، قُلْتُ : تَحْفَظُ السَّاعَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتُ فِيهَا ، فَإِنْ كَانَ مَاتَ قَبْلَهَا أَوْ فِيهَا ، فَقَدْ قَمَرْتَنِي،(١) قَالَ : قَدْ أَنْصَفْتَ ، قُلْتُ : فَالْحُكْمُ ، قَالَ : فَاحْتَكِمْ مَا شِئْتَ ، قُلْتُ : مَا حُكْمِي إِلَّا رِضَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَإِنَّ رِضَايَ لَكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، أَتَرَى مَزِيدًا ؟ فَقُلْتُ : مَا أَوْلَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَاكَ ، قَالَ : فَإِنَّهَا مِائَتَا أَلْفٍ ، أَتَرَى مَزِيدًا ؟ فَقُلْتُ مَا أَحْوَجَنِي إِلَى ذَاكَ ، قَالَ فَإِنَّهَا ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفٍ ، أَتَرَى مَزِيدًا ؟ قُلْتُ ، مَا أَوْلَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَاكَ ، فَقَالَ : يَا صَفِيقَ الْوَجْهِ مَا نَزِيدُ عَلَى هَذَا (٢) .

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ : كُنْتُ جَالِساً بَيْنَ يَدَيِ الْوَاثِقِ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ ، إِذْ خَرَجَتْ وَصِيفَةٌ مِنَ الْقَصْرِ ، كَأَنَّهَا خُوطُ (٣) بَانٍ ، أَحْسَنُ مَنْ رَأَتْهُ عَيْنِي ، يَقْدُمُهَا عِدَّةُ وَصَائِفَ ،

(١) أى غلبتنى فى المراهنة (٢) ظننت إذ قرأت هذا ، أن للغلو دخلا فى القول مهما كان الأنس والتبسط ، ولو أن لكل مجلس كان فيه مثل هذا ، « وما أكثر مثل هذا المجلس » لنفد مال الدولة « عبد الخالق » (٣) الخوط : الغصن الناعم

بِأَيْدِيهِنَّ الْمَذَابُّ (١) وَالْمَنَادِيلُ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَرَ دَهَشٍ وَهِيَ تَرْمُقُنِي ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ إِلْحَاحَ نَظَرِي إِلَيْهَا ، قَالَ لِي : مَالَكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، قَدِ انْقَطَعَ كَلَامُكَ ، وَبَانَتِ الْحَيْرَةُ فِيكَ ؟ فَلَجْلَجْتُ (٢) ، فَقَالَ : رَمَتْكَ وَاللهِ هَذِهِ الْوَصِيفَةُ ، فَأَصَابَتْ قَلْبَكَ ، فَقُلْتُ : غَيْرَ مَلُومٍ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : أَنْشِدْنِي شَيْئًا فِي هَذَا الْمَعْنَى ، فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَ الْمَرَّارِ :

أَلِكْنِي (٣) إِلَيْهَا : عَمْرَكَ اللهَ يَافَتَى
بِآيَةِ مَاقَالَتْ : مَتَى أَنْتَ (٤) رَائِحُ
وَآيَةِ مَاقَالَتْ : لَهُنَّ عَشِيَّةً
وَفِي السِّتْرِ : حُرَّاتُ (٥) الْوُجُوهِ مَلَائِحُ
تَخَيَّرْنَ أَرْمَاكُنَّ فَارْمِينَ رَمْيَةً
أَخَا أَسَدٍ إِذْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ (٦)
فَأَرْسَلْتَ مِسْلَاسَ (٧) الْوِشَاحِ كَأَنَّهَا
مَهَاةٌ لَهَا طِفْلٌ بِرُمَّانَ رَاشِحُ (٨)

---

(١) جمع مذبة مثل مايصنع من الشعر ونحمله بيدنا نتقى به مايضار الوجه وغيره من ذباب وبعوض وما أشبه ذلك «عبد الخالق» (٢) تلجلجت : ترددت

(٣) الكنى إليها : أبلغها عنى وتحمل رسالتى إليها (٤) الأغانى : هو . والآية : كالأمارة (٥) جمع حرة (٦) فى الأغانى : طرحته ، والطوائح : المهلكات

(٧) مسلاس الوشاح : لينه مكانة ، من السلس وهو اللين ، ومسلاس صيغة مبالغة

(٨) راشح : ماقوى على المشى

فَقَالَ الْوَاثِقُ : أَحْسَنْتَ وَحَيَاتِي وَظَرُفْتَ ، فَاصْنَعْ فِيهِ لَحْنًا ، فَإِنْ جَاءَ كَمَا أُرِيدُ ، فَالْوَصِيفَةُ لَكَ ، فَصَنَعْتُ فِيهِ لَحْنًا وَغَنَّيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَانْصَرَفْتُ بِالْجَارِيَةِ .

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ : غَنَّيْتُ الْوَاثِقَ فِي شِعْرٍ قُلْتُهُ عِنْدَهُ بِسُرَّ مَنْ رَأَى ، وَقَدْ طَالَ مُقَامِي ، وَاشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَهُوَ :

يَاحَبَّذَا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا بَدَتْ
فِي الصُّبْحِ وَهْيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ
قَدْ حُمِّلَتْ بَرْدَ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ
عَبِقًا مِنَ الْجَثْجَاثِ (١) وَالْبَسْبَاسِ (٢)

فَاسْتَحْسَنَهُ (٣) وَقَالَ : يَا إِسْحَاقُ (٤) ، لَوْ جَعَلْتَ مَكَانَ الْجَنُوبِ شَمَالًا ، أَلَمْ يَكُنْ أَرَقَّ وَأَغْذَى ، وَأَصَحَّ لِلْأَجْسَادِ ، وَأَقَلَّ وَخَامَةً ، وَأَطْيَبَ لِلْأَنْفُسِ ؟ فَقُلْتُ : مَاذَهَبَ عَلَيَّ مَاقَالَهُ

---

(١) شجر مر طيب الرائحة ، وكثيرا ماتذكره العرب فى شعرها مثلا للرائحة الشذية ، كما ضرب هنا مثلا للرائحة الطيبة ، منضما اليه البسباس « عبد الخالق »

(٢) البسباس : بقلة طيبة الرائحة (٣) فى الأغانى : فشرب عليه

(٤) فى الأغانى : يأبا محمد

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَـٰكِنَّ التَّفْسِيرَ فِيمَا بَعْدُ، وَهُوَ :

مَاذَا يُهَيِّجُ لِلصَّبَابَةِ وَالْهَوَى
لِلصَّبِّ بَعْدَ ذُهُولِهِ وَالْيَاسِ

فَقَالَ الْوَاثِقُ : فَإِنَّمَا اسْتَطَبْتَ مَايَجِىءُ بِهِ الْجَنُوبُ، لِنَسِيمِ بَغْدَادَ، لَا لِلْجَنُوبِ[١] وَإِلَيْهِمُ اشْتَقْتَ لَا إِلَيْهَا، فَقُلْتُ : أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُمْتُ فَقَبَّلْتُ يَدَهُ، فَضَحِكَ وَقَالَ : قَدْ أَذِنْتُ لَكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَامْضِ رَاشِداً، فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ : مَاوَصَلَنِي أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ، بِمِثْلِ مَاوَصَلَنِي بِهِ الْوَاثِقُ، وَلَا كَانَ أَحَدٌ يُكْرِمُنِي إِكْرَامَهُ، وَلَقَدْ غَنَّيْتُهُ :

لَعَلَّكَ إِنْ طَالَتْ حَيَاتُكَ أَنْ تَرَى
بِلَاداً بِهَا مَبْدًى لِلَيْلَى[٢] وَمَحْضَرُ

---

(١) فى الاغانى : من نسيم أهل بغداد لا الجنوب

(٢) وفى النسخة التى فى مكتبة اكسفورد : لليالى

فَاسْتَعَادَهُ مِنِّي جُمْعَةً [١] لَا يَشْرَبُ عَلَى غَيْرِهِ ، ثُمَّ وَصَلَنِي بِثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَقَدْ اسْتَقْدَمَنِي إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ لِي : وَيْحَكَ يَا إِسْحَاقُ ، أَمَا اشْتَقْتَ إِلَيَّ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى وَاللهِ يَاسَيِّدِي ، وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ أَبْيَاتًا ، إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْشَدْتُكَ إِيَّاهَا ، قَالَ : هَاتِ ، فَأَنْشَدْتُهُ :

أَشْكُو إِلَى اللهِ بُعْدِي عَنْ خَلِيفَتِهِ
وَمَا أُعَالِجُ مِنْ سُقْمٍ وَمِنْ كِبَرِ
لَا أَسْتَطِيعُ رَحِيلًا إِنْ هَمَمْتُ بِهِ
يَوْمًا إِلَيْهِ وَلَا أَقْوَى عَلَى السَّفَرِ
أَنْوِي الرَّحِيلَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَمْنَعُنِي
مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ فِي بَصَرِي

وَإِنَّمَا قَالَ : مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ فِي بَصَرِي ، لِأَنَّ إِسْحَاقَ لَمَّا كَبِرَ ضَعُفَ بَصَرُهُ ، ثُمَّ أَضَرَّ [٢] وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي إِنْشَادِ قَصِيدَةٍ مَدَحْتُهُ بِهَا ، فَأَذِنَ لِي فَأَنْشَدْتُهُ :

---

(١) فى الاغانى : ليلة (٢) أى عمى

لَمَّا أَمَرْتَ بِإِشْخَاصِي [١] إِلَيْكَ هَفَا
قَلْبِي حَنِيناً إِلَى أَهْلِي وَأَوْلَادِي
ثُمَّ اعْتَزَمْتُ وَلَمْ أَحْفِلْ بِبَيْنِهِمُ
وطَابَتِ النَّفْسُ عَنْ فَضْلٍ وَحَمَّادِ
فَلَوْ شَكَرْتُ أَيَادِيكُمْ وَأَنْعُمَكُمْ
لَمَا أَحَاطَ بِهَا وَصْفِي وَتَعْدَادِي

فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : لِعَلِيِّ بْنِ يَحْيَى ، وَقَدْ أُخْبِرَ بِهَذَا الْخَبَرِ ، أَخْبِرْنِي : لَوْ قَالَ الْخَلِيفَةُ أَحْضِرْنِي فَضْلاً وَحَمَّادًا ، أَلَيْسَ كَانَ إِسْحَاقُ يَفْتَضِحُ مِنْ دَمَامَةِ خِلْقَتِهِمَا ، وَتَجَلُّفِ [٢] شَاهِدِهِمَا .

قَالَ إِسْحَاقُ : وَانْحَدَرْتُ مِنْهُ إِلَى النَّجَفِ ، فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : قَدْ قُلْتُ فِي النَّجَفِ قَصِيدَةً . قَالَ هَاتِهَا : فَأَنْشَدْتُهُ :

---

(١) اشخاصى : احضارى . هفا : هوى وحن ومال

(٢) أى جفافهما وغلظتهما

يَا رَاكِبَ الْعِيسِ لَا تَعْجَلْ بِنَا وَقِفِ
نُحَيِّ دَارًا لِسُعْدَى ثُمَّ نَنْصَرِفِ

حَتَّى انْتَهَيْتُ فِيهَا إِلَى قَوْلِي :

لَمْ يَنْزِلِ النَّاسُ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ
أَصْفَى هَوَاءً وَلَا أَغْذَى مِنَ النَّجَفِ(١)
حُفَّتْ بِبَرٍّ وَبَحْرٍ فِي جَوَانِبِهَا
فَالْبَرُّ فِي طَرَفٍ وَالْبَحْرُ فِي طَرَفِ
وَمَا يَزَالُ نَسِيمٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ
يَأْتِيكَ مِنْهَا بِرَيَّا(٢) رَوْضَةٍ أُنُفِ

ثُمَّ مَدَحْتُهُ فَقُلْتُ :

لَا يَحْسَبُ الْجُودَ يُفْنِي مَالَهُ أَبَدًا
وَلَا يَرَى بَذْلَ مَا يَحْوِى مِنَ السَّرَفِ

وَمَضَيْتُ فِيهَا حَتَّى أَتْمَمْتُهَا ، فَطَرِبَ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ

(١) موضع بين البصرة والبحرين

(٢) أى رائحة ويقال : روضة أنف ويراد أنها نقية الهواء ، لم يطرقها طارق ، فهى بعيدة عما يقلل بهاءها

وَاللهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، وَكَنَّانِي يَوْمَئِذٍ ، وَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَانْحَدَرْتُ مَعَهُ إِلَى الصَّالِحِيَّةِ ، الَّتِي يَقُولُ فِيهَا أَبُو نُوَاسٍ :

فَالصَّالِحِيَّةُ مِنْ أَطْرَافِ كَلْوَاذَى

فَذَكَرْتُ الصِّبْيَانَ وَبَغْدَادَ ، فَقُلْتُ :

أَتَبْكِي عَلَى بَغْدَادَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ
فَكَيْفَ إِذَا مَا ازْدَدْتَ مِنْهَا غَدًا بُعْدًا
لَعَمْرُكَ مَا فَارَقْتُ بَغْدَادَ عَنْ قِلًى
لَوَ أَنَّا وَجَدْنَا مِنْ فِرَاقٍ لَهَا بُدًّا
إِذَا ذَكَرَتْ بَغْدَادَ نَفْسِي تَقَطَّعَتْ
مِنَ الشَّوْقِ أَوْ كَادَتْ تَهِيمُ بِهَا وَجْدًا
كَفَى حَزَنًا أَنْ رُحْتُ لَمْ أَسْتَطِعْ لَهَا
وَدَاعًا وَلَمْ أُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا عَهْدًا

فَقَالَ لِي يَا مَوْصِلِيُّ : اشْتَقْتَ إِلَى بَغْدَادَ ؟ فَقُلْتُ :

لَا وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ الصِّبْيَانِ ، وَقَدْ حَضَرَنِي بَيْتَانِ فَأَنْشَدْتُهُ :

حَنَنْتَ إِلَى أُصَيْبِيَةٍ صِغَارٍ
وَشَاقَكَ مِنْهُمُ قُرْبُ الْمَزَارِ
وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ الشَّوْقُ يَوْماً
إِذَا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

فَقَالَ لِي يَا إِسْحَاقُ : سِرْ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَقِمْ مَعَ عِيَالِكَ شَهْراً ، ثُمَّ صِرْ إِلَيْنَا ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَحَدَّثَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ إِسْحَاقَ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْماً دَارَ الْوَاثِقِ بِاللهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، إِلَى مَوْضِعٍ أُمِرَ أَنْ أَدْخُلَهُ إِذَا كَانَ جَالِساً ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ عُودٍ مِنْ بَيْتٍ وَتَرَنُّماً ، لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهُ قَطُّ ، فَأَطْلَعَ خَادِمٌ رَأْسَهُ وَصَاحَ ، فَدَخَلْتُ ، وَإِذَا الْوَاثِقُ ، فَقَالَ لِي : أَيَّ شَيْءٍ سَمِعْتَ ؟ فَقُلْتُ : الطَّلَاقُ كَامِلاً لَازِمٌ لِي ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ ، لَقَدْ سَمِعْتُ مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ حُسْناً ، فَضَحِكَ

وَقَالَ : مَا هُوَ الْأَفْضَلُ ؟ أَدَبٌ وَعِلْمٌ مَدَحَهُ الْأَوَائِلُ ، وَاشْتَهَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّابِعُونَ بَعْدَهُمْ ، وَكَثُرَ فِي حَرَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمُهَاجِرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَتُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَهُ ؟ قُلْتُ : إِي وَالَّذِي شَرَّفَنِي بِخِطَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَجَمِيلِ رَأْيِهِ ، وَقَالَ يَا غُلَامُ : هَاتِ الْعُودَ ، وَأَعْطِ إِسْحَاقَ رِطْلًا ، فَدَفَعَ الرِّطْلَ إِلَيَّ ، وَضَرَبَ وَغَنَّى فِي شِعْرٍ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، بِلَحْنٍ صَنَعَهُ فِيهِ :

أَضْحَتْ قُبُورُهُمُ مِنْ بَعْدِ عِزِّهِمُ
تَسْفِي عَلَيْهَا الصَّبَا وَالْحَرْجَفُ[1] الشَّمَلُ
لَا يَدْفَعُونَ هَوَاماً عَنْ وُجُوهِهِمُ
كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ بِالْقَاعِ مُنْجَدِلُ[2]

فَشَرِبْتُ الرِّطْلَ ، ثُمَّ قُمْتُ وَدَعَوْتُ لَهُ ، فَأَجْلَسَنِي وَقَالَ : أَتَشْتَهِي أَنْ تَسْمَعَ ثَانِيَةً ؟ قُلْتُ : إِي وَاللهِ ، فَغَنَّانِيهِ

(١) الحرجف : الرياح (٢) منجدل : مرمي بالارض

ثَانِيَةً ، وَثَالِثَةً ، وَصَاحَ بِبَعْضِ خَدَمِهِ ، وَقَالَ : احْمِلْ إِلَى إِسْحَاقَ السَّاعَةَ ، ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْحَاقُ : قَدْ سَمِعْتَ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ : وَشَرِبْتَ ثَلَاثَةَ أَرْطَالٍ وَأَخَذْتَ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَانْصَرِفْ إِلَى أَهْلِكَ مَسْرُوراً ، لِيُسَرُّوا مَعَكَ ، فَانْصَرَفْتُ بِالْمَالِ .

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : جَاءَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ [١] يَوْماً مُسَلِّماً ، فَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ أَمَرَنِي أَنْ أُبَكِّرَ إِلَيْهِ لِنَصْطَبِحَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ صَبُوحَ [٢] الْفَضْلِ غَبُوقُ [٣] غَيْرِهِ ، فَأَقِمْ عِنْدِي نَشْرَبْ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ :

أَقِمْ يَا أَبَا الْعَوَّامِ وَيْحَكَ نَشْرَبِ
وَنَلْهُ مَعَ اللَّاهِينَ يَوْماً وَنَطْرَبِ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ قَدْ بَانَ خَيْرُهُ
فَخُذْهُ بِشُكْرٍ وَاتْرُكِ الْفَضْلَ يَغْضَبِ [٤]

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « حمان » (٢) أى الشرب أول النهار
(٣) أى الشرب آخر النهار (٤) جعلنا الروى محركا بالكسر للتخلص من الساكنين، لما جزم الفعل جواباً للطلب، وان شئت رفعته، وكانت الجملة حالا « عبد الخالق »

قَالَ : فَأَقَامَ عِنْدِي وَسُرِرْنَا يَوْماً ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الْفَضْلِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِهِ عَنْهُ ، فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ ، وَأَنْشَدَهُ الشِّعْرَ ، فَعَتَبَ عَلَيَّ ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ عَنِّي ، وَأَمَرَ عَوْناً حَاجِبَهُ أَلَّا يُدْخِلَنِي ، وَلَا يَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ ، وَلَا يُوَصِّلَ لِي رُقْعَةً إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : وَكَتَبْتُ بِهَا إِلَى الْفَضْلِ :

يَقُولُ أُنَاسٌ شَامِتُونَ وَقَدْ رَأَوْا
مُقَامِي وَإِغْبَابِي (١) الرَّوَاحَ إِلَى الْفَضْلِ
لَقَدْ كَانَ هَذَا خُصَّ بِالْفَضْلِ مَرَّةً
فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْيَوْمَ مُنْصَرِمَ (٢) الْحَبْلِ
وَلَوْ كَانَ لِي فِي ذَاكَ ذَنْبٌ عَلِمْتُهُ
لَقَطَّعْتُ نَفْسِي بِالْمَلَامَةِ وَالْعَذْلِ

وَتَوَصَّلْتُ حَتَّى عَرَضْتُ الْأَبْيَاتَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ : أَعْجَبُ مِنْ ذَنْبِهِ وَأَشَدُّ ، أَنَّهُ لَا يَرَى مِنْ نَفْسِهِ ذَنْباً بِذَلِكَ الْفِعْلِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا أَرَى أَمْرَهُ يُصْلِحُهُ إِلَّا حَاجِبُهُ عَوْنٌ ، فَقُلْتُ لِعَوْنٍ :

---

(١) الاغباب : التردد فى الزيارة مرة عقب أخرى

(٢) أى منقطعة

عَوْنُ يَا عَوْنُ لَيْسَ مِثْلَكَ عَوْنُ(١)

أَنْتَ لِي عُدَّةٌ إِذَا كَانَ كَوْنُ(٢)

لَكَ عِنْدِي وَاللهِ إِنْ رَضِيَ الْفَضْ

لُ غُلَامٌ يُرْضِيكَ أَوْ بِرْذَوْنُ

فَقَالَ : اُكْتُبْ رُقْعَةً وَقُلْ شِعْراً لِأَعْرِضَهُ لَكَ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ :

حَرَامٌ عَلَيَّ الرَّاحُ مَا دُمْتَ غَضْبَانَا

وَمَا لَمْ يَعُدْ عَنِّي رِضَاكَ كَمَا كَانَا

فَأَحْسِنْ فَإِنِّي قَدْ أَسَأْتُ وَلَمْ تَزَلْ

تُعَوِّدُنِي عِنْدَ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانَا

قَالَ : فَأَتَى الْفَضْلَ بِالشِّعْرَيْنِ جَمِيعاً ، فَقَرَأَهُمَا وَضَحِكَ ، وَقَالَ : وَيْحَكَ ، وَإِنَّمَا عَرَّضَ بِقَوْلِهِ : غُلَامٌ يُرْضِيكَ بِالسَّوْءَةِ ، فَقَالَ : قَدْ وَعَدَنِي بِمَا سَمِعْتَ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْرِمَنِيهِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيَّ ، فَأَتَانِي رَسُولُهُ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ ، فَرَضِيَ عَنِّي ، وَوَفَيْتُ لِعَوْنٍ ،

(١) يريد لا عون الا أنت (٢) أى إذا حدث شيء

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ : عَتَبَ عَلَىَّ جعفرُ بْنُ يحْيَى وَقَالَ : إِنِّى لَا أَرَاكَ وَلَا تغشَانِى ، فَقُلْتُ : إِنِّى أَتَيْتُكَ كَثِيراً ، فَيَحْجُبُنِى خَادِمُكَ نَافِذٌ ، فَقَالَ : إِذَا حَجَبَكَ عَنِّى فَنِكْهُ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَيَّامٍ :

ـ جُعِلْتُ فِدَاءَكَ ـ مِنْ كُلِّ سُوءٍ
إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ أَشْكُو أُنَاسَا
يَحُولُونَ بَيْنِى وَبَيْنَ السَّلَامِ
فَلَسْتُ[1] أُسَلِّمُ إِلَّا اخْتِلَاسَا
وَأَنْفَذْتُ أَمْرَكَ فِى نَافِذٍ
فَمَا زَادَهُ ذَاكَ إِلَّا شِمَاسَا[2]

قَالَ : فَأَحْضَرَنِى وَدَعَا نَافِذاً ، وَقَرَأَ الْأَبْيَاتَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : فَعَلْتَهَا يَا عَدُوَّ اللهِ ، فَغَضِبَ نَافِذٌ حَتَّى كَادَ يَبْكِى ، وَجَعْفَرٌ يَضْحَكُ وَيُصَفِّقُ ، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ بَعْدَهَا إِلَى التَّعَرُّضِ .

وَحَدَّثَ عَلِىُّ بْنُ الصَّبَّاحِ قَالَ : كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِى

(١) فى الاصل: فليس ، ولا مانع منها ، ويكون اسمها ضمير شأن ، إلا أن مفسرة جملة فعلية ، والاكثر فيها الاسمية .

(٢) أى صعوبة خلق

كِلَابٍ يُقَالُ لَهَا زَهْرَاءُ ، تُحَدِّثُ إِسْحَاقَ وَتُنَاشِدُهُ ، وَكَانَتْ تَمِيلُ إِلَيْهِ وَتُكَنِّى (١) عَنْهُ فِى شِعْرِهَا ، إِذَا ذَكَرَتْهُ بِجُمْلٍ (٢) قَالَ : فَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَنَّهَا كَتَبَتْ إِلَيْهِ ، وَقَدْ غَابَتْ عَنْهُ :

وَجْدِى بِجُمْلٍ عَلَى أَنِّى أُجَمْجِمُهُ (٣)
وَجْدُ السَّقِيمِ بِبُرْءٍ بَعْدَ إِدْنَافِ (٤)
أَوْ وَجْدُ ثَكْلَى أَصَابَ الْمَوْتُ وَاحِدَهَا
أَوْ وَجْدُ مُغْتَرِبٍ مِنْ بَيْنِ أُلَّافِ

قَالَ فَأَجَبْتُهَا :

إِقْرَ السَّلَامَ عَلَى زَهْرَاءَ إِذْ ظَعَنَتْ
وَقُلْ لَهَا قَدْ أَذَقْتِ الْقَلْبَ مَا خَافَا
أَمَا رَثَيْتِ (٥) لِمَنْ خَلَّفْتِ مُكْتَئِبًا
يُذْرِى مَدَامِعَهُ سَحًّا (٦) وَتَوْكَافَا
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى إِلْفٍ فُجِعْتُ بِهِ
وَجْدِى عَلَيْكِ وَقَدْ فَارَقْتُ أُلَّافَا

---

(١) أى تذكر سواه وتريده هو

(٢) فى الاصل هنا : بحمل ، ورواية الاغانى : « بجمل » فرأينا رواية الأغانى أنسب ، فذكرناها بالاصل (٣) يقال جمجم الرجل : إذا لم يبين كلامه (٤) أى علة ومرض (٥) وفى الاغانى : رثيت ، وفى الاصل : « أويت » ، فرأينا عبارة الأغانى أنسب ، فذكرناها بالأصل (٦) سحا : أى كثيرا ، وتوكافا : أى قليلا

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْخُزَاعِيُّ قَالَ: أَنْشَدَنِي إِسْحَاقُ لِنَفْسِهِ:

سَقَى اللهُ يَوْمَ الْمَاوِشَانِ وَمَجْلِساً
بِهِ كَانَ أَحْلَى عِنْدَنَا مِنْ جَنَى النَّحْلِ
غَدَاةَ اجْتَنَيْنَا اللَّهْوَ غَضًّا وَلَمْ نُبَلْ (١)
حِجَابَ أَبِي نَصْرٍ وَلَا غَضَبَ الْفَضْلِ
غَدَوْنَا صِحَاحاً ثُمَّ رُحْنَا كَأَنَّنَا
أَطَافَ بِنَا شَرٌّ شَدِيدٌ مِنَ الْخَبْلِ

فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُكْتِبَنِيهَا (٢) فَفَعَلَ، فَقُلْتُ: مَا حَدِيثُ يَوْمِ الْمَاوِشَانِ؟ فَقَالَ: لَوْ لَمْ أُكْتِبْكَ الْأَبْيَاتَ، مَا سَأَلْتَ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ، وَلَمْ يُخْبِرْنِي.

قَالَ: وَكَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَصِفُ إِسْحَاقَ وَيُقَرِّظُهُ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُ أَدَبَهُ وَحِفْظَهُ، وَعِلْمَهُ وَصِدْقَهُ، وَيَسْتَحْسِنُ قَوْلَهُ:

(١) لم نعبأ ولم نكترث (٢) أى يدعه يكتبها

هَلْ إِلَى أَنْ تَنَامَ عَيْنِي سَبِيلُ
إِنَّ عَهْدِي بِالنَّوْمِ عَهْدٌ طَوِيلُ
غَابَ عَنِّي مَنْ لَا أُسَمِّي فَعَيْنِي
كُلَّ يَوْمٍ وَجْداً عَلَيْهِ تَسِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي
وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

وَكَانَ إِسْحَاقُ إِذَا غَنَّى هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، تَفِيضُ عَيْنَاهُ وَيَبْكِي أَحَرَّ بُكَاءٍ ، فَسُئِلَ عَنْ بُكَائِهِ ، فَقَالَ : تَعَشَّقْتُ جَارِيَةً فَقُلْتُ لَهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، ثُمَّ مَلَكْتُهَا ، وَكُنْتُ مَشْغُوفاً بِهَا ، حَتَّى كَبِرْتُ وَاعْتَلَّتْ عَيْنِي ، فَإِذَا غَنَّيْتُ هَذَا الصَّوْتَ ، ذَكَرْتُ أَيَّامَهُ الْمُتَقَدِّمَةَ ، وَأَنَا أَبْكِي عَلَى دَهْرِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ. قَالَ إِسْحَاقُ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ الْأَعْرَابِ لِنَفْسِهِ :

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الْحَمَامَةَ غُدْوَةً
عَلَى الْغُصْنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ

تَغَنَّتْ بِصَوْتٍ أَعْجَمِيٍّ فَهَيَّجَتْ
مِنَ الْوَجْدِ مَا كَانَتْ ضُلُوعِي أَجَنَّتِ[1]

فَلَوْ قَطَرَتْ عَيْنُ امْرِىءٍ مِنْ صَبَابَةٍ
دَماً قَطَرَتْ عَيْنِي دَماً وَأَبَلَّتِ

فَمَا سَكَتَتْ حَتَّى أَوَيْتُ لِصَوْتِهَا
وَقُلْتُ أَرَى هَـذِي الْحَمَامَةَ جُنَّتِ

وَلِي زَفَرَاتٌ[2] لَوْ يَدُمْنَ قَتَلْنَنِي
بِشَوْقٍ إِلَى هَاتِي[3] الَّتِي قَدْ تَوَلَّتِ

إِذَا قُلْتُ هَذِي زَفْرَةُ الْيَوْمِ قَدْ مَضَتْ
فَمَنْ لِي بِأُخْرَى فِي غَدٍ قَدْ أَظَلَّتِ

فَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتَى أَعِنِّي عَلَى الَّتِي
بِهَا نَهِلَتْ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتِ

لَقَدْ بَخِلَتْ حَتَّى لَوَ انِّي سَأَلْتُهَا
قَذَى الْعَيْنِ مِنْ سَافِي التُّرَابِ لَضَنَّتِ

(١) أجنت : سترت (٢) زفرات : أى أنفاس حارة من الألم (٣) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « التى تأتى » وفى الأغانى : « نادى » وربما اتفق هذا مع المنى؛

فَقُلْتُ ارْحَلَا يَا صَاحِبَىَّ فَلَيْتَنِى
أَرَى كُلَّ نَفْسٍ أُعْطِيَتْ مَا تَمَنَّتِ!

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ مَا أُمُّ وَاحِدٍ
إِذَا ذَكَرَتْهُ آخِرَ اللَّيْلِ أَنَّتِ

وَلَا وَجْدُ أَعْرَابِيَّةٍ قَذَفَتْ (١) بِهَا
صُرُوفُ النَّوَى (٢) مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ

إِذَا ذَكَرَتْ مَاءَ الْعُذَيْبِ وَطِيبَهُ
وَبَرْدَ حَصَاهُ آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّتِ

بِأَكْثَرَ مِنِّى لَوْعَةً غَيْرَ أَنَّنِى
أُطَامِنُ (٣) أَحْشَائِى عَلَى مَا أَجَنَّتِ

قَالَ: وَحَدَّثَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ، لَمَّا خَرَجَ أَبِى إِلَى الْبَصْرَةِ وَعَادَ، أَنْشَدَنِى لِنَفْسِهِ:

مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مَا فِى الْبَيْنِ مِنْ حَزَنٍ
حَتَّى تَنَادَوْا بِأَنْ قَدْ جِىءَ بِالسُّفُنِ

(١) قذفت: طوحت (٢) صروف النوى: آلام البعد

(٣) فى الاصل: «أحجم» وفى الاغانى: أججم، وكلا اللفظين لامعنى له، والأنسب ما ذكرت

لَمَّا افْتَرَقْنَا عَلَى كُرْهٍ لِفُرْقَتِنَا
أَيْقَنْتُ أَنِّى قَتِيلُ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ
قَامَتْ تُوَدِّعُنِي وَالدَّمْعُ يَغْلِبُهَا
فَجَمْجَمَتْ [١] بَعْضَ مَاقَالَتْ وَلَمْ تُبِنِ
مَالَتْ عَلَىَّ تُفَدِّينِي [٢] وَتَرْشُفُنِي
كَمَا يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بِالْغُصُنِ
وَأَعْرَضَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهْىَ بَاكِيَةٌ
يَالَيْتَ مَعْرِفَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَكُنِ

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ، فَأَنْشَدْتُهُ أَبْيَاتًا قُلْتُهَا وَنَسَبْتُهَا [٣] إِلَى بَعْضِ الْأَعْرَابِ، وَهِىَ:

«هَلْ إِلَى أَنْ تَنَامَ عَيْنِي سَبِيلُ»

الْأَبْيَاتَ، وَهِىَ مُتَقَدِّمَةٌ. قَالَ: فَجَعَلَ يُعْجَبُ بِهَا وَيُرَدِّدُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهَا بَنَاتُ [٤] لَيْلَتِهَا. فَقَالَ: لَاجَرَمَ، إِنَّ أَثَرَ التَّوْلِيدِ فِيهَا بَيِّنٌ. فَقُلْتُ: وَلَاجَرَمَ أَنَّ أَثَرَ الْحَسَدِ فِيكَ ظَاهِرٌ [٥].

(١) أخفت ماتقول فلم تظهره (٢) تقول: «جعلت فداك» (٣) كانت فى الاصل: وكتبتها فغيرت بما ذكر (٤) كانت فى الاصل: «بنو» فغير الى بنات، على أن الضمير فى إنها راجع إلى الابيات وإن شئت فقلت «بنت»

(٥) بكسر ان وتفتح فالكسر على أنها جملة خبر لا، والفتح على أنها فاعل لجرم بمعنى حق، فجرم اسم على الكسر، وفعل على الفتح «عبد الخالق»

وَكَانَ إِسْحَاقُ يَقُومُ عَلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَيَبِرُّهُ، فَكَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ: إِسْحَاقُ وَاللهِ أَحَقُّ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

يَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ
نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

مِمَّنْ قَدْ قِيلَ فِيهِ.

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ طَاهِرٍ، وَقَدِ انْصَرَفَ مِنْ وَقْعَةِ الشُّرَاةِ، وَقَدْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: غَنِّنِي، فَغَنَّيْتُهُ فِي شِعْرِ بَعْضِ الْأَعْرَابِ:

إِنِّي لَأُكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنِ اُجْبُلِهَا
وَبِاسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ إِسْمِ وَادِيهَا

عَمْداً لِيَحْسَبَهَا الْوَاشُونَ غَانِيَةً
أُخْرَى، وَتَحْسَبَ أَنِّي لَسْتُ أَعْنِيهَا

وَلَا يُغَيِّرُ وُدِّي أَنْ أُهَاجِرَهَا
وَلَا فِرَاقُ نَوًى فِي الدَّارِ أَنْوِيهَا

وَلِلْقَلُوصِ (١) وَلِي مِنْهَا إِذَا بَعُدَتْ
بَوَارِحُ (٢) الشَّوْقِ تُنْضِينِي وَأُنْضِيهَا

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللهِ ، أَعِدْهُ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَشْرَبُ ، حَتَّى صَلَّى الْعَتَمَةَ (٣) وَأَنَا أُغَنِّيهِ إِيَّاهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَى خَادِمٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : مِقْدَارُ سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : تُحْمَلُ مَعَهُ ، فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، تَبِعَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْغِلْمَانِ يَسْأَلُونَنِي ، فَوَزَّعْتُ الْمَالَ بَيْنَهُمْ ، فَرُفِعَ الْخَبَرُ إِلَيْهِ فَأَغْضَبَهُ ، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيَّ ثَلَاثًا ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا
أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكْ
لَمْ أُبْقِ شَيْئًا مِمَّا (٤) سَمَحْتَ بِهِ
كَأَنَّ لِي قُدْرَةً كَمَقْدِرَتِكْ

(١) القلوص : الناقة الطويلة القوائم

(٢) بوارح الشوق : لواعجه وحرارته وتنضيني : تهزلني (٣) العتمة : من المساء إلى نحو ثلث الليل (٤) الأنسب ما ذكر ، وكانت في الأصل : «الا»

تُتْلِفُ فِي الْيَوْمِ بِالْهِبَاتِ وَفِي السَّ
اعَةِ مَا تَجْتَبِيهِ فِي سَنَتِكْ
فَلَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ تُنْفِقُ لَوْ
لَا أَنَّ رَبِّي يَجْزِي عَلَى هِبَتِكْ

فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، بَعَثَ إِلَيَّ فَصِرْتُ إِلَيْهِ ، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ ، وَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : اُسْقُوهُ رِطْلًا فَسُقِيتُهُ ، فَأَمَرَ لِي بِآخَرَ ، وَآخَرَ ، فَشَرِبْتُ ثَلَاثَةً ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّنِي « إِنِّي لَأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبَالِهَا » فَغَنَّيْتُهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ أَتْبَعْتُهُ الْأَبْيَاتَ الَّتِي قُلْتُهَا . فَقَالَ لِي : أُدْنُ فَدَنَوْتُ ، فَقَالَ لِي : أَعِدِ الصَّوْتَ ، فَأَعَدْتُهُ ، فَلَمَّا فَهِمَهُ وَعَرَفَ الْمَعْنَى ، قَالَ لِخَادِمٍ لَهُ : أَحْضِرْنِي فُلَانًا فَأَحْضَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ قِبَلَكَ مِنْ مَالِ الضِّيَاعِ ؟ قَالَ : ثَمَانِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : أَحْضِرْهَا السَّاعَةَ ، فَجِيءَ بِثَمَانِينَ بَدْرَةً (١) فَقَالَ : جِئْنِي بِثَمَانِينَ مَمْلُوكًا ، فَأُحْضِرُوا ، فَقَالَ : احْمِلُوا

(١) البدرة : الكيس من المال

الْمَالَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، خُذِ(١) الْمَالَ وَالْمَمَالِيكَ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى أَحَدٍ تُعْطِيهِ شَيْئاً.

حدَّثَ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنَجِّمُ : أَنَّ إِسْحَاقَ لَمَّا انْحَدَرَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، كَتَبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ الْقَائِدِ ، — جُعِلْتُ فِدَاكَ — بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو نَصْرٍ مَوْلَاكَ بِكِتَابٍ مِنْكَ إِلَيَّ ، يَرْتَفِعُ عَنْ قَدْرِي ، وَيَقْصُرُ عَنْهُ شُكْرِي ، فَلَوْلَا مَا أَعْرِفُ مِنْ مَعَانِيهِ ، لَظَنَنْتُ أَنَّ الرَّسُولَ غَلِطَ بِي فِيهِ ، فَمَا لَنَا وَلَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، تَدَعُنَا حَتَّى إِذَا نَسِينَا الدُّنْيَا وَأَبْغَضْنَاهَا ، وَرَجَوْنَا السَّلَامَةَ مِنْ شَرِّهَا ، أَفْسَدْتَ قُلُوبَنَا وَعَلَّقْتَ أَنْفُسَنَا ، فَلَا أَنْتَ تُرِيدُنَا ، وَلَا أَنْتَ تَتْرُكُنَا(٢) فَأَمَّا ذَكَرْتَهُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَيَّ ، فَلَوْلَا أَنَّكَ حَلَفْتَ عَلَيْهِ ، لَقُلْتُ :

يَا مَنْ شَكَا عَبَثاً إِلَيْنَا شَوْقَهُ
شَكْوَى الْمُحِبِّ وَلَيْسَ بِالْمُشْتَاقِ

(١) هذه رواية الاغانى : وفى الاصل : « ذر » (٢) رواية الاغانى : فبأى شىء تستحل هذا وفى الأصل : وما ذكرته ، وفى الأغانى : فأما ما ذكرته الخ

لَوْ كُنتَ مُشْتَاقًا إِلَيَّ تُرِيدُنِى
مَا طِبْتَ نَفْسًا سَاعَةً بِفِرَاقِ
وَحَفِظْتَنِي حِفْظَ الْخَلِيلِ خَلِيلَهُ
وَوَفَيْتَ لِى بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ
هَيْهَاتَ قَدْ حَدَثَتْ أُمُورٌ بَعْدَنَا
وَشُغِلْتَ بِاللَّذَّاتِ عَنْ إِسحَاقِ

قَدْ تَرَكْتُ — جُعِلْتُ فِدَاكَ — مَا كَرِهْتُ مِنَ الْعِتَابِ فِي الشِّعْرِ وَغَيْرِهِ ، وَقُلْتُ أَبْيَاتًا لَا أَزَالُ أَخْرُجُ بِهَا إِلَى ظَهْرِ الْمِرْبَدِ (١) وَأَسْتَقْبِلُ الشَّمَالَ ، وَأَتَنَسَّمُ أَرْوَاحَكُمْ فِيهَا ، ثُمَّ يَكُونُ مَا اللهُ أَعْلَمُ بِهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَكْرَهُهَا ، تَرَكْتُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ :

أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ الثَّوَاءَ (٢) قَلِيلُ
وَأَنْ لَيْسَ يَبْقَى لِلْخَلِيلِ خَلِيلُ

---

(١) المربد : فضاء وراء البيوت يرتفق به ، وهو علم على موضع بالبصرة

(٢) الثواء : البقاء والاقامة على حالة واحدة ، أو يريد أن البقاء فى الدنيا مهما طال ، فلابد من الرحيل ، فيكون قليلا لهذا

وَأَنِّى وَإِنْ مُلِّيتُ(١) فِي الْعَيْشِ حِقْبَةً
كَذِى سفَرٍ قَدْ حَانَ مِنْهُ رَحِيلُ
فَهَلْ لِى إِلَى أَنْ تَنْظُرَ الْعَيْنُ مَرَّةً
إِلَى ابْنِ هِشَامٍ فِى الْحَيَاةِ سَبِيلُ؟
فَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَلْقَى الْمَنَايَا بِحَسْرَةٍ
وَفِى النفْسِ مِنْهُ حَاجَةٌ وَغَلِيلُ

وَأَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّى أَعْلَمُ أَنَّكَ وَإِنْ لَمْ تَسْأَلْ عَنْ حَالِى، تُحِبُّ أَنْ تَعْلَمَهَا، وَأَنْ تَأْتِيَكَ عَنِّى سَلَامَةٌ، فَأَنَا يَوْمَ كَتَبْتُ إِلَيْكَ سَالِمُ الْبَدَنِ، مَرِيضُ الْقَلْبِ «وَبَعْدُ» فَأَنَا ـ جُعِلْتُ فِدَاكَ ـ فِى صَنْعَةِ كِتَابٍ ظَرِيفٍ مَلِيحٍ، فِيهِ تَسْمِيَةُ الْقَوْمِ، وَنَسَبِهِمْ وَبِلَادِهِمْ، وَأَسْبَابِهِمْ وَأَزْمِنَتِهِمْ، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ غِنَائِهِمْ، وَبَعْضِ أَحَادِيثِهِمْ، وَأَحَادِيثِ قِيَانِ(٢) الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِنُمُوذَجٍ،

(١) مليت : تمتعت، وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد، والاغانى «مكنت»

(٢) قيان : جمع قينة وهى : الامة أو المغنية، وهى المرادة هنا، وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : «فتيان»

فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ : قَبَّحَ اللهُ كُلَّ دَنٍّ[١] أَوَّلُهُ دُرْدِيٌّ[٢] لَمْ نَتَجَشَّمْ[٣] إِتْمَامَهُ ، وَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ الْعَرَبِيُّ : إِنَّ الْجَوَادَ عَيْنُهُ فِرَارُهُ[٤] ، أَعْلَمْتَنَا ، فَأَتْمَمْنَاهُ مَسْرُورِينَ بِحُسْنِ رَأْيِكَ فِيهِ .

وَكَانَ إِسْحَاقُ يَأْلَفُ عَلِيًّا وَأَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ ، وَسَائِرَ أَهْلِهِمْ إِلْفاً شَدِيداً ، ثُمَّ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ نَبْوَةٌ[٥] وَوَحْشَةٌ فِي أَمْرٍ لَمْ يَقَعْ إِلَيْنَا ، فَهَجَاهُمْ هِجَاءً كَثِيراً .

فَحَدَّثَ أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ مُصْعَبٍ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ : قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ : أَمَا تَسْتَحِي أَنْتَ وَصَبَاحُ بْنُ خَاقَانَ الْمَنْقَرِيُّ ، وَأَنْتُمَا شَيْخَانِ مِنْ مَشَايِخِ الْمُرُوءَةِ ، وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، أَنْ يَذْكُرَكُمَا إِسْحَاقُ فِي شِعْرِهِ ، فَيَقُولَ :

قَدْ نَهَانَا مُصْعَبٌ وَصَبَاحٌ ... فَعَصَيْنَا مُصْعَباً وَصَبَاحَا

---

(١) الدن : الراقود « الخابية » العظيم (٢) والدردى : من كل شىء الكدر الراسب فى أسفله (٣) تتجشم : تتكلف بصعوبة

(٤) فى الأمثال : إن الجواد عينه فرارة مثلث الفاء، وهو مثل يضرب للشىء، يدل ظاهره على باطنه ، ويغنى عن أن تفر أسنانه لتعرف خبره من فر الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف سنها « عبد الخالق » (٥) النبوة : الجفوة

عَذَلَا مَا عَذَلَا ثُمَّ مَلَّا فَاسْتَرَحْنَا مِنْهُمَا وَاسْتَرَاحَا

فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ ، فَمَا قَالَ إِلَّا خَيْراً ، إِنَّمَا ذَكَرَ أَنَّنَا نَهَيْنَاهُ عَنْ خَمْرٍ شَرِبَهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ عَشِقَهَا ، وَقَدْ أَشَادَ بِاسْمِكَ فِي الشِّعْرِ بِأَشَدَّ مِنْ هَذَا . قَالَ بِمَاذَا ؟ قُلْتُ : بِقَوْلِهِ .

وَصَافِيَةٍ تُغْشِي (١) الْعُيُونَ رَقِيقَةٍ
رَهِينَةِ عَامٍ فِي الدِّنَانِ وَعَامِ
أَدَرْنَا بِهَا الْكَأْسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِنًا (٢)
مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ (٣) كُلُّ ظَلَامِ
فَمَا ذَرَّ (٤) قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّنَا
مِنَ الْعِيِّ (٥) نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامِ

---

(١) أى تجعل البصر سيىء النظر لشدة إشراقها

(٢) الموهن : نصف الليل ، أو بعد ساعة منه

(٣) انجاب : انكشف وزال

(٤) أى ظهر

(٥) العى : العجز عن الكلام

قَالَ : أَوَقَدْ فعلَ الْعَاصُ بظَرْ أُمِّهِ ؟ قُلْتُ : إِى وَاللهِ قَدْ فَعَلَ .

وَمِنْ شِعْرِ إِسْحَاقَ عِنْدَ عُلُوِّ سِنِّهِ :

سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ
وَوَصْلِ الْغَوَانِى وَالْمُدَامَةِ وَالشُّرْبِ
سَلَامُ امْرِىءٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ
سِوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ
لَعَمْرِى لَئِنْ حُلِّئْتُ (١) عَنْ مَنْهَلِ الصِّبَا
لَقَدْ كُنْتُ وَرَّاداً لِمَشْرَعِهِ الْعَذْبِ
لَيَالِىَ أَغْدُو بَيْنَ بُرْدَىَّ لَاهِياً
أَمِيسُ (٢) كَغُصْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ

وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرٍ الصُّولِىُّ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ الشَّاهِينِىِّ قَالَ . كَانَ إِسْحَاقُ يَسْأَلُ اللهَ أَلَّا يَبْتَلِيَهُ بِالْقُولَنْجِ (٣) ، لِمَا رَأَى مِنْ صُعُوبَتِهِ عَلَى أَبِيهِ ، فَأُرِىَ فِى مَنَامِهِ ، كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ ، وَلَسْتَ تَمُوتُ بِالْقُولَنْجِ ، وَلَكِنْ

---

(١) أى منعت (٢) أميس : أتمايل عجباً وتيهاً

(٣) مرض معوى مؤلم ، يعسر معه خروج الثفل والريح

يَمُوتُ بِضِدِّهِ ، فَأَصَابَهُ ذَرَبٌ[١] فَمَاتَ مِنْهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ ، فَبَلَغَ الْمُتَوَكِّلَ نَعْيُهُ ، فَغَمَّهُ وَحَزِنَ عَلَيْهِ . وَقَالَ : ذَهَبَ صَدْرٌ عَظِيمٌ مِنْ جَمَالِ الْمُلْكِ ، وَبَهَائِهِ وَزِينَتِهِ ، ثُمَّ نُعِيَ إِلَيْهِ بَعْدَهُ ، أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى ، بْنِ زَيْدِ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، ابْنِ عَلِيٍّ الْخَارِجُ عَلَيْهِ . فَقَالَ : تَكَافَأَتِ الْحَالَانِ . ثُمَّ قَالَ : قَامَ الْفَرَحُ بِوَفَاةِ أَحْمَدَ ، — وَمَا كُنْتُ آمَنُ وَثْبَتَهُ عَلَيَّ — ، مَقَامَ الْفَجِيعَةِ بِإِسْحَاقَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ .

وَرَثَاهُ أَوِدَّاؤُهُ وَأَصْدِقَاؤُهُ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا : قَوْلُ إِدْرِيسَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

سَقَى اللهُ يَا ابْنَ الْمَوْصِلِيِّ بِوَابِلٍ
مِنَ الْغَيْثِ قَبْرًا أَنْتَ فِيهِ مُقِيمُ
ذَهَبْتَ فَأَوْحَشْتَ الْكِرَامَ فَمَا يَنِي[٢]
بِعَبْرَتِهِ يَبْكِي عَلَيْكَ كَرِيمُ

(١) أى فساد المعدة

(٢) رواية الاغانى : ورعتهم ، فلا غرو أن يبكى عليك حميم

إِلَى اللهِ أَشْكُو فَقْدَ إِسْحَاقَ إِنَّنِي
وَإِنْ كُنْتُ شَيْخاً بِالْعِرَاقِ يَتِيمُ (١)

وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَرْثِي إِسْحَاقَ :

أَتَدْرِي لِمَنْ تَبْكِي الْعُيُونُ الذَّوَارِفُ
وَيَنْهَلُّ مِنْهَا مُسْبِلٌ ثُمَّ وَاكِفُ (٢)
لِفَقْدِ امْرِىءٍ (٣) لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ
مُفِيدٌ لِعِلْمٍ أَوْ صَدِيقٌ يُلَاطِفُ
تَجَهَّزَ إِسْحَاقُ إِلَى اللهِ رَائِحاً
فَلِلَّهِ مَا ضُمَّتْ عَلَيْــهِ اللَّفَائِفُ
وَمَا حَمَلَ النَّعْشَ الْوَلِيَّ (٤) عَشِيَّةً
مِنَ النَّاسِ (٥) إِلَّا دَامِعُ الْعَيْنِ كَالِفُ
فَلُقِّيتَ فِي يُمْنَى يَدَيْكَ صَحِيفَةً
إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ

---

(١) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « مقيم » (٢) الواكف : الذى يسيل قطرة قطرة ، وفى الاغانى : واكف ثم واكف (٣) الاغانى : نعم لامرىء (٤) وفى رواية الاغانى: المزجى (٥) الاغانى : إلى القبر ـ وكالف : محب، ولعلها لاهف

تَسُرُّكَ يَوْمَ الْبَعْثِ عِنْدَ قِرَاتِهَا
وَيَفْتَرُّ ضِحْكًا كُلُّ مَنْ هُوَ وَاقِفُ

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : كَانَ لِإِسْحَاقَ مِنَ الْوَلَدِ : حَمِيدٌ ، وَحَمَّادٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَحَامِدٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ ، وَفَضْلٌ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ مَنْ يُغَنِّي إِلَّا إِسْحَاقُ ، وَطُيَّابٌ أَخُوهُ ، وَمَاتَ إِسْحَاقُ ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الَّتِي تَوَلَّى هُوَ بِنَفْسِهِ تَصْنِيفَهَا : كِتَابُ أَغَانِيهِ الَّتِي غَنَّى فِيهَا ، كِتَابُ أَخْبَارِ عَزَّةَ الْمِيلَاءِ ، كِتَابُ أَغَانِي مَعْبَدٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ حَمَّادِ عَجْرَدٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ حُنَيْنٍ الْحِيرِيِّ ، كِتَابُ أَخْبَارِ ذِي الرُّمَّةِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ طُوَيْسٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْمُغَنِّينَ الْمَكِّيِّينَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ سَعِيدِ بْنِ مُسْجِحٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ دَلَالٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ مُحَمَّدِ بْنِ عَائِشَةَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْأَبْجَرِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ ابْنِ صَاحِبِ الْوُضُوءِ ، كِتَابُ الِاخْتِيَارِ مِنَ الْأَغَانِي لِلْوَاثِقِ ، كِتَابُ اللَّحْظِ وَالْإِشَارَاتِ ، كِتَابُ الشَّرَابِ ، يَرْوِي فِيهِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْنٍ ، وَابْنِ الْجَصَّاصِ ، وَحَمَّادِ بْنِ مَيْسَرَةَ ، كِتَابُ جَوَاهِرِ الْكَلَامِ ، وَكِتَابُ

الرَّقْصِ وَالزَّفْنِ [١] ، كِتَابُ النَّغَمِ وَالْإِيقَاعِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْهُذَلِيِّينَ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، كِتَابُ قِيَانِ الْحِجَازِ ، كِتَابُ الْقِيَانِ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ الْمُتَخَيَّرَةِ ، كِتَابُ الْأَخْبَارِ وَالنَّوَادِرِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ حَسَّانَ ، كِتَابُ أَخْبَارِ الْأَحْوَصِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ جَمِيلٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ كُثَيِّرٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ نُصَيْبٍ ، كِتَابُ أَخْبَارِ عُقَيْلِ بْنِ عُلَّفَةَ [٢] ، كِتَابُ أَخْبَارِ ابْنِ هِرْمَةَ [٣] .

وَأَمَّا كِتَابُ الْأَغَانِي الْكَبِيرُ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ عُبَيْدِ ، ابْنِ الزُّبَيْرِ الْكُوفِيِّ الْأَسَدِيِّ ، حَدَّثَنِي فَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ : أَعْطِنِي كِتَابَ الْأَغَانِي ، فَقَالَ : أَيَّمَا كِتَابٍ ؟ الْكِتَابَ الَّذِي صَنَّفْتُهُ ، أَوِ الْكِتَابَ الَّذِي صُنِّفَ لِي ، يَعْنِي بِالَّذِي صَنَّفَهُ كِتَابَ أَخْبَارِ الْمُغَنِّينَ وَاحِداً وَاحِداً ،

(١) أي الرقص ، يقال : زفن الرجل زفناً : رقص

(٢) عقيل هذا : كان أعرابياً شديد التمسك بالعروبة والحفاظ عليها ، من أن تختلط بجنس آخر ، فكان يقول للخلفاء إذا طلبوا مصاهرته : جنبني هُجناء ولدك « عبد الخالق ».

(٣) قال في القاموس : ابن هرمة بكسر الهاء : آخر ولد الشيخ والشيخة

وَيَعْنِي بِالَّذِي صَنَّفَ لَهُ ، كِتَابَ الأَغَانِي الْكَبِيرَ ، الَّذِي بِأَيْدِي النَّاسِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الفَرَجِ الأَصْبَهَانِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ وَكِيعٌ قَالَ : سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ إِسْحَاقَ يَقُولُ : مَا أَلَّفَ أَبِي هَذَا الْكِتَابَ قَطُّ ، يَعْنِي كِتَابَ الأَغَانِي الْكَبِيرَ ، وَلَا رَآهُ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ، أَنَّ أَكْثَرَ أَشْعَارِهِ الْمَنْسُوبَةِ ، إِنَّمَا جُمِعَتْ لِمَا ذُكِرَ مَعَهَا مِنَ الأَخْبَارِ ، وَمَا غُنِّيَ فِيهَا إِلَى وَقْتِنَا هَذَا ، وَأَنَّ أَكْثَرَ نِسْبَةِ الْمُغَنِّينَ خَطَأٌ ، وَالَّذِي أَلَّفَهُ أَبِي مِنْ دَوَاوِينِ غِنَائِهِمْ ، يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَإِنَّمَا وَضَعَهُ وَرَّاقٌ كَانَ لِأَبِي بَعْدَ وَفَاتِهِ ، سِوَى الرُّخْصَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ الْكِتَابِ ، فَإِنَّ أَبِي أَلَّفَهَا ، إِلَّا أَنَّ أَخْبَارَهُ كُلَّهَا مِنْ رِوَايَتِنَا . وَقَالَ لِي أَبُو الفَرَجِ : هَذَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَكِيعٍ ، وَاللَّفْظُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ .

قَالَ : وَأَخْبَرَنِي جَحْظَةُ أَنَّهُ يَعْرِفُ الْوَرَّاقَ الَّذِي وَضَعَهُ ، وَكَانَ يُسَمَّى سِنْدِيَّ بْنَ عَلِيٍّ ، وَحَانُوتُهُ فِي طَاقِ الزِّبْلِ ، وَكَانَ

يُوَرِّقُ لِإِسْحَاقَ ، فَاتَّفَقَ هُوَ وَشَرِيكٌ لَهُ عَلَى وَضْعِهِ ، وَهٰذَا الْكِتَابُ يُعْرَفُ فِي الْقَدِيمِ بِكِتَابِ السَّرَاةِ ، وَهُوَ أَحَدَ عَشَرَ جُزْءًا ، وَلِكُلِّ جُزْءٍ أَوَّلٌ يُعْرَفُ بِهِ ، فَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الْكِتَابِ : الرُّخْصَةُ ، هُوَ مِنْ تَأْلِيفِ إِسْحَاقَ ، لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا خُلْفَ .

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أُلِّفَ فِي أَخْبَارِ أَبِي زَيْدٍ الْبَلْخِيِّ ، أَنَّ أَبَا زَيْدٍ قَالَ : وَذَكَرَ كِتَابَ الْأَغَانِي لِإِسْحَاقَ ، فَقَالَ ، مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِنَ الْمَوْصِلِيِّ ، جَمَعَ عِلْمَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ فِي كِتَابٍ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ بِالِاسْمِ (١) . قَالَ : وَكَانَ إِسْحَاقُ أَدِيبًا فَاضِلًا ، مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ ، بَلَغَنِي أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ مُصْعَبٍ ، يُعَزِّيهِ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَقَالَ :

لَمْ تُصَبْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ بِعَبْـ
ـدِ اللهِ لَكِنْ بِهِ أُصِيبَ الْأَنَامُ
فَسَيَكْفِيكُمُ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ
أَعْيُنُ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامُ

(١) جملة غير مفهومة ، ولعل الكلام ثم نشره بالاسم

٢ – إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَرْبَرِىُّ الْمُحَرِّرُ

« وَوَالِدُهُ إِبْرَاهِيمُ * »

إسحاق المحرر

وَيُعْرَفُ بِالنَّدِيمِ ، كَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عِيسَى الْوَزِيرُ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ النَّدِيمِ : هُوَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ الصَّبَّاحِ ، بْنِ بِشْرٍ ، بْنِ سُوَيْدٍ ، بْنِ الْأَسْوَدِ ، التَّمِيمِيُّ ثُمَّ السَّعْدِيُّ ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ أَبُوهُ أَحْوَلَ ، وَكَانَ مُحَرِّراً أَيْضاً . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ عَلَى رُسُومِ الْخَطِّ وَقَوَانِينِهِ ، وَجَعَلَهُ أَنْوَاعاً [١] رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْأَحْوَلِ الْمُحَرِّرِ ، لَا أَدْرِى : هَلْ هُوَ إِبْرَاهِيمُ أَوْ غَيْرُهُ ؟ وَكَانَ مِنْ صَنَائِعِ الْبَرَامِكَةِ ، وَكَانَ يُحَرِّرُ الْكُتُبَ النَّافِذَةَ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَى مُلُوكِ الْأَطْرَافِ فِى الطَّوَامِيرِ [٢] ، وَكَانَ فِى نِهَايَةِ الْحُرْفَةِ [٣]

---

(١) كانت فى الاصل الذى بأيدينا « وجعله أنواعه » وقد أصلحت

(٢) الطوامير : الصفحات

(٣) اسم من قولك : رجل محارف ، أى منقوص الحظ ليس له مال

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم صفحة ١٣ بترجمة كالتى ذكرها ياقوت .

وَالْوَسَخِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ سَمْحاً لَا يَلِيقُ[1] عَلَى شَيْءٍ ، فَلَمَّا رَتَّبَ الْأَقْلَامَ ، جَعَلَ أَوَّلَ الْأَقْلَامِ الثَّقَالَ .

فَمِنْهَا قَلَمُ الطُّومَارِ وَهُوَ أَجَلُّهَا ، يُكْتَبُ فِي طُومَارٍ تَامٍّ[2] بِسَعَفَةٍ ، وَرُبَّمَا كُتِبَ بِقَلَمٍ ، وَكَانَتْ تُنْفَذُ[3] الْكُتُبُ إِلَى الْمُلُوكِ بِهِ ، وَمِنَ الْأَقْلَامِ : قَلَمُ الثُّلُثَيْنِ ، قَلَمُ السِّجِلَّاتِ ، قَلَمُ الْعُهُودِ ، قَلَمُ الْمُؤَامَرَاتِ ، قَلَمُ الْأَمَانَاتِ ، قَلَمُ الدِّيبَاجِ ، قَلَمُ الْمُدَمَّجِ ، قَلَمُ الْمُرَصَّعِ ، قَلَمُ التَّشَاجِي . فَلَمَّا أَنْشَأَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ، اخْتَرَعَ قَلَماً وَهُوَ أَحْسَنُ الْأَقْلَامِ ، وَيُعْرَفُ بِالرِّئَاسِيِّ ، وَيَتَفَرَّعُ إِلَى عِدَّةِ أَقْلَامٍ . فَمِنْ ذَلِكَ : قَلَمُ الرِّئَاسِيِّ الْكَبِيرِ ، قَلَمُ النِّصْفِ مِنَ الرِّئَاسِيِّ ، قَلَمُ الثُّلُثِ ، قَلَمُ صَغِيرِ النِّصْفِ ، قَلَمُ خَفِيفِ الثُّلُثِ ، قَلَمُ الْمُحَقَّقِ ، قَلَمُ الْمَنْثُورِ ، قَلَمُ الْوَشْيِ ، قَلَمُ الرِّقَاعِ ، قَلَمُ الْمُكَاتَبَاتِ ، قَلَمُ غُبَارِ الْحَلْبَةِ ، قَلَمُ النَّرْجِسِ ، قَلَمُ الْبَيَاضِ .

فَأَمَّا إِسْحَاقُ هَذَا ، فَإِنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ الْمُقْتَدِرَ وَأَوْلَادَهُ ،

---

(١) أى لايمسك من جوده على شىء

(٢) الفهرست شاسم (٣) تنفذ : ترسل

وَهُوَ أُسْتَاذُ ابْنِ مُقْلَةَ . وَلِأَبِي عَلِيٍّ إِلَيْهِ رِسَالَةٌ ذَكَرَهَا فِي أَخْبَارِ أَبِي عَلِيٍّ . وَيُكَنَّى بِأَبِي الْحُسَيْنِ ، لَمْ يُرَ فِي زَمَانِهِ أَحْسَنُ خَطًّا مِنْهُ ، وَلَا أَعْرَفُ بِالْكِتَابَةِ .

وَلِإِسْحَاقَ كِتَابُ الْقَلَمِ ، كِتَابُ تُحْفَةِ الْوَامِقِ ، رِسَالَةٌ فِي الْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ ، وَأَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ نَظِيرُهُ ، وَيَسْلُكُ طَرِيقَتَهُ ، وَابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَابْنُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، بْنِ إِسْحَاقَ ، وَمِنْ وَلَدِهِ أَيْضًا أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَهؤُلَاءِ الْقَوْمِ فِي نِهَايَةِ حُسْنِ الْخَطِّ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْكِتَابَةِ .

﴿ ٣ — إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَارَابِيُّ * ﴾

خَالُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادٍ الْجَوْهَرِيِّ ، صَاحِبِ كِتَابِ إسحاق الفارابى

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١٩١ قال :

هو صاحب ديوان الادب ، وخال أبى نصر الجوهرى ، قال القفطى : كان ممن ترامى به الاغتراب الى أرض اليمن ، وسكن زبيد ، وبها صنف كتابه المذكور ، مات فى سنة خمسين وثلاثمائة ، لا خمسين وأربعمائة ، كما ذكره ياقوت . وقيل فى حدود السبعين . وقال الحاكم : قرأت بعضه على يوسف بن محمد بن ابراهيم الفرغانى . قال : قرأته على أبى الحسن بن على ، بن سعيد الزامينى . قال : قرأته على مؤلفه أبى إبراهيم فهذا يبطل قول القفطى أنه لم يرو عنه . وله أيضا شرح بيان الاعراب

الصِّحَاحِ فِى اللُّغَةِ ، وَأَبُو إِبْرَاهِيمَ هَذَا ، هُوَ صَاحِبُ كِتَابِ دِيوَانِ الْأَدَبِ ، الْمَشْهُورِ اسْمُهُ ، الذَّائِعِ ذِكْرُهُ. كَتَبَ إِلَيْنَا الْقَاضِى الْأَشْرَفُ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الشَّيْبَانِىُّ الْقِفْطِىُّ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَكَانَ قَدْ سَافَرَ إِلَى هُنَاكَ وَأَقَامَ ، قَالَ : مِمَّا أُخْبِرُكُمْ بِهِ ، أَنَّ أَبَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ الْفَارَابِىَّ مُصَنِّفَ كِتَابِ دِيوَانِ الْأَدَبِ ، مِمَّنْ تَرَامَى بِهِ الِاغْتِرَابُ ، وَطَوَّحَ بِهِ الزَّمَانُ الْمُنْتَابُ[1] ، إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ ، وَسَكَنَ زُبَيْدَ ، وَبِهَا صَنَّفَ كِتَابَهُ دِيوَانَ الْأَدَبِ ، وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُرْوَى عَنْهُ ، وَكَانَ أَهْلُ زُبَيْدٍ ، قَدْ عَزَمُوا عَلَى قِرَاءَتِهِ عَلَيْهِ ، فَحَالَتِ الْمَنِيَّةُ دُونَ ذَلِكَ. قَالَ : وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِيمَا يُقَارِبُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَوَضَعَ كِتَابَهُ عَلَى سِتَّةِ كُتُبٍ : الْأَوَّلُ السَّالِمُ ، الثَّانِى الْمُضَاعَفُ ، الثَّالِثُ الْمِثَالُ ، وَهُوَ مَا كَانَ فِى أَوَّلِهِ

(١) المنتاب : الذى يغدو ويروح

وَاوٌ أَوْ يَاءٌ ، وَالرَّابِعُ كِتَابُ ذَوَاتِ الثَّلَاثَةِ ، وَهُوَ مَا كَانَ فِي وَسَطِهِ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْعِلَّةِ (١) ، وَالْخَامِسُ كِتَابُ ذَوَاتِ الْأَرْبَعَةِ ، وَهُوَ مَا كَانَ آخِرُهُ حَرْفَ عِلَّةٍ ، وَالسَّادِسُ كِتَابُ الْهَمْزَةِ ، وَكُلُّ كِتَابٍ مِنْ هَذِهِ السِّتَّةِ أَسْمَاءٌ وَأَفْعَالٌ ، يُورِدُ الْأَسْمَاءَ أَوَّلًا ثُمَّ الْأَفْعَالَ بَعْدَهُ . وَلَهُ كِتَابُ بَيَانِ الْإِعْرَابِ ، كِتَابُ شَرْحِ أَدَبِ الْكَاتِبِ ، كِتَابُ دِيوَانِ الْأَدَبِ . قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي نَصْرٍ ، إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادٍ الْجَوْهَرِيِّ ، الْفَارَابِيِّ النَّسَوِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ (٢) قَالَ : قَرَأْتُهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ — رَحِمَهُ اللَّهُ — بِفَارَابَ ، ثُمَّ عَلَى أَبِي السَّرِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيِّ بِأَصْبَهَانَ ، ثُمَّ عَرَضْتُهُ عَلَى الْقَاضِي أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ بِبَغْدَادَ . قَالَ الْحَاكِمُ : وَكُنْتُ قَرَأْتُ بَعْضَهُ إِلَى مَوْضِعِ الْبَلَاغِ ، وَهُوَ آخِرُ الْأَسْمَاءِ عَلَى أَبِي يَعْقُوبَ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْفَرْغَانِيِّ الزَّبْرِقَانِيِّ (٣) قَالَ : قَرَأْتُهُ عَلَى

(١) المسمى فى اصطلاح الصرفيين : الاجوف

(٢) سقط من الأصل : النيسابورى ، فذكرت كما ترى

(٣) كانت فى الاصل : « النربزقانى » : فأصلحت إلى ما ذكر

أَبِي عَلِيٍّ، الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بْنِ سَعْدٍ الزَّامِيِّ، وَقَرَأَهُ أَبُو عَلِيٍّ عَلَى أَبِي إِبْرَاهِيمَ. قَالَ الْحَاكِمُ: قَوْلُ الْجَوْهَرِيِّ عَرَضْتُهُ عَلَى الْقَاضِي أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ، يُرِيدُ أَنَّهُ قَبِلَهُ وَلَمْ يُنْكِرْهُ، فَصَارَ عِنْدَهُ مِنْ صِحَاحِ اللُّغَةِ، فَأَمَّا الرَّدُّ مِنْ قِبَلِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ السِّيرَافِيِّ، فَأَنْكَرَهُ[(١)] مِنْ كَلِمَاتٍ عُلِّمَ عَلَيْهَا بِخَطِّ الْجَوْهَرِيِّ، وَفِي آخِرِ[(٢)] الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنْ نُسْخَةِ الْحَاكِمِ: قَرَأَ عَلَيَّ أَبُو سَعْدٍ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ ابْنُ مُحَمَّدٍ، بْنِ مُحَمَّدٍ، بْنِ عَزِيزٍ، هٰذَا الْكِتَابَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَصَحَّحْتُهُ لَهُ، وَكَتَبَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ الْجَوْهَرِيُّ، وَعَلَى النُّسْخَةِ أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ سَمِعَهُ مِنِّي، وَلَدَيَّ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ بِقِرَاءَتِي إِيَّاهُ، إِلَّا أَوْرَاقًا قَرَأَهَا الْحَسَنُ بِنَفْسِهِ عَلَيَّ، وَصَحَّ سَمَاعُهُمَا، وَاللّٰهُ تَعَالَى يُبَارِكُ لَهُمَا فِيهِ، وَيُوَفِّقُهُمَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ.

وَكَتَبَ أَبُوهُمَا يَعْقُوبُ بْنُ أَحْمَدَ، غُرَّةَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ

(١) لعل الصواب « فعلى ما » فهو مايدل عليه السياق

(٢) كانت فى الاصل : « فى آخره »

خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ثُمَّ قَرَأَهُ عَلَيَّ وَلَدِي الْحَسَنُ ، قِرَاءَةَ بَحْثٍ وَاسْتِقْصَاءٍ ، مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، بِمَا عَلَى حَوَاشِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ ، وَشَرَحَ الْأَبْيَاتَ فِي شُهُورٍ ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَعَلَى النُّسْخَةِ أَيْضًا قَبْلَ ذَلِكَ مَا صُورَتُهُ : سَمِعَهُ مِنِّي بِلَفْظِي ، وَصَحَّحَهُ عَرْضًا[1] بِنُسْخَتِي ، صَاحِبُهُ أَبُو يُوسُفَ ، يَعْقُوبُ بْنُ أَحْمَدَ ، وَفَرَغَ مِنْهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دُوسْتَ بِخَطِّهِ ، قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : فَهَذَا مَعَ وُضُوحِهِ ، وَكَوْنِ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ مَشْهُورِينَ ، مَعْرُوفِينَ ، وَمَعْرِفَتِي بِالْخُطُوطِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى النُّسْخَةِ ، كَمَعْرِفَتِي بِمَا لَا أَشُكُّ فِيهِ ، يُبْطِلُ مَا كَتَبَ إِلَيْنَا الْقَاضِي الْقِفْطِيُّ ، مِنْ كَوْنِ هَذَا الْكِتَابِ صُنِّفَ بِزُبَيْدَ ، وَأَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ عَلَى مُصَنِّفِهِ .

(١) عرضا : مقابلة

٤ – إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ شَبِيبِ ، بْنِ نَصْرِ ، بْنِ شَبِيبِ *

إسحاق بن أحمد الصفار

ابْنِ الْحَكَمِ ، بْنِ أَقْلَدَ ، بْنِ عُقْبَةَ ، بْنِ يَزِيدَ ، بْنِ سَلَمَةَ ، بْنِ رُؤْبَةَ ، بْنِ خَفَاتَةَ ، بْنِ وَائِلِ ، بْنِ هُضَيْمِ ، بْنِ ذُبْيَانَ الصَّفَّارُ ، أَبُو نَصْرٍ الْأَدِيبُ الْبُخَارِىُّ ، مِنْ أَهْلِ بُخَارَى ، كَانَ أَحَدَ أَفْرَادِ الزَّمَانِ فِى عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِدَقَائِقِهَا الْخَفِيَّةِ ، وَكَانَ فَقِيهًا وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَرَوَى بِهَا ، وَمَاتَ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَإِنَّهُ فِى هَذِهِ السَّنَةِ

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ بغداد ، جزء سادس ، ص ٤٠٣ قال :
يعرف بالصفار ، قدم بغداد حاجا فى سنة خمس وأربعمائة ، وحدث بها عن نصر ابن احمد إسماعيل الكنانى ، صاحب جبريل بن مجاع السمرقندى .
حدثنى عنه الحسن بن على ، بن محمد ، بن المذهب ، وأثنى عليه .
وترجم له فى بغية الوعاة صفحة ١٩١ بما يأتى .
« أسحاق بن احمد ، بن شبيب بن نصر ، بن الحكم بن شيث ، أبو نصر الصفار البخارى »
كان أحد أفراد الزمان فى علم العربية ، والمعرفة بدقائقها الخفية ، فقيها ، ورد الى بغداد ، وروى بها ، وخراسان والعراق ، والحجاز .
وقال الحاكم : مارأيت ببخارى مثله فى حفظ الادب والفقه : وقال الخطيب : حدث عن نصر بن احمد بن اسماعيل الكنانى . وروى عنه الحسن بن على المذهب ، وكان حسن الشعر ، صنف المدخل الى كتاب سيبويه ، والمدخل الصغير فى النحو ، والرد على حمزة فى حدوث التصحيف . مات بالطائف بعد أن وطنها ، بعد سنة خمس وأربعمائة

حَدَّثَ بِبَغْدَادَ ، ذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ أَبُو سَعْدٍ فِي تَارِيخِ مَرْوَ ، وَالْحَاكِمُ بْنُ الْبَيِّعِ ، فِي تَارِيخِ نَيْسَابُورَ ، وَالْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ . قَالَ تَاجُ الْإِسْلَامِ : وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ : وَرَدَ أَبُو نَصْرٍ الصَّفَّارُ خُرَاسَانَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ ، وَسَكَنَ الطَّائِفَ ، وَبِهَا تُوُفِّيَ ، وَقَبْرُهُ بِهَا مَعْرُوفٌ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ فِي اللُّغَةِ ، وَكَانَ حَسَنَ الشِّعْرِ ، وَهُوَ جَدُّ الزَّاهِدِ الصَّفَّارِ ، إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ ، الَّذِي لَقِينَاهُ بِمَرْوَ . وَسَمِعَ نَصْرَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْكِنَانِيَّ . وَرَوَى عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ الْمُذَهِّبِ التَّمِيمِيُّ الْبَغْدَادِيُّ .

وَقَالَ الْحَاكِمُ أَبُو نَصْرٍ الْفَقِيهُ ، الْأَدِيبُ الْبُخَارِيُّ الصَّفَّارُ ، بَعْدَ مَا ذَكَرَ سِنَّهُ كَمَا تَقَدَّمَ : قَدِمَ عَلَيْنَا حَاجًّا ، وَمَا كُنْتُ رَأَيْتُ مِثْلَهُ (١) بِبُخَارَى فِي سِنِّهِ ، فِي حِفْظِ الْأَدَبِ وَالْفِقْهِ ، وَقَدْ طَلَبَ الْحَدِيثَ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنَ

(١) وكانت فى الاصل : « رأيته » ولعل ما ذكر هو المناسب للمقام

الشِّعْرِ الْمَتِينِ مَا يَطُولُ شَرْحُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَلْعَيْنُ مِنْ زَهْرِ الْخَضْرَاءِ فِي شُغُلِ
وَالْقَلْبُ مِنْ هَيْبَةِ الرَّحْمَنِ فِي وَجَلِ
لَوَ لَمْ تَكُنْ هَيْبَةُ الرَّحْمَنِ تَرْدَعُنِي
سَرَقْتُ مِنْ قُبَلِي فِي صَحْنِ خَدٍّ وَلِي
يَا دُمْيَةً [1] خُلِقَتْ كَالشَّمْسِ فِي الْمَثَلِ
حُورِيُّ جِسْمٍ وَلَكِنْ صُورَةُ الرَّجُلِ
لَوْ كَانَ صَيْدُ الدُّمَى [2] وَالْمُرْدِ مِنْ عَمَلِي
لَكُنْتُ مِنْ طَرَبٍ كَالشَّارِبِ الثَّمِلِ [3]
لَكِنَّنِي مِنْ وَثَاقِ الْعَقْلِ فِي عُقُلِ [4]
وَلَيْسَ لِي عَنْ وِفَاقِ الْعَقْلِ مِنْ حِوَلِ
أَللهُ يَرْقُبُنِي وَالْعَقْلُ يَحْجُبُنِي
فَمَا لِمِثْلِي إِذًا فِي اللَّهْوِ وَالْغَزَلِ

(١) الدمية : الصورة المنقوشة من الرخام

(٢) الدمي : جمع دمية

(٣) السكران

(٤) جمع عقال : وهو حبل يشد به البعير في ذراعه

كَلِفَتْ نَفْسِىَ عِزًّا فِى صِيَانَتِهَا
دِينُ الْوَرَى لَهُمْ طُرًّا وَدِينِىَ لِى

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَلِيٍّ الْخَطِيبُ : إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ، ابْنِ شَبِيبٍ أَبُو نَصْرٍ الْبُخَارِىُّ ، وَيُعْرَفُ بِالصَّدْقِ ، قَدِمَ بَغْدَادَ فِى سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَحَدَّثَ بِهَا عَنْ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْكِنَانِىِّ ، صَاحِبِ جِبْرِيلَ السَّمَرْقَنْدِىِّ ، حَدَّثَنِي عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ الْمُذْهِبِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَرَأَيْتُ أَنَا لَهُ كِتَابًا فِى النَّحْوِ عَجِيبًا ، سَمَّاهُ كِتَابَ الْمَدْخَلِ إِلَى سِيبَوَيْهِ ، ذَكَرَ فِيهِ الْمَبْنِيَّاتِ فَقَطْ ، يَكُونُ نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، وَوَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى كَلَامِ مَنْ تَبَحَّرَ فِى هَذَا الشَّأْنِ ، وَاشْتَمَلَ عَلَى غَوَامِضِهِ إِلَى أَقْصَى مَكَانٍ ، وَلَهُ غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ التَّصَانِيفِ فِى الْأَدَبِ ، وَكِتَابُ الْمَدْخَلِ الصَّغِيرُ فِى النَّحْوِ ، وَكِتَابُ الرَّدِّ عَلَى حَمْزَةَ فِى حُدُوثِ التَّصْحِيفِ .

﴿ ٥ – إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ﴾
﴿ ابْنِ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ سَالِمٍ* ﴾

إسحاق البخارى

أَبُو حُذَيْفَةَ الْبُخَارِىُّ ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، وُلِدَ بِبَلْخَ ، وَاسْتَوْطَنَ بُخَارَى ، فَنُسِبَ إِلَيْهَا ، وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ

(*) ترجم له فى تاريخ مدينة السلام ص ٤٦١ ج رابع مخطوطات بما يأتى قال : « إسحاق بن بشر ، بن محمد ، بن عبد الله ، بن صالح أبو حذيفة البخارى ، مولى بنى هاشم » ولد ببلخ ، واستوطن بخارى ، ونسب اليها ، وهو صاحب كتاب المبتدا ، وكتاب الفتوح ، حدث عن محمد بن إسحاق بن يسار ، وعبد الملك بن جرير ، وسعيد بن أبى عروبة ، وجويبر بن سعيد ، ومقاتل بن سليمان ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، وإدريس بن سنان ، وخلق من أئمة أهل العلم ، أحاديث باطلة . روى عنه جماعة من الخراسانيين ، ولم يرو عنه من البغداديين فيما أعلم ، سوى اسماعيل بن عيسى العطار ، فانه سمع منه مصنفاته ، ورواها عنه ، وذكر الحسن بن علويه القطان : أن هارون الرشيد ، بعث الى أبى حذيفة ، فأقدمه بغداد ، وكان يحدث فى المسجد المنسوب إلى ابن رغبان ، قرأت على الحسن بن أبى القاسم ، عن أبى سعيد أحمد بن محمد بن رميح النسوى قال : سمعت أحمد بن محمد ، بن عمر بن بسطام يقول : سمعت أحمد بن سيار بن أيوب يقول : وكان ببخارى شيخ يقال له أبو حذيفة ، إسحاق بن بشر القرشى ، وكان صنف فى بدو الخلق كتاباً ، وفيه أحاديث ليست لها أصول ، وكان يتعرض فيروى عن قوم ليسوا ممن يدركهم مثله ، فاذا سألوه عن آخرين دونهم يقول : من أين أدركت هؤلاء ؟ وهو يروى عمن فوقهم ، وكانت فيه غفلة ، مع أنه كان يزن بحفظ . وسمعت اسحاق بن منصور يقول : قدم علينا ههنا ، فكان يحدث عن ابن طاوس ، ورجال كبار من التابعين ، ممن قد ماتوا قبل حميد الطويل ، قالوا : فقلنا له : كتبت عن حميد الطويل ، قال فقزع : وقال جئتم —

الْمُبْتَدَإِ وَغَيْرِهِ ، مَاتَ بِبُخَارَى سَنَةَ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ ، حَدَّثَ
ـ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، بْنِ يَسَارٍ ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ جُرَيْجٍ ،
وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، وَجُوَيْبِرِ بْنِ سَعِيدٍ ، وَمُقَاتِلِ بْنِ
سُلَيْمَانَ ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَإِدْرِيسَ
ابْنِ سِنَانٍ ، وَخَلْقٍ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ ـ أَحَادِيثَ بَاطِلَةً ،

ـــ تسخرون بى . حميد عن أنس جدى ، لم يلق حميداً قال : فقلنا : أنت تروى عمن مات قبل حميد بكذا وكذا سنة . قال : فعلمنا ضعفه ، وانه لا يعلم ما يقول . قال أحمد بن سيار : سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد يقول : بلغنى أن أبا حذيفة البخارى ، قدم أراضى مكة ، بجعل يقول : حدثنى ابن طاوس ، قال : فقيل لسفيان بن عيينة : قدم إنسان من أهل بخارى وهو يقول: أخبرنا ابن طاوس فقال : اسألوه ابن كم هو؟ قال : فسألوه فناظروه ، فاذا ابن طاوس مات قبل مولده بسنين . أخبرنى الازهرى ، أخبرنا عبد الله بن عثمان الصفار ، أخبرنا محمد بن عمران الصيرفى ، حدثنا عبيدالله بن على المدينى ، قال : سمعت أبى يقول : أبو حذيفة الخراسانى كذاب . كان يحدث عن ابن طاوس ، فجاءوا إلى ابن عيينة ، فأخبروه بسنه ، فاذا ابن طاوس مات قبل أن يولد . حدثنى أحمد بن محمد المستملى : أخبرنا محمد ابن جعفر الشروطى ، أخبرنا أبو الفتح محمد بن الحسين الازدى ، قال اسحاق بن بشر : أبو حذيفة ، متروك الحديث ساقط ، رمي بالكذب . أخبرنى عبيد الله بن أبى الفتح ، أخبرنا أبو الحسن الدارقطنى قال : اسحاق بن بشر أبو حذيفة متروك الحديث . أخبرنى أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندى ، أخبرنا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ ببخارى ، أخبرنا خلف بن محمد ، أخبرنا أحمد بن خالد قال : سمعت أبا جعفر محمد ، بن أحمد بن موسى بن سلام القاضى يقول : كان جدى موسى بن سلام يقول : لما قدم أبو حذيفة البلخى اسحاق بن بشر ، صحبته ، فتوطن بخارى ، ومات بها ، قال أبو عبد الله ، توفى أبو حذيفة اسحاق بن بشر ، يوم الاحد ، ودفن يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة خلت من رجب ، سنة ست ومائتين .

رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْخُرَاسَانِيِّينَ ، وَلَمْ يَرْوِ عَنْهُ مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ فِيمَا أَعْلَمُ ، سِوَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيسَى الْعَطَّارِ ، فَإِنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَرَوَاهَا عَنْهُ ، وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ عَلَوَيْهِ الْقَطَّانُ : أَنَّ الرَّشِيدَ بَعَثَ إِلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، فَأَقْدَمَهُ بَغْدَادَ ، وَكَانَ يُحَدِّثُ فِي الْمَسْجِدِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ رُغْبَانَ .

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَيَّارِ ، بْنِ أَيُّوبَ : كَانَ بِبُخَارَى شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو حُذَيْفَةَ ، إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرٍ الْقُرَشِيُّ ، وَكَانَ صَنَّفَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ كِتَاباً ، وَفِيهِ أَحَادِيثُ لَيْسَتَ لَهَا أُصُولٌ ، وَكَانَ يَتَعَرَّضُ فَيَرْوِي عَنْ قَوْمٍ لَيْسُوا مِمَّنْ أَدْرَكَهُمْ مِثْلُهُ ، فَإِذَا سَأَلُوهُ عَنْ آخَرِينَ دُونَهُمْ يَقُولُ : مِنْ أَيْنَ أَدْرَكْتُ هَؤُلَاءِ ؟ وَهُوَ يَرْوِي عَمَّنْ فَوْقَهُمْ ، وَكَانَتْ فِيهِ غَفْلَةٌ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُزَنُّ (١) بِحِفْظٍ ، وَسَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ مَنْصُورٍ يَقُولُ : قَدِمَ عَلَيْنَا هَهُنَا ، وَكَانَ يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ ، وَرِجَالٍ كِبَارٍ مِنَ التَّابِعِينَ ، مِمَّنْ مَاتُوا قَبْلَ

(١) أى يتهم

حَمِيدٍ الطَّوِيلِ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : كَتَبْتَ عَنْ حَمِيدٍ الطَّوِيلِ ؟ قَالَ : فَفَزِعَ وَقَالَ : جِئْتُمْ تَسْخَرُونَ بِي ، حَمِيدٌ عَنْ أَنَسٍ جَدِّي لَمْ يَلْقَ حَمِيداً . قَالَ : فَقُلْنَا لَهُ أَنْتَ تَرْوِي عَمَّنْ مَاتَ قَبْلَ حَمِيدٍ بِكَذَا كَذَا سَنَةً ، قَالَ : فَعَلِمْنَا ضَعْفَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَقُولُ .

وَقَالَ أَبُو رَجَاءٍ قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ : بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا حُذَيْفَةَ الْبُخَارِيَّ قَدِمَ مَكَّةَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : حَدَّثَنِي ابْنُ طَاوُسٍ ، فَقِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : سَلُوهُ عَنْ مَوْلِدِهِ ، فَسَأَلُوهُ ، فَإِذَا ابْنُ طَاوُسٍ مَاتَ قَبْلَ مَوْلِدِهِ بِسِنِينَ . فَقَالَ : وَهُوَ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ ، سَاقِطٌ رُمِيَ بِالْكَذِبِ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : كُلُّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ كِتَابِ الْخَطِيبِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ كِتَابُ الْمُبْتَدَإِ ، كِتَابُ الْفُتُوحِ ، كِتَابُ الرِّدَّةِ ، كِتَابُ الْجَمَلِ ، كِتَابُ الْأَلْوِيَةِ ، كِتَابُ صِفِّينَ ، كِتَابُ حَفْرِ زَمْزَمَ .

﴿ ٦ – إِسْحَاقُ بْنُ مَسْلَمَةَ (١) بْنِ إِسْحَاقَ الْقَيْنِيُّ * ﴾

اسحاق بن مسلمة القيني

أَخْبَارِيٌّ عَالِمٌ أَنْدَلُسِيٌّ ، لَهُ كِتَابٌ يَشْتَمِلُ عَلَى أَجْزَاءٍ كَثِيرَةٍ فِي أَخْبَارِ « رِيَّةَ » نَاحِيَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَحُصُونِهَا وَوُلَاتِهَا ، وَحُرُوبِهَا ، وَفُقَهَائِهَا ، وَشُعَرَائِهَا ، ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ .

﴿ ٧ – إِسْحَاقُ بْنُ عَمَّارٍ ، يُعْرَفُ بِابْنِ الْجَصَّاصِ * ﴾

اسحاق بن عمار

يُكْنَى أَبَا يَعْقُوبَ ، مِنْ مَوَالِي الْيَمَنِ ، وَكَانَ صَاحِبَ عِيسَى بْنِ مُوسَى فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ . فَكَانَ النَّاسُ يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ الشِّعْرَ فِي دَارِ عِيسَى ، قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ : قَالَ عِيسَى بْنُ جَعْفَرٍ : إِسْحَاقُ بْنُ عَمَّارٍ مِنْ مَوَالِي الْيَمَنِ ، وَيُقَالُ : هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَإِسْحَاقُ أَبُوهُ هُوَ الْجَصَّاصُ ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي وَلَائِهِ أَيْضاً . وَقَالَ الْكِسَائِيُّ :

---

(١) ابن مسلمة هكذا فى الاصل — وفى نسخة العماد الخطية : ابن سلمة

(*) راجع تاريخ علماء الاندلس ص ٦٩

وله ترجمة أخرى فى كتاب بغية الملتمس من المكتبة الاندلسية ص ٢٢١

(*) لم نعثر على من ترجم له غير ياقوت

إِسْحَاقُ بْنُ عَمَّارٍ الْجَصَّاصُ، أَحَدُ مَنْ أَخَذْنَا عَنْهُ الشِّعْرَ، وَكَانَ عَالِمًا بِهِ، وَمَاتَ فِى آخِرِ أَيَّامِ الْمَنْصُورِ. قَالَ: وَكَانَ إِذَا إِذَا تَكَلَّمَ فِى مَجْلِسٍ صَمَتَ النَّاسُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ: ذُكِرَ ابْنُ الْجَصَّاصِ الْكُوفِىُّ الرَّاوِيَةُ، عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ أَبِى فَاخْتَلَفُوا فِى وَلَائِهِ، فَقَالَ أَبِى: حَدَّثَنِى مَنْ رَآهُ، وَقَدْ دَخَلَ إِلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى، بَعْدَ أَنْ خُلِعَ وَسُلِّمَ الْعَهْدُ إِلَى الْمَهْدِىِّ فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، أَنْتَ وَاللهِ كَمَا قَالَ الْأَحْوَصُ:

فَمَنْ يَكُ عَنَّا سَائِلًا بِشَمَاتَةٍ
لِمَا مَسَّنَا أَوْ شَامِتًا[١] غَيْرَ سَائِلِ
فَمَا[٢] عَجَمَتْ مِنَّا الْعَوَاجِمُ مَاجِدًا
صَبُورًا عَلَى عَضَّاتِ[٣] تِلْكَ التَّلَاتِلِ

---

(١) كانت فى الاصل: ساكتا، وأصلحت إلى ما ذكر

(٢) أى امتحنت، ولعله: «فقد»

(٣) وفى الأغانى: «على عضات تلك التلاتل» وقد حولت الشطر اليها، والتلاتل جمع تلتلة: الشدة المقلقة

إِذَا سُرَّ لَمْ يَبْطَرْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ
أَلَمَّتْ بِهِ بِالْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحٍ الْمُقْرِىءِ قَالَ[1] : كَانَ ابْنُ الْجَصَّاصِ ، وَجَنَّادُ بْنُ وَاصِلٍ قَاعِدَيْنِ ، فَتَذَاكَرَا الْقُبُورَ ، فَقَالَ ابْنُ الْجَصَّاصِ مُتَمَثِّلاً :

فَإِنْ كُنْتِ لَاتَدْرِينَ مَا الْمَوْتُ فَانْظُرِى
إِلَى دَيْرِ هِنْدٍ كَيْفَ خُطَّتْ مَقَابِرُهْ

فَقَالَ جَنَّادٌ :

تَرَىْ عَجَبًا مِمَّا قَضَى اللهُ فِيهِمُ
رَهَائِنَ حَتْفٍ أَوْجَبَتْهُ مَقَادِرُهْ

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ :

بُيُوتٌ تَرَامَى[2] أَهْلُهَا فَوْقَ أَهْلِهَا
وَمُسْتَأْذِنٌ لَا يَرْحَلُ[3] الدَّهْرَ زَائِرُهْ

وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : ابْنُ الْجَصَّاصِ الرَّاوِيَةُ، مَوْلًى لِبِشْرِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بْنِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ .

---

(١) قال هكذا فى العماد وسقطت من الاصل : « قال » فزدناها .
(٢) كانت فى الاصل : تدانى فأصلحت الى ما ذكر ومعنى تراي انضم بعضهم إلى بعض
(٣) كانت فى الاصل لا يدخل وغيرت إلى ماترى

٨ - إِسْحَاقُ بْنُ مِرَارٍ، أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ الْكُوفِيُّ (*)

اسحاق الشيبانى الكوفى

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : كَانَ يُعْرَفُ بِأَبِي عَمْرٍو الْأَحْوَصِ ،

(*) ترجم له فى وفيات الأعيان صفحة ٦٥ جزء أول بما يأتى قال :

« أبو عمرو إسحاق بن مرار ، الشيبانى النحوى اللغوى »

هو ابن رمادة الكوفى ، ونزل إلى بغداد ، وهو من الموالى وجاور شيبان للتأديب فيها ، فنسب إليها ، وكان من الأئمة الاعلام فى فنونه ، وهى اللغة والشعر ، وكان كثير الحديث ، كثير السماع ثقة ، وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية مشهور ، والذى قصر به عند العامة من أهل العلم ، أنه كان مشتهراً بشرب النبيذ ، وأخذ عنه جماعة كبار ، منهم الامام أحمد بن حنبل ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق ، وقال فى حقه ، عاش مائة وثمانى عشرة سنة ، وكان يكتب بيده إلى أن مات ، وكان ربما استعار الكتاب منى ، وأنا إذ ذاك صبي آخذ عنه وأكتب من كتبه . وقال ابن كامل : مات إسحاق بن مرار ، فى اليوم الذى مات فيه أبو العتاهية ، وإبراهيم النديم الموصلى ، سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد . وقال غيره : بل توفى سنة ست ومائتين ، وعمره مائة وعشر سنين وهو الاصح — رحمه الله تعالى — وله من التصانيف : كتاب الخيل ، وكتاب اللغات ، وهو المعروف بالجيل ويعرف أيضاً بكتاب الحروف ، وكتاب النوادر الكبير ، ثلاث نسخ ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب النحلة ، وكتاب الابل ، وكتاب خلق الانسان ، وكان قد قرأ دواوين الشعراء على المفضل ، وكان الغالب عليه النوادر ، وحفظ الغريب ، وأراجيز العرب . قال ولده عمرو : لما جمع أبى أشعار العرب ودونها ، كانت نيفاً وثمانين قبيلة ، وكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس ، كتب مصحفاً وجعله بمسجد الكوفة ، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه . ومرار بكسر الميم وبعدها راءان بعدهما الف . وقيل توفى يوم الشعانين سنة عشر .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١٩٢

وَمِرَارٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَرَائَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ مُخَفَّفَتَيْنِ ، وَهُوَ مَوْلًى وَلَيْسَ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَإِنَّمَا كَانَ مُؤَدِّبًا لِأَوْلَادِ نَاسٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ ، كَمَا نُسِبَ الْيَزِيدِيُّ إِلَى يَزِيدَ ابْنِ مَنْصُورٍ ، حِينَ أَدَّبَ وَلَدَهُ .

وَقَرَأْتُ فِي أَمَالِي أَبِي إِسْحَاقَ النَّجِيرَمِيِّ[١] : ذَكَرَ أَنَّ يُوسُفَ الْأَصْبَهَانِيَّ قَالَ : أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ مِنَ الدَّهَاقِينِ[٢] وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الشَّيْبَانِيُّ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُؤَدِّبُ وَلَدَ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، الَّذِينَ كَانُوا فِي حِجْرِ يَزِيدَ بْنِ مَزْيَدٍ الشَّيْبَانِيِّ ، فَنُسِبَ إِلَيْهِ . قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : وَأَبُو عَمْرٍو رَاوِيَةُ أَهْلِ بَغْدَادَ ، وَاسِعُ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ ، ثِقَةٌ فِي الْحَدِيثِ ، كَثِيرُ السَّمَاعِ . وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ فِي اللُّغَةِ جِيَادٌ ، مَاتَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ ، سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ ، أَوْ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَدْ بَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ وَعَشْرَ سِنِينَ .

وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ : مَاتَ أَبُو عَمْرٍو ، وَلَهُ ثَمَانَ عَشْرَةَ

(١) نسبة إلى نجيرم بفتح الاول والثانى ، ويروى بكسر الثانى : محلة بالبصرة .

(٢) جمع دهقان ، وهو التاجر ورئيس الاقليم

وَمِائَةٍ سَنَةٍ ، وَكَانَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ رُبَّمَا اسْتَعَارَ مِنِّى الْكُتُبَ ، وَأَنَا إِذْ ذَاكَ صَبِيٌّ آخُذُ عَنْهُ ، وَأَكْتُبُ مِنْ كُتُبِهِ . وَقَالَ ابْنُ كَامِلٍ : مَاتَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ، وَأَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِىُّ ، وَإِبْرَاهِيمُ الْمُغَنِّى، وَالِدُ إِسْحَاقَ فِى يَوْمٍ وَاحِدٍ ، سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، بِبَغْدَادَ .

قَالَ ابْنُ دَرَسْتَوَيْهِ : وَلَهُ بَنُونَ وَبَنُو بَنِينَ يَرْوُونَ عَنْهُ كُتُبَهُ ، وَأَصْحَابٌ عُلَمَاءُ ثِقَاتٌ ، وَكَانَ مِمَّنْ يَلْزَمُ مَجْلِسَهُ ، وَيَكْتُبُ عَنْهُ الْحَدِيثَ : أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - وَحَدَّثَ الْخُزُنْبُلُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِى عَمْرٍو الشَّيْبَانِىِّ قَالَ : لَمَّا جَمَعَ أَبِى أَشْعَارَ الْقَبَائِلِ ، كَانَتْ نَيِّفًا وَثَمَانِينَ قَبِيلَةً ، فَكَانَ كُلَّمَا عَمِلَ مِنْهَا قَبِيلَةً وَأَخْرَجَهَا إِلَى النَّاسِ ، كَتَبَ مُصْحَفًا بِخَطِّهِ ، وَجَعَلَهُ فِى مَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، حَتَّى كَتَبَ نَيِّفًا وَثَمَانِينَ مُصْحَفًا . وَكَانَ يَقُولُ : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّهُ يُوطِئُ الْفُقَرَاءَ بُسُطَ (١) الْمُلُوكِ .

(١) أى يقرب منازل الفقراء ، من منازل الملوك

وَرُوِىَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ يَوْماً لِأَصْحَابِهِ :
لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ أُمْنِيَةَ سُوءٍ، فَإِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ (١)
هٰذَا الْمُؤَمَّلُ قَالَ :

شَفَّ (٢) الْمُؤَمَّلَ يَوْمَ الْحِيْرَةِ النَّظَرُ
لَيْتَ الْمُؤَمَّلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ

فَذَهَبَ بَصَرُهُ . وَهٰذَا مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ قَالَ :

فَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى أَخْبِطُ الْأَرْضَ بِالْعَصَا
أَصَمَّ وَنَادَتْنِي أَجَبْتُ الْمُنَادِيَا

فَعَمِيَ وَصَمَّ .

وَقَالَ أَبُو شِبْلٍ يَهْجُو أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ :

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو (٣) أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ
حَتَّى أَلَمَّتْ بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ (٤)

---

(١) أى أن ما يصيب الانسان من هم وغم، متوقف على النطق باللسان
(٢) شف الحزن فلاناً : هزله وأنحله
(٣) فى الاصل : أرجو ، وغيرت إلى ما ذكر
(٤) أى نزلت بنا المصائب والبلايا

فَقُلْتُ : وَالْمَرْءُ قَدْ تُخْطِيهِ مُنْيَتُهُ

أَدْنَى عَطِيَّتِهِ إِيَّاىَ مِيَّاتُ[١]

فَكَانَ مَاجَادَ لِى ـ لَاجَادَ ـ عَنْ سَعَةٍ

دَرَاهِمٌ زَائِفَاتٌ ضَرْبَجِيَّاتُ[٢]

مَا الشِّعْرُ ـ وَيْحَ ـ أَبِيهِ مِنْ صِنَاعَتِهِ

لَكِنْ صِنَاعَتُهُ بُخْلٌ وَحَالَاتُ[٣]

وَدَنُّ خَلٍّ ثَقِيلٌ[٤] فَوْقَ عَاتِقِهِ

فِيهِ رُعَيْثَاءُ[٥] مَخْلُوطٌ وَصَحْنَاةُ

فَلَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَمْرٍو وَمِشْيَتَهُ

كَأَنَّهُ جَاحِظُ الْعَيْنَيْنِ نَهَّاتُ

نَهَّاتُ : أَىْ نَهَّاقُ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ

---

(١) جعلها العينى فى شواهده ميآت

(٢) كانت فى الاصل « ثلاثة ناقصات مدلهات » والضربجى : المزيف ، فهو صفة مؤكدة

(٣) كانت فى الاصل : « وبالات » فأصلحت إلى ما ذكر ، يريد وأحوال كثيرة .

(٤) كانت فى الاصل : « بفتل » فأصلحت إلى ما ذكر

(٥) الصحنا والصحناء ، بالفتح والكسر ويمدان : ادام يتخذ من صغار السمك مشه للمعدة ، والرعيثاء : عشب له حب طوال ، وكانت فى الاصل : ربيثاء

كِتَابُ الْجِيمِ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ ، كِتَابُ أَشْعَارِ الْقَبَائِلِ ، خَتَمَهُ بِابْنِ هَرْمَةَ ، كِتَابُ الْخَيْلِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْمُصَنَّفِ ، كِتَابُ اللُّغَاتِ ، كِتَابُ غَرِيبِ الْحَدِيثِ ، كِتَابُ النَّوَادِرِ الْكَبِيرُ عَلَى ثَلَاثِ نُسَخٍ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ مَرَاتِبِ النَّحْوِيِّينَ : وَأَمَّا كِتَابُ الْجِيمِ فَلَا رِوَايَةَ لَهُ ، لِأَنَّ أَبَا عَمْرٍو بَخِلَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، فَلَمْ يَقْرَأْهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ فَقَالَ : هُوَ كُوفِيٌّ نَزَلَ بَغْدَادَ ، وَحَدَّثَ بِهَا عَنْ رُكَيْنٍ الشَّامِيِّ . رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ عَمْرٌو ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ ، وَكَانَ ثِقَةً . قَالَ ثَعْلَبٌ : وَكَانَ مَعَ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ مِنَ الْعِلْمِ وَالسَّمَاعِ ، عَشَرَةُ أَضْعَافِ مَا كَانَ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِثْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي السَّمَاعِ وَالْعِلْمِ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَلَقَدْ أَسْرَفَ ثَعْلَبٌ فِيمَا فَضَّلَ بِهِ أَبَا عَمْرٍو ، فَإِنَّنِي لَا أَقُولُ : إِنَّ اللهَ خَلَقَ رَجُلًا كَانَ أَوْسَعَ رِوَايَةً وَعِلْمًا مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي زَمَانِهِ . وَحَدَّثَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ :

دَخَلتُ عَلى أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ قِمَطْرٌ[١] فِيهِ أُمَنَاءُ مِنَ الْكُتُبِ يَسِيرَةٌ ، فَقُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الشَّيْخُ : هَذَا عِلْمُكَ ؟ فَتَبَسَّمَ إِلَيَّ وَقَالَ : إِنَّهُ مِنْ صِدْقٍ كَثِيرٌ[٢] .

وَقَالَ الْخَطِيبُ : كَانَ أَبُو عَمْرٍو نَبِيلًا ، فَاضِلًا ، عَالِمًا بِكَلَامِ الْعَرَبِ ، حَافِظًا لِلُغَاتِهَا ، عَمِلَ كِتَابَ شُعَرَاءِ مُضَرَ ، وَرَبِيعَةَ ، وَيَمَنٍ ، إِلَى ابْنِ هَرْمَةَ ، وَسَمِعَ مِنَ الْحَدِيثِ سَمَاعًا وَاسِعًا ، وَعُمِّرَ عُمْرًا طَوِيلًا ، حَتَّى أَنَافَ[٣] عَلَى التِّسْعِينَ ، وَهُوَ عِنْدَ الْخَاصَّةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَالرِّوَايَةِ ، مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ ، وَالَّذِي قَصَّرَ بِهِ عِنْدَ الْعَامَّةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّهُ كَانَ مُسْتَهْتِرًا بِالنَّبِيذِ وَالشُّرْبِ لَهُ . قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِيِّ ، فِي كِتَابِ نَظْمِ الْجُمَانِ لِلْمُنْذِرِيِّ ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ النَّضْرِ الْمُثَنَّى[٤] قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ صُبَيْحٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُوكَ يَعْنِي النَّضْرَ ، قَالَ : كُنْتُ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ

---

(١) قمطر : وعاء تصان فيه الكتب ، وإنما جعلهم أمناء على حد قول الشاعر :

« لنا أمناء ما نمل حديثهم »

(٢) كأن السائل كان يسخر من بضاعته العلمية فأفحمه بقوله : أنه متى كان من صادق ، فانه كثير « عبد الخالق »

(٣) أناف : زاد (٤) وكانت فى الاصل : « المثنى » وأصلحت

عِنْدَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادِ ، بْنِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَجَاءَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ فَقَالَ لِي : مَنْ هَذَا الشَّيْخُ ؟ قُلْتُ ، هَذَا أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ ، صَاحِبُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْغَرِيبِ ، وَكَانَ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ نَحْوٌ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَمِائَةٍ ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ أُسَائِلُهُ عَنْ أَيَّامِهِ وَسِنِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا رَاحَ[١] بِكَ ؟ أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ : إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : فَمَتَى خَلَقَهُ ؟ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ أَوْ بَعْدَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ، فَأَطْرَقَ طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : أَنْتَ شَيْخٌ جَدِلٌ[٢] ، هَذَا قَوْلِي ، وَقَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ سَعِيدٌ : فَغَدَوْتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى أَبِي عَمْرٍو ، وَكَانَ مَجْلِسُهُ وَكُنْتُ أَقْرَبُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ يَا أَبَا عَمْرٍو « وَإِيشْ[٣] » كُنْتَ تَصْنَعُ عِنْدَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادٍ ؟ قَالَ : مَنْ أَخْبَرَكَ ؟ فَقَالَ : أَحْمَدُ بْنُ أَبِي غَالِب ، أُلُهُ عَنْ هَذَا ، فَإِنَّ هَذَا بِي عَارِفٌ ، يَعْنِي الْمَأْمُونَ ، دَعُوا هَذَا لَا تَتَكَلَّمُوا بِهِ .

---

(١) أي ما جاء بك وقت الرواح

(٢) كثير الجدل

(٣) يعنى أي شيء

٩ – إِسْحَاقُ بْنُ نُصَيْرٍ الْكَاتِبُ الْبَغْدَادِيُّ، أَبُو يَعْقُوبَ، *

إسحاق ابن نصير البغدادي

كَاتِبُ الرَّسَائِلِ بِدِيوَانِ مِصْرَ، بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، ابْنِ عَبْدِ كَانَ، قَالَ ابْنُ زُولَاقٍ: مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، قَالَ ابْنُ زُولَاقٍ: وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ كَانَ، عَلَى الْمُكَاتَبَاتِ وَالرَّسَائِلِ، مُنْذُ أَيَّامِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ، وَمُكَاتَبَاتُهُ وَأَجْوِبَتُهُ مَوْجُودَةٌ، إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو يَعْقُوبَ، إِسْحَاقُ بْنُ نُصَيْرٍ الْبَغْدَادِيُّ مِنَ الْعِرَاقِ، وَالْتَمَسَ التَّصَرُّفَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبْدِ كَانَ، فِيمَاذَا تَتَصَرَّفُ؟ فَقَالَ: فِي الْمُكَاتَبَاتِ وَالْأَجْوِبَةِ وَالتَّرَسُّلِ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي جَعْفَرٍ كُتُبٌ قَدْ وَرَدَتْ، فَقَالَ لَهُ: خُذْ هَذِهِ وَأَجِبْ عَنْهَا، فَأَخَذَهَا وَمَضَى إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الدَّارِ، فَأَجَابَ عَنْهَا، ثُمَّ وَضَعَ خُفَّهُ تَحْتَ رَأْسِهِ وَنَامَ، وَقَامَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى الْحُجْرَةِ الَّتِي لَهُ، فَاجْتَازَ بِهِ وَالْكُتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا، فَلَمَّا تَأَمَّلَهَا

(*) ترجم له في كتاب فهرست ابن النديم صفحة ٥٠٦ بما يأتي قال:

هو ممن يتعاطى الصنعة، وله معرفة بالتلويحات وأعمال الزجاج، وله من الكتب:

كتاب التلاويح، وسيول الزجاج، كتاب صناعة الدر الثمين

جَعَلَ يُرَوِّحُ (١) إسحاقَ بنَ نُصَيرٍ حتَّى انتبهَ، فقالَ لهُ: عمَّنْ أخذتَ الكِتْبَةَ (٢)؟ وأجرَى عليهِ أربعينَ دينارًا في كلِّ شهرٍ، فلمْ يزلْ معَ أبي جعفرٍ إلى أنْ تُوُفِّيَ أبو جعفرٍ، وانفردَ بالأمرِ عليُّ بنُ أحمدَ الماذرائيُّ، فقالَ لإسحاقَ: الْزَمْ منزلَكَ، فانصرفَ، فوردتْ كُتُبٌ فأجابَ عنها عليُّ بنُ أحمدَ، ودخلَ على أبي الجيشِ، خُمارويهِ بنِ أحمدَ، بنِ طولونَ، فعرضَها عليهِ، فقالَ لهُ: ما هذهِ الألفاظُ التي كانتْ تخرجُ منِّي وعَيٌّ (٣)؟ فمضى عليُّ بنُ أحمدَ، وعادَ إليهِ، فما أرادَ أبو الجيشِ الجوابَ ولا استجادَهُ (٤)، فخرجَ عليُّ بنُ أحمدَ وقالَ: هاتُوا إسحقَ ابنَ نُصيرٍ، فجِيءَ بهِ، فقالَ: أَجِبْ عنْ هذهِ، فأجابَ، ودخلَ عليُّ بنُ أحمدَ على أبي الجيشِ، فقرأَ الأجوبةَ، فقالَ: نعمْ هذا الذي أعرفُ «إيشِ الخبرُ»؟ فقالَ لهُ: كاتبٌ كانَ معَ أبي جعفرٍ، فاعتزلَ (٥)، وأحضرتُهُ السَّاعةَ، فقالَ هاتِهِ، فأحضرَهُ فقالَ: كمْ

(١) أى يجلب له الريح بالمروحة

(٢) مصدر كتب، يريد: عمن أخذت فن الكتابة

(٣) وكانت فى الاصل هذا: «من وعى» وما استفهام مراد به: ما حال الكتب وما شأنها (٤) استجاده: استحسنه (٥) كانت فى الاصل: «فاعتل» وأصلحت إلى ما ذكر

رِزْقُكَ ؟ فقالَ : أَرْبَعُونَ دِيناراً ، فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ : « اُجْعَلْهَا أَرْبَعمِائةٍ فِي السَّنَةِ » ، إِجْعَلْهَا لَهُ أَرْبَعمِائةٍ فِي الشَّهْرِ [1] .

وَقَالَ لِإِسْحَاقَ بْنِ نُصَيْرٍ : لَا تُفَارِقْ حَضْرَتِي ، فَبَلَغَ إِسْحَاقُ حَتَّى صَارَ رِزْقُهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، فَكَانَ يَجُودُ بِذَلِكَ ، وَيُفْضِلُ [2] بِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَلَقَدْ أَرْسَلَ إِلَى بَغْدَادَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ ، إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ ، وَإِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ ، وَإِلَى وَرَّاقٍ كَانَ يَجْلِسُ عِنْدَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَجَرَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيْ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ التَّاجِرِ ، خَالِ الْقَاضِي بِمِصْرَ .

﴿ ١٠ – إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى ، بْنِ شُرَيْحٍ الْكَاتِبُ * ﴾

أَبُو الْحُسَيْنِ النَّصْرَانِيُّ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ اسحاق بن يحيى الكاتب

(١) يخيل إلى أن بين هذه الجملة وسابقتها إضراباً بين الجملين ولكن لم تجىء بل بينهما فالاضراب مثل بالسكوت بعد الجملة الاولى ، ثم جاءت الثانية (٢) يتفضل به

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم ص ١٩٥ بما يأتى قال :

اسمه إسحاق بن يحيى النصرانى ، ويكنى أبا الحسين ، حسن المعرفة بأمور الدواوين ، ومناظرة العمال ، وصناعة الخراج ، وله قدم ومعرفة بالنحو . ومولده لسنة ثلاثمائة فى شعبان . وله من الكتب : كتاب الخراج كبير جزآن . كتاب الخراج الصغير ، وجعله منازل ، كتاب علم المؤامرات بالحضرة ، كتاب تحويل سنى المواليد نحو مائة ورقة ، كتاب جمل التاريخ جمعه ا .

وَقَالَ : كَانَ جَيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِأَمْرِ الدَّوَاوِينِ وَالْخَرَاجِ ، وَمُنَاظَرَةِ الْعُمَّالِ ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالنُّجُومِ ، وَمَوْلِدُهُ فِى شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ ، قَالَ وَهُوَ يَحْيَا . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَكَانَ قَوْلُهُ هَذَا فِى سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَالَ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْخَرَاجِ الْكَبِيرُ فِى أَلْفِ وَرَقَةٍ ، جَزَّأَهُ جُزْأَيْنِ ، وَجَعَلَهُ سِتَّةَ مَنَازِلَ ، كِتَابُ الْخَرَاجِ الَّذِى فِى أَيْدِى النَّاسِ مِائَتَا وَرَقَةٍ ، كِتَابُ الْخَرَاجِ صَغِيرٌ نَحْوُ مِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ عَمَلِ الْمُؤَامَرَاتِ بِالْحَضْرَةِ ، كِتَابُ تَحْوِيلِ سِنِي الْمَوَالِيدِ نَحْوُ مِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ جُمَلِ التَّارِيخِ .

﴿ ١١ – إِسْحَاقُ بْنُ مَوْهُوبِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ مُحَمَّدِ ﴾
﴿ بْنِ الْخَضِرِ الْجَوَالِيقِىُّ * ﴾

يُكْنَى أَبَا طَاهِرٍ ، وَهُوَ أَخُو إِسْمَاعِيلَ ، وَمَاتَ فِى إسحاق الجواليقى

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ص ٢١٧ بما يأتى :
هو أبو طاهر بن أبى منصور ، أخو إسماعيل ، شارك أخاه فى السماع والأدب وروى عنه الناس ، وتصدر للافادة ، وكان أصغر من أخيه إسماعيل ، ولد فى شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وتوفى فى يوم الاربعاء حادى عشر ، من شهر رجب ، سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه يوم الخميس ثانى عشر ، وحمل إلى مقبرة باب حرب ، ودفن عند أبيه
وترجم له أيضا فى كتاب نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ص ٤٧٣

الْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ رَجَبٍ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ بِبَابِ حَرْبٍ عِنْدَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ. سَمِعَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ الْحُصَيْنِ وَأَبَاهُ وَغَيْرَهُمَا، وَحَدَّثَ بِالْقَلِيلِ. سَمِعَ مِنْهُ الْقَاضِي الْقُرَشِيُّ قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فَقَالَ: فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

١٢ — أَسْعَدُ بْنُ عِصْمَةَ، أَبُو الْبَيْدَاءِ الرِّيَاحِيُّ *

أسعد الرياحى

أَعْرَابِيٌّ نَزَلَ الْبَصْرَةَ، وَكَانَ يُعَلِّمُ الصِّبْيَانَ بِالْأُجْرَةِ، وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامَ عُمْرِهِ، يُؤْخَذُ عَنْهُ الْعِلْمُ، زَوْجُ أُمِّ أَبِي مَالِكٍ عَمْرِو بْنِ كِرْكِرَةَ، وَكَانَ شَاعِراً، وَمِنْ شِعْرِهِ:

قَالَ فِيهَا الْبَلِيغُ مَا قَالَ ذُو الْعِـ
ـيِّ وَكُلٌّ بِوَصْفِهَا مِنْطِيقُ (١)

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم ص ٧٦ بما يأتى :

هو زوج أم أبى مالك عمرو بن كركرة ، أعرابى نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بأجرة ، أقام بها مدة عمره ، يؤخذ عنه العلم ، وكان شاعرا . فن شعره :

قال فيها البليغ ماقال ذو العـ ـى وكل بوصفها منطيق
وكذاك العدو لم يعد أن قا ل جميلا كما يقول الصديق

(١) ذو العى : ثقيل النطق لا يفصح . والمنطيق : البليغ المفوه

وَكَذَاكَ الْعَدُوُّ لَمْ يَعْدُ أَنْ قَا
لَ جَمِيلًا كَمَا يَقُولُ الصَّدِيقُ

﴿ ١٣ — أَسْعَدُ بْنُ عَلِيِّ ، بْنِ أَحْمَدَ الزَّوْزَنِيُّ ﴾

الْمَعْرُوفُ بِالْبَارِعِ ، أَبُو الْقَاسِمِ الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ ، الْفَاضِلُ الْكَاتِبُ الْمُتَرَسِّلُ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ فِي السِّيَاقِ ، يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قَرَأْتُ بِخَطِّ تَاجِ الْإِسْلَامِ : الْبَارِعُ مِنْ أَهْلِ زَوْزَنَ ، سَكَنَ نَيْسَابُورَ ، وَوَرَدَ الْعِرَاقَ ، وَأَكْرَمَ فُضَلَاؤُهَا مَوْرِدَهُ ، وَكَانَ شَاعِرَ عَصْرِهِ ، وَأَوْحَدَ دَهْرِهِ بِخُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ ، وَقَدْ شَاعَ ذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ ، وَكَانَ عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ ، يَسْمَعُ الْحَدِيثَ ، وَيَكْتُبُ إِلَى آخِرِ عُمُرِهِ ، سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَ مُحَمَّدٍ الدَّاوُدِيَّ ، وَأَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ الْبَحَّاثِيَّ ،

أسعد الزوزني

(*) ترجم في كتاب الاعلام ج أول ص ٩٩ قال :
هو شاعر من الشعراء ، وكاتب من الكتاب المترسلين ، أصله من زوزن بين نيسابور وهراة ، وسكن نيسابور ، وورد العراق ، وذاع ذكره ، وعلت له شهرة.

رَوَى لَنَا عَنْهُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْفرَاوِىُّ ، وَأَبُو مَنْصُورٍ الشَّحَامِىُّ وَغيرُهُمَا .

وَذَكَرَهُ الْبَاخَرْزِىُّ فِى الدُّمْيَةِ وَقَالَ : الْأَدِيبُ أَبُو الْقَاسِمِ ، أَسْعَدُ بْنُ عَلِىٍّ الْبَارِعُ الزَّوْزَنِىُّ ، هُوَ الْبَارِعُ حَقًّا ، وَالْوَافِرُ مِنَ الْبَرَاعَةِ حَظًّا ، وَقَدْ اكْتَسَبَ الْأَدَبَ بِجِدِّهِ وَكَدِّهِ ، وَانْتَهَى مِنَ الْفَضْلِ إِلَى أَقْصَى حَدِّهِ ، وَلَفَّتْنِي إِلَيْهِ نِسْبَةُ الْآدَابِ ، وَنَظَمَتْنِي وَإِيَّاهُ صُحْبَةُ الْكُتَّابِ ، وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى الْآنَ ، وَقَدْ ارْتَدَيْنَا الْمَشِيبَ ، وَخَلَعْنَا بُرْدَ الشَّبَابِ ذَاكَ الْقَشِيبَ ، وَلَا أَكَادُ أَنْسَى وَأَنَا فِى الْحَضَرِ ، حَظِّى مِنْهُ فِى السَّفَرِ ، وَقَدْ أَخَذْنَا بَيْنَنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ ، وَرُضْنَا[1] الْمَطَايَا بِأَجْنِحَةِ السَّيْرِ الْحَثِيثِ ، حَتَّى سِرْنَا مَعًا إِلَى الْعِرَاقِ ، وَنَزَلَ هُوَ مِنْ فُضَلَائِهِ بِمَنْزِلَةِ السَّوَادِ مِنَ الْأَحْدَاقِ[2] ، وَعِنْدَهُ تَوْقِيعَاتُهُمْ بِتَبْرِيزِهِ[3] عَلَى الْأَقْرَانِ ،

(١) كانت فى الاصل : « ورشنا » وأصلحت

(٢) السواد من الاحداق : انسان العين

(٣) أى تفوقه على النظائر والاشباه

وَحيَازَتِهِ قصبَاتِ الرِّهَانِ ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، لَا أَكْتُمُ مِنْ شَهَادَتِي دِقًّا[١] وَلَا جِلًّا[٢] ، بَلْ أَعْتَقِدُ بِهَا صَكًّا[٣] وَعَلَيْهَا سِجِلًّا ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ، وَعَازِبٌ[٤] لُبُّهُ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : أَنْشَدَنِي الشَّحَامِيُّ ، أَنْشَدَنَا البَارِعُ لِنَفْسِهِ :

قَدْ أَقْبَلَ الْمَعْشُوقُ فَاسْتَقْبَلْتُهُ
مُسْتَشْفِيًا[٥] مُسْتَسْقِيًا مِنْ رِيقِهِ
نَشْوَانَ[٦] وَالْإِبْرِيقُ فِي يَدِهِ وَلِي
مِنْ رِيقِهِ مَا نَابَ عَنْ إِبْرِيقِهِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لِيَ زَائِرٌ
لَرَشَشْتُ مِنْ دَمْعِي تُرَابَ طَرِيقِهِ

---

(١) الدق : القليل

(٢) الجل : الكثير

(٣) أى عقدا

(٤) أى غائب عقله

(٥) أى طالبا الشفاء والسقيا

(٦) النشوان : السكران

وَلكُنْتُ أُذْكِي جَمْرَ قَلْبِي فِي الدُّجَى (١)
بِطَرِيقِهِ كَيْ يَهْتَدِي بِبَرِيقِهِ
فَزَوَيْتُ (٢) وَجْهِي عَنْ مُدَامَةِ كَأْسِهِ
وَشَرِبْتُ كَأْساً مِنْ مُجَاجِ عَقِيقِهِ

وَلَهُ أَيْضاً :

كَأَنَّ لَوْنَ الْهَوَاءِ مَاءٌ
أَوْ سُنْدُسٌ رَقَّ أَوْ عِمَامَهْ
كَأَنَّ شَكْلَ الْهِلَالِ قُرْطٌ
أَوْ عَطْفَةُ النُّونِ أَوْ قُلَامَهْ

وَلَهُ أَيْضاً :

أَلَا فَاشْكُرْ لِرَبِّكَ كُلَّ وَقْتٍ
عَلَى الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ الْجَسِيمَهْ
إِذَا كَانَ الزَّمَانُ زَمَانَ سَوْءٍ
فَيَوْمٌ صَالِحٌ مِنْهُ غَنِيمَهْ

(١) أذكى : أشعل . والدجى : ظلام الليل
(٢) زويت : سترت

وَلَهُ أَيْضاً :

أَبُو بَكْرٍ حَبَا فِى اللهِ مَالَا
وَكَانَ لِسَانُهُ يَجْرِى بِلَالَا
لَقَدْ وَاسَى النَّبِىَّ بِكُلِّ خَيْرٍ
وَأَعْطَى مِنْ ذَخَائِرِهِ بِلَالَا (١)
لَوْ أَنَّ الْبَحْرَ نَاقَضَهُ اعْتِقَاداً
لَمَا أَعْطَى الْإِلٰهُ لَهُ بِلَالَا (٢)

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ الْبَاخَرْزِىُّ فِى كِتَابِهِ الْبَارِعِ :

قَمَرٌ سَبَى قَلْبِى بِعَقْرَبِ صُدْغِهِ
لَمَّا تَجَلَّى عَنْهُ قَلْبُ الْعَقْرَبِ
فَأَجَبْتُهُ أَلَدَيْكَ قَلْبِى قَالَ لَا
لَكِنَّ قَلْبَكَ عِنْدَ قَلْبِ الْعَقْرَبِ

قَرَأْتُ فِى بَعْضِ الْكُتُبِ قَالَ : الْفُضَلَاءُ الْمُلَقَّبُونَ بِالْبَارِعِ فِى خُرَاسَانَ ثَلَاثَةٌ : أَحَدُهُمُ الْبَارِعُ الْهَرَوِىُّ ، وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ طَرَائِفِ الطُّرَفِ ، وَهُوَ دُونَهُمْ (٣) فِى

(١) يريد بلالا مؤذنه ، فالكلام على التمثيل

(٢) البلال والبلة والبلالة : الندوة يريد ما بل الفم ويريد أن البحر لو ناقضه فناقضه معتقد أنه أفضل ، لحرم البلال وما انتفع به أحد (٣) فى الاصل : أدونهم

الْفَضْلِ مَرْتَبَةً ، وَالثَّانِي الْبَارِعُ الْبُوشَنْجِيُّ ، وَهُوَ أَوْسَطُهُمْ ، وَالثَّالِثُ الْبَارِعُ الزَّوْزَنِيُّ ، وَهُوَ أَنْضَلُهُمْ وَأَشْهَرُهُمْ ، قَالَ : وَكَانَ تِلْمِيذَ الْقَاضِي أَبِي جَعْفَرٍ الْبَحَّانِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْبَحَّانِيُّ :

عَفَجْتُ (١) عَلَى الْيُبْسِ الْبُوَيْرِعِ مَرَّةً

فَقَالَ : لَقَدْ أَوْجَعْتَ سُرْمِي فَبُلَّهُ

فَقُلْتُ : بُزَاقِي لَا يَفِي بِجَمِيعِهِ

وَمِنْ أَيْنَ لِي أَنْ أَبْزُقَ الدَّرْبَ كُلَّهُ

قُلْتُ أَنَا : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَعْمَلَهُ بِمَنَارَةِ إِسْكَنْدَرِيَّةَ ، إِذْ عَفَجَهُ فِي شَيْءٍ كَالدَّرْبِ فَأَوْجَعَهُ . وَقَالَ الْبَحَّانِيُّ فِيهِ أَيْضاً :

لِلْبَارِعِ ابْنِ الْعَاهِرَهْ زَوْجَةُ سُوءٍ فَاجِرَهْ

مُؤَاجِرٌ قَدْ زَوَّجُو هُ كُفْؤَهُ مُؤَاجِرَهْ

وَقَالَ الْبَارِعُ هَذَا ، يُخَاطِبُ أَبَا الْقَاسِمِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي تَوَادٍ رَئِيسَ زَوْزَنَ :

(١) كانت فى الاصل : عجفت على اليبس ولامعنى له ، ولكن الاصلاح يؤدى إلى المراد

كَفٌّ عَلِيٍّ عِنْدَهَا التِّبْرُ هَانَ وَلِلْمَاءِ بِهَا قَدْرُ
كَأَنَّهَا الْخَالُ عَلَى ظَهْرِهَا عَنْبَرَةٌ قَدْ مَجَّهَا الْبَحْرُ

« ١٤ – أَسْعَدُ بْنُ مَسْعُودِ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ مُحَمَّدِ »
« ابْنِ الْحَسَنِ الْعُتْبِيُّ * »

سعد العتبي

أَبُو إِبْرَاهِيمَ ، مِنْ وَلَدِ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ ، وَهُوَ حَفِيدُ أَبِي النَّضْرِ الْعُتْبِيِّ ، كَذَا ذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ فِي الْمُذَيَّلِ ، وَأَبُو النَّضْرِ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَلَيْسَ فِي نَسَبِ هَذَا عَبْدُ الْجَبَّارِ كَمَا تَرَى ، وَلَا أَدْرِي مَا صَوَابُهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ابْنَ بِنْتِهِ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : قَرَأْتُ بِخَطِّ وَالِدِي : أَسْعَدُ بْنُ مَسْعُودٍ الْعُتْبِيُّ ، مَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيُّ فِي وِشَاحِ الدُّمْيَةِ ، وَقَالَ : هُوَ مُصَنِّفُ كِتَابِ دُرَّةِ التَّاجِ ، وَكِتَابِ تَاجِ الرَّسَائِلِ ، وَكَانَ كَاتِبًا فِي الدَّوَاوِينِ

(*) راجع تاريخ الاسلام مجلد ٢٥ ص ١٠

الْمَحْمُودِيَّةِ، وَالسَّلْجُوقِيَّةِ، وَعَاشَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ نِظَامِ الْمُلْكِ
وَقَالَ فِي الْإِمَامِ عَلِيٍّ الْفَنْجَكِرْدِيِّ (١) :

يَا أَوْحَدَ الْبُلَغَاءِ وَالْأُدَبَاءِ
يَا سَيِّدَ الْفُضَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ
يَا مَنْ كَأَنَّ عُطَارِدًا (٢) فِي قَلْبِهِ
يُمْلِي عَلَيْهِ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ

وَذَكَرَهُ أَبُو سَعْدٍ، وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ، قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ نَسَبِهِ: كَانَ مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورَ، وَكَانَ يَسْكُنُ مَدْرَسَةَ الْبَيْهَقِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ الْمُنْعَمِينَ، شَاعِرٌ كَاتِبٌ، تَصَرَّفَ فِي الْأَعْمَالِ أَيَّامَ شَبَابِهِ، وَخَرَجَ فِي صُحْبَةِ عَمِيدِ خُرَاسَانَ إِلَى أَسْفَارٍ، وَصَحِبَ الْأَكَابِرَ، وَارْتَفَعَتْ بِهِ الْأَيَّامُ وَانْخَفَضَتْ، حَتَّى تَأَخَّرَ عَنِ الْعَمَلِ، وَتَابَ وَلَزِمَ الْبَيْتَ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ مِنَ الْعَيْشِ، وَاسْتَرَاحَ مِنَ الْأُمُورِ، وَعُقِدَ لَهُ مَجْلِسُ الْإِمْلَاءِ فِي الْجَامِعِ الْمَنِيعِيِّ، فَأَمْلَى مُدَّةً، وَكَانَ يَحْضُرُ

(١) نسبة إلى فنجكرد : قرية من نواحي نيسابور
(٢) عطارد : كوكب من الكواكب السيارة السبع

عِنْدَهُ الْمُحَدِّثُونَ وَالْأَئِمَّةُ . وَدَخَلَ بَغْدَادَ ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْ أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ مَهْدِيٍّ الْكَاتِبِ الْخَوَافِيِّ [١] وَسَمِعَ بِنَيْسَابُورَ وَمَرْوَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَسَمِعَ جَدَّهُ أَبَا النَّضْرِ الْعُتْبِيَّ ، وَرَوَى لَنَا جَمَاعَةٌ عَنْهُ .

قَالَ : وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي جَعْفَرٍ ، مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَافِظِ الْهَمَذَانِيِّ : أَسْعَدُ بْنُ مَسْعُودٍ الْعُتْبِيُّ : شَيْخٌ عَالِمٌ ، ثِقَةٌ دَيِّنٌ ، كَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ أَبُو صَالِحٍ الْمُؤَذِّنُ الْحَافِظُ ، وَذَكَرَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَقَالَ : أَسْعَدُ الْعُتْبِيُّ : تَزَهَّدَ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : أَنْبَأَنَا أَبُو الْبَرَكَاتِ الْفُرَاوِيُّ [٢] ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ طَاهِرٍ التَّمِيمِيِّ ، حَدَّثَنِي شَيْخٌ فَاضِلٌ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ بِالْبَصْرَةِ ، فَرَأَيْتُ شَيْخاً بَهِيًّا قَدْ قَطَعَ مَسَافَةَ الْعُمُرِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ :

---

(١) نسبة إلى خواف بفتح أوله : قصبة كبيرة من أعمال نيسابور بخراسان ، يتصل أحد جانبيها ببوشنج من أعمال هراة والآخر بزوزن ، ينسب إليها جماعة من أهل العلم منهم المذكور . اهـ . ملخصا معجم البلدان ج ٣ ص ٤٧٩

(٢) نسبة إلى فراوة بفتح الفاء ، وبعد الألف واو مفتوحة : وهي بليدة من أعمال نسا ، بينها وبين دهستان وخوارزم . وخرج فيها جماعة من أهل العلم . ويقال لها أيضا رباط فراوة ، بناها عبد الله بن طاهر ، في خلافة المأمون . معجم البلدان ج ٦ ص ٣٥٢

أَتفرَّسُ أَنَّكَ شاعِرٌ؟ فقالَ : أَجلْ ، فقُلْتُ : أَنْشِدْنِي مِنْ مَقُولِكَ ، مَا يَكُونُ لِي تَذْكِرَةً مِنكَ ، فقالَ اكْتُبْ :

قَالُوا تَغَيَّرَ شِعْرُهُ عَنْ حَالِهِ
وَالْهَمُّ يَشْغَلُنِي عَنِ الْأَشْعَارِ
أَمَّا الْهِجَاءُ فَمِنْهُ شَيْءٌ زَاخِرٌ (١)
وَالْمَدْحُ قَلَّ لِقِلَّةِ الْأَحْرَارِ

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْنَانِيُّ الْمِصْرِيُّ ، أَنْشَدَنَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ أَسْعَدُ الْعُتْبِيُّ لِنَفْسِهِ :

قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَرَّ مِنْ أَزْمَانِي
مُتَوَانِياً لِتَقَاصُرِ الْإِحْسَانِ
وَرَأَيْتُ خِلَّانِي وَأَهْلَ مَوَدَّتِي
مُتَوَفِّرِينَ مَعاً عَلَى الْإِخْوَانِ
فَتَغَيَّرُوا لَمَّا رَأَوْنِي تَائِباً (٢)
وَعَنِ التَّصَرُّفِ قَدْ صَرَفْتُ عِنَانِي

---

(١) زخر الوادي : امتلأ وارتفع ، والمراد هنا الكثرة
(٢) وفي الأصل الذي في مكتبة اكسفورد : « نائيا »

دَعْهُمْ وَعَادَتَهُمْ فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ
إِلَّا مُجَرَّدَ (١) صُورَةِ الإِنْسَانِ
وَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
بِالطِّينِ وَالصَّابُونِ وَالأُشْنَانِ (٢)

﴿ ١٥ – أَسْعَدُ بْنُ الْمُهَذَّبِ ، بْنِ أَبِي الْمَلِيحِ مَمَّاتِي * ﴾

أسعد بن المهذب مماتي

أَحَدُ الرُّؤَسَاءِ الأَعْيَانِ الْجِلَّةِ (٣) ، وَالْكُتَّابِ الْكُبَرَاءِ

(١) كانت فى الاصل : « مجرة » وأصلحت إلى ما ترى
(٢) الاشنان بالضم والكسر : نبات نافع للجرب والحكة ، وجلاء منق . يقال : تأشن : أى غسل يده بالاشنان
(٣) الجلة : العظماء
(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان ، جزء أول ، صفحة ٨٤ قال :
« هو القاضى الأسعد ، أبو المكارم أسعد بن الخطير ، أبى سعيد مهذب بن مينا ، بن زكريا ، بن أبى قدامة ، بن أبى مليح مماتى المصرى ، الكاتب الشاعر »
كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ، ونظم سيرة السلطان صلاح الدين — رحمه الله — ونظم كتاب كليلة ودمنة ، وله ديوان شعر ، رأيته بخط ولده . ونقلت منه مقاطيع ، فن ذلك قوله :

تعاتبنى وتنهى عن أمور
سبيل الناس أن ينهوك عنها
أتقدر أن تكون كمثل عينى
وحقك ما على أضر منها

وله فى شخص ثقيل رآه بدمشق :

حكى نهرين ما فى الأر ض من يحكيهما أبدا —

الْمَنْزِلَةِ ، وَمَنْ تَصَرَّفَ بِالْأَعْمَالِ ، وَوَلِيَ رِيَاسَةَ الدِّيوَانِ ، وَلَهُ أَدَبٌ بَارِعٌ ، وَخَاطِرٌ وَقَّادٌ[١] مُسَارِعٌ ، وَقَدْ صَنَّفَ فِي

— حكى فى خلقه ثورى وفى أخلاقه بردى

وقد أخذ ابن مماتى معنى بيتيه هذين من قول بعضهم :

ضاهى ابن بشران مدينة جلق
فكلاهما يوم الفخار فريد
ألفاظه بردى وصورة خلقه
ثورى ونقص العقل منه يزيد

وله من جملة قصيدة طويلة :

لنيرانه فى الليل أى تحرق
على الضيف إن أبطا وأى تلهب
وما ضر من يعشو الى ضوء ناره
اذا هو لم ينزل بآل المهلب

وله فى غلام نحوى :

وأهيف أحدث لى نحوه تعجبا يعرب عن ظرفه
علامة التأنيث فى لفظه وأحرف العلة فى طرفه

ومن شعره : ثلاثة أبيات مذكورة فى ترجمة يحيى بن نزار المنبجى فى حرف الياء ، وفى شعره أشياء حسنة ، وذكره العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة ، وأورد له عدة مقاطيع ، ثم أعقبه بذكر أبيه الخطير ، وذكر كثيرا من شعره ، فمن ذاك قوله فى كتمان السر وبالغ فيه :

وأكتم السر حتى عن إعادته
الى المسر به من غير نسيان
وذاك أن لسانى ليس يعلمه
سمعى بسر الذى قد كان ناجانى —

(١) أى ذهن حاضر متقد

الْأَدَبِ وَعُرِفَ ، وَمَاتَ بِمَدِينَةِ حَلَبٍ فِى الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّمِائَةٍ ، عَلَى مَا نَذْكُرُهُ إِنْ

— وقال : لقيته بالقاهرة ، متولى ديوان جيش الملك الناصر ، وكان هو وجماعته نصارى ، فأسلموا فى ابتداء الملك الصلاحى ، وللمهذب بن الخيمى ، فى الاسعد بن مماتى المذكور يهجوه :

وحديث الاسلام واهى الحديث
باسم الثغر عن ضمير خبيث
لو رأى بعض شعره سيبويه
زاده فى علامة التأنيث

وكان الحافظ أبو الخطاب بن دحية ، المعروف بذى النسبين — رحمه الله تعالى — عند وصوله إلى مدينة إربل ، ورأى اهتمام سلطانها الملك المعظم ، مظفر الدين ، ابن زين الدين — رحمه الله تعالى — بعمل مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، حسبما هو مشروح فى حرف الكاف من هذا الكتاب ، عند ذكر اسمه ، صنف له كتابا سماه التنوير ، فى مدح السراج المنير ، وفى آخر الكتاب قصيدة طويلة ، مدح بها مظفر الدين ، أولها :

لولا الوشاة وإنهم اعداؤنا ماوهموا

وقرأ الكتاب والقصيدة عليه ، وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين ، فى شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، والقصيدة فيه ، ثم بعد ذلك ، رأيت هذه القصيدة بعينها ، فى مجموعة منسوبة الى الأسعد بن مماتى المذكور . فقلت : لعل الناقل غلط ، ثم بعد ذلك رأيتها فى ديوان الاسعد بكمالها ، مدح بها السلطان الملك الكامل — رحمه الله تعالى — فقوى الظن ، ثم إنى رأيت أبا البركات بن المستوفى ، قد ذكر هذه القصيدة فى تاريخ أربل ، عند ذكر ابن دحية ، وقال : سألته عن معنى قوله فيها :

يفديه من عطا جا دى كفه المحرم —

شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَأَصْلُهُ مِنْ نَصَارَى أَسْيُوطٍ ، بُلَيْدَةٌ بِصَعِيدِ مِصْرَ ، قَدِمُوا مِصْرَ ، وَخَدَمُوا وَتَقَدَّمُوا ، وَوُلُّوا الْوِلَايَاتِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ فِي الْكِتَابَةِ عَرِيقٍ ، وَهُوَ كَالْمُسْتَوْلِي عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، لَيْسَ عَلَى يَدِهِ يَدٌ ، وَالْمُسَمَّوْنَ بِالْخِلَافَةِ ، مَحْجُوبُونَ لَيْسَ لَهُمْ غَيْرُ

— فما أحار جوابا ، فقلت : لعله مثل قول بعضهم :

نسمى بأسماء الشهور فكفه
جمادى وما ضمت عليه المحرم

قال : فتبسم وقال : هذا أردت ، فلما وقفت على هذا ، ترجح عندى ان القصيدة للأسعد المذكور ، فانها لو كانت لأبى الخطاب ، لما توقف فى الجواب ، وأيضا : فان إنشاد القصيدة لصاحب إربل ، كان فى سنة ست وستمائة ، والاسعد المذكور ، توفى فى هذه السنة كما سيأتى ، وهو مقيم بحلب ، لاتعلق له بالدولة العادلية ، وبالجملة : فالله أعلم لمن هى منهما ، وكان الاسعد المذكور ، قد خاف على نفسه من الوزير ، صفى الدين بن شكر ، فهرب من مصر مستخفيا ، وقصد مدينة حلب ، لائذا بجناب السلطان الملك الظاهر — رحمه الله تعالى — وأقام بها حتى توفى فى سلخ جمادى الاولى ، سنة ست وستمائة ، يوم الاحد ، وعمره اثنتان وستون سنة — رحمه الله تعالى — ودفن فى المقبرة المعروفة بالمقام ، على جانب الطريق بالقرب من مشهد الشيخ على الهروى ، وتوفى أبوه الخطير ، فى يوم الاربعاء ، سادس شهر رمضان ، من سنة سبع وسبعين وخمسمائة . ومينا بكسر الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح النون وبعدها الف . ومماتى بفتح الميمين ، والثانية منهما مشددة ، وبعد الالف تاء مثناة من فوقها ، وهى مكسورة ، وبعدها ياء مثناة من تحتها ، وهو لقب أبى مليح المذكور ، وكان نصرانيا ، وإنما قيل له

السِّكَّةِ وَالْخُطْبَةِ ، وَكَانَ إِلَى مَمَّاتِي كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ ، فَحَدَّثَنِي الصَّاحِبُ الْكَبِيرُ ، الْوَزِيرُ الْجَلِيلُ ، جَمَالُ الدِّينِ الْأَكْرَمُ ، أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ الشَّيْبَانِيُّ الْقِفْطِيُّ ، — حَرَسَ اللَّهُ عُلَاهُ — بِمَدِينَةِ حَلَبٍ قَالَ :

بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ تُجَّارِ الْهِنْدِ ، قَدِمَ إِلَى مِصْرَ ، وَمَعَهُ سَمَكَةٌ مَصْنُوعَةٌ مِنْ عَنْبَرٍ ، قَدْ تُنُوِّقَ (١) فِيهَا وَأُجِيدَتْ ، وَطُيِّبَتْ وَرُصِّعَتْ (٢) بِالْجَوَاهِرِ ، فَعَرَضَهَا عَلَى بَدْرٍ الْجَمَالِيِّ

— مماتى ، لانه وقع فى مصر غلاء عظيم ، وكان كثير الصدقة والاطعام ، وخصوصا لصغار المسلمين ، فكانوا إذا رأوه ناداه كل واحد منهم مماتى ، فاشتهر به ، هكذا أخبرنى الشيخ الحافظ ، زكى الدين أبو محمد ، عبد العظيم المنذرى — نفع الله به — ثم أنشدنى عقيب هذا القول مرثية فيه : وقال : أظن هذين البيتين ، لابى طاهر ابن مكنسة المغربى ، وهما :

طويت سماء المكرما ت وكورت شمس المديح
من ذا أؤمل أو أرجى بعد موت أبى المليح

ثم كشفت عنهما ، فوجدتهما له ، وله فيه مدائح أيضا .
وترجم له أيضا فى كتاب سلم الوصول ورقة ١٦٠
وله ترجمة أخرى فى كتاب تاريخ الاسلام للذهبي جزء ٢٩ صفحة ١٥٢

(١) أى صنعت صنعة محكمة
(٢) أى زينت وحليت

لِيَبِيعَهَا مِنْهُ ، فَسَامَهَا[٣] مِنْ صَاحِبِهَا ، فَقَالَ : لَا أُنْقِصُهَا عَنْ أَلْفِ دِينَارٍ شَيْئًا ، فَأُعِيدَتْ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ بِهَا مِنْ دَارِ بَدْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْمَلِيحِ : أَرِنِي هَذِهِ السَّمَكَةَ ، فَأَرَاهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ لَهُ : كَمْ سِمْتَ فِيهَا ؟ فَقَالَ : لَا أُنْقِصُهَا عَنْ أَلْفِ دِينَارٍ دِرْهَمًا وَاحِدًا ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ ، وَقَبَضَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ مَالِهِ ، وَتَرَكَهَا عِنْدَهُ مُدَّةً ، فَاتَّفَقَ أَنْ شَرِبَ أَبُو مَلِيحٍ يَوْمًا وَسَكِرَ ، وَقَالَ لِنُدَمَائِهِ : قَدْ اشْتَهَيْتُ سَمَكًا ، هَاتُمُ الْمِقْلَى وَالنَّارَ ، حَتَّى نَقْلِيَهُ بِحَضْرَتِنَا ، فَجَاءَهُ بِمِقْلَى حَدِيدٍ وَفَحْمٍ ، وَتَرَكُوهُ عَلَى النَّارِ ، وَجَاءَ بِتِلْكَ السَّمَكَةِ الْعَنْبَرِ ، فَتَرَكَهَا فِي الْمِقْلَى ، فَجَعَلَتْ تَتَقَلَّى وَتَفُوحُ رَوَائِحُهَا ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِمِصْرَ دَارٌ ، إِلَّا وَدَخَلَتْهَا تِلْكَ الرَّائِحَةُ ، وَكَانَ بَدْرٌ الْجَمَالِيُّ جَالِسًا ، فَشَمَّ تِلْكَ الرَّائِحَةَ وَتَزَايَدَتْ ، فَاسْتَدْعَى الْخُزَّانَ ، وَأَمَرَهُمْ بِفَتْحِ خَزَائِنِهِ وَتَفْتِيشِهَا ، خَوْفًا مِنْ حَرِيقٍ قَدْ يَكُونُ وَقَعَ فِيهَا ، فَوَجَدُوا خَزَائِنَهُ سَالِمَةً ،

---

(٣) سامها : قومها وقدرها

فَقَالَ. وَيْحَكُمْ، اُنْظُرُوا مَا هذَا، فَفَتَّشُوا حَتَّى وَقَعُوا عَلَى حَقِيقَةِ الْخَبَرِ، فَاسْتَعْظَمَ الأَمْرَ[1] وَقَالَ: هَذَا النَّصْرَانِيُّ، الْفَاعِلُ الصَّانِعُ، قَدْ أَكَلَ أَمْوَالِي، وَاسْتَبَدَّ بِالدُّنْيَا دُونِي، حَتَّى أَمْكَنَهُ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ هَذَا، وَتَرَكَهُ إِلَى الْغَدَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُغْضَبٌ، قَالَ لَهُ وَيْحَكَ: أَسْتَعْظِمُ أَنَا، وَأَنَا مَلِكُ مِصْرَ شِرَى سَمَكَةٍ مِنَ الْعَنْبَرِ، فَأَتْرُكُهَا اسْتِكْثَاراً لِثَمَنِهَا، فَتَشْتَرِيهَا أَنْتَ!! ثُمَّ لَا يُقْنِعُكَ حَتَّى تَقْلِيهَا، وَتُذْهِبَ فِي سَاعَةٍ أَلْفَ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ، مَا فَعَلْتَ هَذَا، إِلَّا وَقَدْ نَقَلْتَ بَيْتَ أَمْوَالِي إِلَيْكَ، وَفَعَلْتَ، فَقَالَ لَهُ: وَاللهِ مَا فَعَلْتُ هَذَا إِلَّا غَيْرَةً عَلَيْكَ، وَمَحَبَّةً لَكَ، فَإِنَّكَ الْيَوْمَ سُلْطَانُ نِصْفِ الدُّنْيَا، وَهَذِهِ السَّمَكَةُ لَا يَشْتَرِيهَا إِلَّا مَلِكٌ، فَخِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِهَا إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ، وَيُخْبِرَهُ بِأَنَّكَ اسْتَعْظَمْتَهَا وَلَمْ تَشْتَرِهَا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْكِسَ الأَمْرَ، وَأُعْلِمَهُ أَنَّكَ مَا تَرَكْتَهَا إِلَّا احْتِقَاراً لَهَا، وَأَنَّهَا

---

(١) فى الاصل: « فاستعظم » فقط بدون الأمر، وقد زيدت.

لَمْ يَكُنْ لَهَا عِنْدَكَ مِقْدَارٌ ، وَأَنَّ كَاتِباً نَصْرَانِيًّا مِنْ كُتَّابِكَ اشْتَرَاهَا ، وَأَحْرَقَهَا ، فَيَشِيعَ بِذَلِكَ ذِكْرُكَ ، وَيَعْظُمَ عِنْدَ الْمُلُوكِ قَدْرُكَ ، فَاسْتَحْسَنَ بَذْرَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِضِعْفِ ثَمَنِهَا ، وَزَادَ فِي رِزْقِهِ . وَكَانَ مَمَّاتِي مَعَ ذَلِكَ كَرِيماً مُمَدَّحاً ، قَدْ مَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ ، فَذَكَرَ أَبُو الصَّلْتِ فِي كِتَابِ الرِّسَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ لَهُ ، أَنَّ أَبَا طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّشَّاعَ ، الْمَعْرُوفَ بِابْنِ مِكْنَسَةَ ، كَانَ مُنْقَطِعاً إِلَيْهِ فَلَمَّا مَاتَ مَمَّاتِي ، رَثَاهُ ابْنُ مِكْنَسَةَ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

مَاذَا أُرَجِّي مِنْ حَيَا تِي بَعْدَ مَوْتِ أَبِي الْمَلِيحِ
مَا كَانَ بِالنِّكْسِ[١] الدَّنِيْ يِ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا الشَّحِيحِ
كَفَرَ النَّصَارَى بَعْدَ مَا غَدَرُوا بِهِ دِينَ الْمَسِيحِ

(١) أى الضعيف فى الامور والدنىء : الخسيس الوضيع

كَذَا قَالَ، وَلَعَلَّهُمْ اغْتَالُوهُ أَوْ قَتَلُوهُ .

وَلَمَّا وُلِّيَ الأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، بَدْرٌ الْجَمَالِيُّ بَعْدَ أَبِيهِ ، دَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ مِكْنَسَةَ مَادِحاً ، فَقَالَ لَهُ : ذَهَبَ رَجَاؤُكَ بِمَوْتِ أَبِي الْمَلِيحِ ، فَمَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا ، وَحَرَمَهُ وَلَمْ يَقْبَلْ مَدِيحَهُ . وَأَمَّا الْمُهَذَّبُ وَالِدُهُ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِالْخَطِيرِ ، فَإِنَّهُ كَانَ كَاتِبَ دِيوَانِ الْجَيْشِ بِمِصْرَ ، فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَأَوَّلِ أَيَّامِ بَنِي أَيُّوبَ مُدَّةً ، فَقَصَدَهُ الْكُتَّابُ ، وَجَعَلُوا لَهُ حَدِيثاً عِنْدَ السُّلْطَانِ ، فَهَمَّ بِهِ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ ، أَوْ أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهْ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَوْلِي عَلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، فَخَافَ الْمُهَذَّبُ ، فَجَمَعَ أَوْلَادَهُ وَدَخَلَ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِهِ ، فَقَبِلَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَزَادَ فِي وِلَايَاتِهِمْ ، وَجَبَّ[1] الإِسْلَامُ مَا قَبْلَهُ .

وَوَجَدْتُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابٍ مِنْ تَصَانِيفِ ابْنِ مَمَّاتِي

(١) أى قطعه ومحاه ، فلم يحاسب عليه

مُكْتُوبًا : كَانَ الْمُهَذَّبُ أَبُوهُ ، الْمَعْرُوفُ بِالْخَطِيرِ ، مُرَتَّبًا[١] عَلَى دِيوَانِ الْإِقْطَاعَاتِ ، وَهُوَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَسَدُ الدِّينِ شِيرَكُوهُ ، فِي بَدْءِ أَمْرِهِ بِمِصْرَ أَنَّهُ نَصْرَانِيٌّ ، وَأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ فِي[٢] عَمَلِهِ بِلَا غِيَارٍ ، نَهَاهُ وَأَمَرَهُ بِغِيَارِ[٣] النَّصَارَى ، وَرَفْعِ الذُّؤَابَةِ[٤] وَشَدِّ الزُّنَّارِ ، وَصَرَفَهُ عَنِ الدِّيوَانِ ، فَبَادَرَ هُوَ وَأَوْلَادُهُ ، فَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِهِ ، فَأَقَرَّهُ عَلَى دِيوَانِهِ مُدَّةً ، ثُمَّ صَرَفَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ فِيهِ ابْنُ الذَّرَوِيِّ :

لَمْ يُسْلِمِ الشَّيْخُ الْخَطِيرُ ... لِرَغْبَةٍ فِي دِينِ أَحْمَدْ
بَلْ ظَنَّ أَنَّ مِحَالَهُ[٥] ... يُبْقِي لَهُ الدِّيوَانَ سَرْمَدْ[٦]
وَالْآنَ قَدْ صَرَفُوهُ عَنْـــهُ فَدِينُهُ فَالْعَوْدُ أَحْمَدْ

قَالَ : وَوَجَدْتُ بِخَطِّ ابْنِ مَمَّاتِي :

صَحَّ التَّمَثُّلُ فِي قَدِ ... يمِ الدَّهْرِ أَنَّ الْعَوْدَ أَحْمَدْ

---

(١) أى مقلدا ورئيسا
(٢) كانت فى الأصل : « يتصرف فى بلاغيار » ، فأصلحت إلى ما ذكر
(٣) الغيار : علامة أهل الذمة قديماً ، كالزنار للمجوس
(٤) الذؤابة : الضفيرة ، أو ما يسمونه « بالعذبة »
(٥) المحال : المكر والكيد والخديعة
(٦) سرمداً : دائما

وَلَمَّا أَمَرَ شِيرَكُوهُ النَّصَارَى بِلِبْسِ الْغِيَارِ، وَأَنْ يُعَمِّمُوا بِغَيْرِ عَذَبَةٍ، قَالَ عِمَارَةُ الْيَمَنِيُّ:

يَا أَسَدَ الدِّينِ وَمَنْ عَدْلُهُ
يَحْفَظُ فِينَا سُنَّةَ الْمُصْطَفَى
كَفَى غِيَاراً شَدُّ أَوْسَاطِنَا
فَمَا الَّذِي يُوجِبُ كَشْفَ الْقَفَا

وَجَرَى مَعَهُ حَدِيثُ النَّحْوِيِّينَ، وَأَنَّ أَحَدَهُمْ يَنْفَدُ عُمْرُهُ فِيهِ، وَلَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَدَبِ — الَّذِي يُرَادُ النَّحْوُ لِأَجْلِهِ — مِنَ الْبَلَاغَةِ، وَقَوْلِ الشِّعْرِ، وَمَعْرِفَةِ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، وَتَصْحِيحِ اللُّغَةِ، وَضَبْطِ الْأَحَادِيثِ. فَقَالَ الْأَسْعَدُ: هَؤُلَاءِ مَثَلُهُمْ مَثَلُ الَّذِي يَعْمَلُ الْمَوَازِينَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَا يَزِنُ فِيهِ، فَيَأْخُذُهَا غَيْرُهُمْ، فَيَزِنُ فِيهَا الدُّرَّ النَّفِيسَ، وَالْجَوْهَرَ الْفَاخِرَ، وَالدَّنَانِيرَ الْحُمْرَ، وَالْجَوَاهِرَ الْبِيضَ، وَهَذَا عِنْدِي مِنْ حُسْنِ التَّمْثِيلِ.

أَنْشَدَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي الْكَرَمِ، بْنِ هِبَةِ اللهِ الْمِصْرِيُّ

قَالَ : أَنْشَدَنِى الخَطِيرُ أَبُو سَعِيدِ بْنُ مَمَّاتِى لِنَفْسِهِ ، فِى أَبِى سَعِيدِ بْنِ أَبِى الْيَمَنِ النَّحَّالِ وَزِيرِ الْعَادِلِ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا وَأَسْلَمَ ، وَكَانَ أَمْلَحَ النَّاسِ وَجْهًا ، أَعْنِى ابْنَ النَّحَّالِ .

وَشَادِنٍ (١) لَمَّا أَتَى مُقْبِلًا
سَبَّحْتُ رَبَّ الْعَرْشِ بَارِيهِ (٢)
وَمُذْ رَأَيْتُ النَّمْلَ فِى خَدِّهِ
أَيْقَنْتُ أَنَّ الشَّهْدَ فِى فِيهِ

وَأَنْشَدَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِى الْكَرَمِ الْمَذْكُورُ ، قَالَ : أَنْشَدَنِى الخَطِيرُ أَبُو سَعِيدِ بْنُ مَمَّاتِى ، فِى ابْنِ النَّحَّالِ أَيْضًا ، وَكَانَ يَسْكُنُ ابْنُ النَّحَّالِ فِى أَوَّلِ الدَّرْبِ ، وَكَانَ فِى آخِرِ الدَّرْبِ صَبِيٌّ مِثْلُهُ فِى الْحُسْنِ ، يُعْرَفُ بِابْنِ زُنْبُورٍ :

حَوَى دَرْبُ نُورِ الدِّينِ كُلَّ شَمَرْدَلٍ (٣)
مُشَدَّدَةٌ أَوْسَاطُهُمْ بِالزَّنَانِيرِ

(١) الشادن : الغزال الذى طلع قرناه ، واستغنى عن أمه ، والمراد هنا التشبيه
(٢) أى خالقه (٣) أى ضامر

فَأَوَّلُهُ لِلشَّهْدِ وَالنَّحْلِ مَنْزِلٌ
وَآخِرُهُ يَا سَادَتِي لِلزَّنَابِيرِ

وَمِنْ عَجِيبِ مَا جَرَى لِلْخَطِيرِ : أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا جَالِسًا فِي دِيوَانِهِ فِي حُجْرَةٍ مَوْسُومَةٍ (١) بِدِيوَانِ الْجَيْشِ ، مِنْ قَصْرِ السُّلْطَانِ بِمِصْرَ ، وَكَانَتْ حُجْرَةً حَسَنَةً مُرَخَّمَةً مُنَمَّقَةً ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ وَقَالُوا لَهُ : قُمْ مِنْ هُنَا ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا الْخَبَرُ ؟ فَقَالُوا : قَدْ تَقَدَّمَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَيُّوبَ ، بِأَخْذِ رُخَامِ هَذِهِ الْحُجْرَةِ ، وَأَنْ يُعَمَّرَ بِهِ مَوْضِعًا آخَرَ ، فَخَرَجَ مُنْكَسِرًا كَاسِفًا (٢) ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ : فَقَالَ : قَدِ اسْتُجِيبَتْ فِينَا دَعْوَةٌ ، وَمَا أَظُنُّنِي أَجَالِسُ فِي دِيوَانٍ بَعْدَهَا ، أَمَا سَمِعْتُمْ إِذَا بَالَغُوا فِي الدُّعَاءِ عَلَيْنَا قَالُوا . خَرَّبَ اللَّهُ دِيوَانَهُ ، وَمَا بَعْدَ الْخَرَابِ إِلَّا الْيَبَابُ (٣) ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ ، أَوْ حُمَّ (٤) فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا مَيِّتًا ، فَلَمَّا مَاتَ خَلَفَهُ ابْنُهُ الْأَسْعَدُ هَذَا ، عَلَى دِيوَانِ الْجَيْشِ ، وَتَصَدَّرَ فِيهِ مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ أُضِيفَ إِلَيْهِ

(١) أى معلمة
(٢) أى حزيناً كئيباً
(٣) اليباب بمعنى الخراب والوحشة (٤) أصابته الحمى

فِي الأَيَّامِ الصَّلَاحِيَّةِ وَالْعَزِيزِيَّةِ دِيوَانُ الْمَالِ ، وَهُوَ أَجَلُّ دِيوَانٍ مِنْ دَوَاوِينِ مِصْرَ ، وَتَصَدَّرَ فِيهِ ، وَاخْتَصَّ بِصُحْبَةِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ ، عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَيْسَانِيِّ ، وَنَفَقَ[1] عَلَيْهِ ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ ، وَكَرُمَ لَدَيْهِ ، فَقَامَ بِأَمْرِهِ ، وَأَشَاعَ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَى فَضْلِهِ ، وَصَنَّفَ لَهُ عِدَّةَ تَصَانِيفَ بِاسْمِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ ، إِلَى أَنْ مَلَكَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ ، أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَيُّوبَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ ، وَكَانَ وَزِيرَهُ ، وَالْمُدَبِّرَ لِدَوْلَتِهِ ، الصَّفِيُّ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ شُكْرٍ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسْعَدِ دَخَلٌ[2] قَدِيمٌ أَيَّامَ رِيَاسَتِهِ عَلَيْهِ ، وَوَقَعَتْ مِنَ الْأَسْعَدِ إِهَانَةٌ فِي حَقِّ ابْنِ شُكْرٍ ، فَحَقَدَهَا عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ ، فَلَمَّا وَرَدَ مِصْرَ ، أَحْضَرَ الْأَسْعَدَ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ[3] عَلَيْهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِ جَمِيعَ الدَّوَاوِينِ ، الَّتِي كَانَتْ بِاسْمِهِ قَدِيمًا ، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ سَنَةً كَامِلَةً ، ثُمَّ عَمِلَ لَهُ الْمُؤَامَرَاتِ ،

---

(١) نفق البيع نفاقاً : راج ورغب فيه ، والنافق من البضائع : الرائج

(٢) أى ثأر وحقد

(٣) يريد إقبالا أى إقبال ، واما لفظ بكليته ، فليس باستعمال عربى ، ولكنه سرى الى القائلين به من الاسلوب المنطق ، وهو ذائع فى كتب العلوم ، من فقه ونحو وغيرها . وينتحلون له متعلقاً خاصاً ، كان يقولوا إقبالا ملتبسا بالكلية ، وما كان أغناهم عن ذلك « عبد الخالق »

وَوَضَعَ عَلَيْهِ المُحَالَاتِ ، وَأَكْثَرَ فِيهِ التَّأْوِيلَاتِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى أَعْذَارِهِ [١] وَلَا أَعَارَهُ طَرْفًا لِاعْتِذَارِهِ ، فَنَكَبَهُ [٢] نَكْبَةً قَبِيحَةً ، وَوَجَّهَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، وَطَالَبَهُ بِهَا ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَجْهٌ ، لِأَنَّهُ كَانَ عَفِيفًا ذَا مُرُوءَةٍ ، فَأَحَالَ عَلَيْهِ الْأَجْنَادَ ، فَقَصَدُوهُ وَطَالَبُوهُ ، وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ وَآذَوْهُ ، وَاشْتَكَوْهُ إِلَى ابْنِ شُكْرٍ ، فَحَكَّمَهُمْ فِيهِ .

فَحَدَّثَنِي الْمُؤَيَّدُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُوسُفَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَسْعَدَ يَقُولُ : عُلِّقْتُ فِي الْمُطَالَبَةِ عَلَى بَابِ دَارِى بِمِصْرَ ، عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّنِي لَا وَجْهَ لِي ، قِيلَ لِي تَحَيَّلْ ، وَنَجِّمْ [٣] هَذَا الْمَالَ عَلَيْكَ فِي نُجُومٍ [٤] ، فَقُلْتُ : أَمَّا الْمَالُ فَلَا وَجْهَ لَهُ عِنْدِي ، وَلَكِنْ إِنْ أُطْلِقْتُ وَمَلَكْتُ نَفْسِي ، اسْتَجْدَيْتُ مِنَ النَّاسِ ، وَسَأَلْتُ مَنْ يَخَافُنِي وَيَرْجُونِي ، فَلَعَلِّي أُحَصِّلُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، فَأَمَّا مِنْ وَجْهٍ حَاصِلٍ [٥] ، فَلَيْسَ لِي بَعْدَ مَا أَخَذَ عَمُّهُ

(١) جمع عذر (٢) نكبه : أوقع به
(٣) نجم الدين : أى دفعه نجوماً أى أقساطاً (٤) أى فى أقساط ، كل قسط بعد آخر
(٥) أى حاضر موجود

مِنِّى دِرْهَمٌ وَاحِدٌ ، فَنجِّمَ (١) المَالُ عَلَىَّ ، وَأُطلِقتُ وَبَقِيتُ مُدَيْدَةً (٢) إِلَى أَنْ حلَّ بَعْضُ نُجُومِ المَالِ عَلَىَّ ، فَاخْتَفَيْتُ وَاسْتَتَرْتُ ، وقَصَدْتُ القَرَافَةَ ، وَأَخْفَيْتُ نَفْسِي فِي مَقْبَرَةِ المَاذِرَائِيِّينَ ، وَأَقمْتُ بِهَا مُدَّةَ عَامٍ كَامِلٍ ، وَضَاقَ الأَمْرُ عَلَىَّ ، فهَرَبْتُ قَاصِداً لِلشَّامِ عَلَى اجْتِهَادٍ مِنَ الأُسْتَاذِ ، فَلَحِقَنِي فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَارِسٌ مُجِدٌّ ، فَسَلَّمَ عَلَىَّ ، وَسَلَّمَ إِلَىَّ مَكْتُوباً فَفَضَضْتُهُ ، وَإِذَا هُوَ مِنَ الصَّفِيِّ بْنِ شُكْرٍ ، يَذْكُرُ فِيهِ : لا تَحْسَبْ أَنَّ اخْتِفَاءَكَ عَنِّى ، كَانَ بِحَيْثُ لَا أَدْرِي أَيْنَ أَنْتَ ؟ وَلَا أَيْنَ مَكَانُكَ ؟ فَاعْلَمْ أَنَّ أَخْبَارَكَ كَانَتْ تَأْتِينِي يَوْماً يَوْماً ، وَأَنَّكَ كُنْتَ فِي قُبُورِ المَاذِرَائِيِّينَ بِالقَرَافَةِ ، مُنْذُ يَوْمِ كَذَا ، وَأَنَّنِي اجْتَزْتُ (٣) هُنَاكَ ، وَاطَّلَعْتُ فَرَأَيْتُكَ بِعَيْنِي ، وَأَنَّكَ لَمَّا خَرَجْتَ هَارِباً عَرَفْتُ خَبَرَكَ ، وَلَوْ أَرَدْتُ رَدَّكَ لَفَعَلْتُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ بَقِيَ لَكَ مَالٌ أَوْ حَالٌ لَمَا تَرَكْتُكَ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَنْبُكَ عِنْدِي مِمَّا يَبْلُغُ أَنْ أُتْلِفَ

(١) أى قسط
(٢) أى مدة قصيرة
(٣) اجتزت : مررت

مَعَهُ نَفْسَكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ مَقْصُودِي : أَنْ أَدَعَكَ تَعِيشُ خَائِفاً فَقِيراً ، غَرِيباً مُمَجَّجاً (١) فِي الْبِلَادِ ، فَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ هَرَبْتَ مِنِّي بِمَكِيدَةٍ صَحَّتْ لَكَ عَلَيَّ ، فَاذْهَبْ إِلَى غَيْرِ دَعَةِ (٢) اللهِ ، قَالَ : وَتَرَكَنِي الْقَاصِدُ وَعَادَ ، فَبَقِيتُ مَبْهُوتاً (٣) إِلَى أَنْ وَصَلْتُ إِلَى حَلَبٍ .

فَحَدَّثَنِي الصَّاحِبُ جَمَالُ الدِّينِ الْأَكْرَمُ — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — لَمَّا وَرَدَ إِلَى حَلَبٍ ، نَزَلَ فِي دَارِي فَأَقَامَ عِنْدِي مُدَّةً ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَعَرَفَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ غَازِي بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ ، بْنِ أَيُّوبَ - رَحِمَهُ اللهُ - خَبَرَهُ فَأَكْرَمَهُ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ دِينَاراً صُورِيًّا ، وَثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ أُخْرَى أُجْرَةَ دَارٍ ، فَكَانَ يَصِلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ثَلَاثُونَ دِينَاراً ، غَيْرَ بِرٍّ وَأَلْطَافٍ (٤) ، مَا كَانَ يُخْلِيهِ مِنْهَا ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ عَلَى قَدَمِ الْعُطْلَةِ ، إِلَى

(١) أى مشردا

(٢) الدعة : خفض العيش ، ودعة الله للمرء ، جعله فى خفض واطمئنان

(٣) أى متحيرا فى دهشة

(٤) أى صلات وصدقات يعطيها له

سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّمِائَةٍ ، كَمَا ذَكَرْنَا ، وَمَاتَ فَدُفِنَ بِظَاهِرِ[١] حَلَبٍ ، بِمَقَامٍ بِقُرْبِ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ الْهَرَوِىِّ . وَلَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ يَقْصِدُ بِهَا قَصْدَ التَّأَدُّبِ ، وَفِى مَعْرِضِ وَقَائِعَ تَجْرِى ، وَيَعْرِضُهَا عَلَى الْأَكَابِرِ ، لَمْ تَكُنْ مُفِيدَةً إِفَادَةً عِلْمِيَّةً ، إِنَّمَا كَانَتْ شَبِيهَةً بِتَصَانِيفِ الثَّعَالِبِيِّ وَأَضْرَابِهِ ، فَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ تَلْقِينِ التَّفَنُّنِ فِى الْفِقْهِ ، كِتَابُ سِرِّ الشِّعْرِ ، كِتَابُ عِلْمِ النَّثْرِ ، كِتَابُ الشَّىْءِ بِالشَّىْءِ يُذْكَرُ ، وَعَرَضَهُ عَلَى الْقَاضِى ، فَسَمَّاهُ سَلَاسِلَ الذَّهَبِ ، لِأَخْذِ بَعْضِهِ بِشُعَبِ بَعْضٍ ، كِتَابُ تَهْذِيبِ الْأَفْعَالِ لِابْنِ ظَرِيفٍ ، كِتَابُ قَرْقَرَةِ الدَّجَاجِ ، فِى أَلْفَاظِ ابْنِ الْحَجَّاجِ ، كِتَابُ الْفَاشُوشِ فِى أَحْكَامِ « قَرَاقُوش » ، كِتَابُ لَطَائِفِ الذَّخِيرَةِ لِابْنِ بَسَّامٍ ، كِتَابُ مَلَاذِ الْأَفْكَارِ وَمَلَاذِّ الِاعْتِبَارِ ، كِتَابُ سِيرَةِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، كِتَابُ أَخَايِرِ الذَّخَايِرِ ، كِتَابُ كَرَمِ النَّجَّارِ فِى حِفْظِ الْجَارِ ، عَمِلَهُ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ

(١) ظاهر حلب : خارجها

لمَّا قدِمَ عليهِ ، كِتابُ ترجمانِ الجُمانِ ، كِتابُ مذاهبِ المواهِبِ . كِتابُ باعثِ الجَلدِ عِندَ حادثِ الوَلدِ ، كِتابُ الحَفِّ على الرِّضى بالحَظِّ ، كِتابُ زواهِرِ السَّدَفِ (١) وجواهِرِ الصَّدَفِ ، كِتابُ قرصِ العِتابِ ، كِتابُ دُرَّةِ التَّاجِ ، كِتابُ منثورِ النَّقدِ ، كِتابُ المُنتخَلِ (٢) ، كِتابُ أعلامِ النَّصرِ ، كِتابُ خصائِصِ المعرفةِ في المُعمَّياتِ ، وكانَ عَلَمُ الدينِ بنُ الحَجَّاجِ ، شريكَهُ في ديوانِ الجيشِ ، وكانَ بينهُما ما يكونُ بينَ المُتماثِلَيْنِ في العَمَلِ ، فعمِلَ فيهِ الكِتابَ المُتقدِّمَ ذِكرُهُ ، وهجاهُ بِعِدَّةِ أشعارٍ ، مِنها :

حَكى نهرَيْنِ ما في الأرْ ... ضِ مَنْ يَحكِيهِما أبدا
فَفِي أفعالِهِ ثَوْرَى ... وفي ألفاظِهِ بَرْدَى

وكانَ لهُ نوادِرُ حسنةٌ حادَّةٌ ، مِنها ما حدَّثني بهِ الصَّاحِبُ القاضي الأكرمُ ، قالَ : ركِبنا وخرجنا يوماً نسيرُ بظاهِرِ حلبٍ ، فكانَ خروجُنا مِنْ أحدِ أبوابِها ، ودُرْنا سُورَ البلدِ

(١) السدف محركة : الصبح واقباله

(٢) وفى الاصل الذى بمكتبة اكسفورد « المبخل » والذى بأيدينا « المنحل » وأصلحت الى المنتخل : بمعنى المصفى. « منصور »

جَمِيعَهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ تَسْيِيرُنَا تَدْلِيكٌ ، قُلْتُ : كَيْفَ[1] ؟ قَالَ مِنْ بَرًّا بَرًّا .

وَكَانَ السَّدِيدُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، وَهُوَ رَجُلٌ فَقِيهٌ ، اتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ صَلاحِ الدِّينِ ، يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بَعْضَ الاتِّصَالِ ، فَجَعَلَ لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ سُوقًا ، وَاسْتَجْلَبَ بِمَا يَمُتُّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا رِزْقًا ، وَكَانَ أَعْوَرَ رَدِيئًا ، قَلِيلَ الدِّينِ بَغِيضًا ، وَلَمَّا أَحْدَثَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ غَازِى ، قَنَاةَ الْمَاءِ بِحَلَبٍ ، وَأَجْرَاهَا فِى شَوَارِعِهَا وَدُورِ النَّاسِ ، فَوَّضَ إِلَى ابْنِ الْمُنْذِرِ النَظَرَ فِى مَصَالِحِهَا ، وَرُزِقَ عَلَى ذَلِكَ رِزْقًا حَسَنًا ، نَحْوَ ثَلاثِمِائَةِ دِرْهَمٍ فِى الشَّهْرِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ الأَمِيرُ فَارِسُ الدِّينِ ، مَيْمُونُ الْقَصْرِىُّ ، وَالْأَسْعَدُ بْنُ مَمَّاتِى حَاضِرٌ ، فَقَالَ لَهُ مُسْرِعًا : هُوَ الْيَوْمَ مُسْتَخْدَمٌ عَلَى قَنَاةٍ ، فَأُعْجِبَ بِحُسْنِ هَذِهِ النَّادِرَةِ الْحَاضِرِينَ .

وَقِيلَ لِلْأَسْعَدِ يَوْمًا : أَىُّ شَىْءٍ يُشْبِهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ ؟ فَقَالَ : يُشْبِهُ الرُّبَّ ، فَاسْتَبْرَدُوا ذَلِكَ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ إِنَّمَا ذَهَبَ إِلَى

---

(١) وفى الاصل : « من كيف »

عَوْرَةٍ فقط ، فقالَ: مالكُمْ لا تسألوني كيفَ يُشبِهُهُ ؟ فقالوا: كَيْفَ ؟ قالَ : هُوَ أقرَعُ أصلَعُ أعوَرُ ، يَسمَعُ بِلا أُذُنٍ ، يَدْخُلُ المَدَاخِلَ الرَّدِيئَةَ بِجِدَّةٍ وَاجْتِهادٍ ، وَيَرْجِعُ مُنْكَسِراً ، فَاستُحْسِنَ ذَلِكَ . وَلَهُ شِعرٌ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الثَّلجِ فِي رَجَبٍ ، سَنَةَ خَمسٍ وَستِّمائَةٍ :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُ الثَّلْجَ مُنْبَسِطاً
عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى أَنْ ضَلَّ سَالِكُهَا
مَا بَيَّضَ اللهُ وَجْهَ الْأَرْضِ فِي حَلَبٍ
إِلَّا لِأَنَّ غِيَاثَ الدِّينِ مَالِكُهَا

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ :

لَمَّا رَأَتْ عَيْنِيَ الثَّلْـ ـجَ سَاقِطاً كَالْأَقَاحِي[1]
وَصَارَ لَيْلُ الثَّرَى مِنْـ ـهُ أَبْيَضاً كَالصَّبَاحِ
حَسِبْتُ ذَلِكَ مِنْ ذَوْ بِ دُرِّ عِقْدِ الْوِشَاحِ
أَوْ مِنْ حَبَابِ الْحُمَيَّا أَوْ مِنْ ثُغُورِ الْمِلَاحِ

(١) الاقاحى : نبت طيب الرائحة ، حواليه ورق أبيض ، ووسطه أصفر .

فَمَا عَلَى دَاخِلِ النَّا رِ بَعْدَ ذَا مِنْ جُنَاحِ

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ :

بِسَيْفِ غِيَاثِ الدِّينِ غَازِى بْنِ يُوسُفَ بْـ
ـنِ أَيُّوبَ دَامَ الْقَتْلُ وَاتَّصَلَ الْفَتْحُ
وَشَاهَدْتُهُ فِي الدَّسْتِ وَالثَّلْجُ دُونَهُ
فَقُلْتُ : سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَالصَّرْحُ

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ :

مُذْ رَأَيْنَا الصُّبْحَ يَزْدَا نُ وَيَزْدَادُ انفِرَاشَا (١)
وَحَسِبْنَا نُورَهُ يَطْـ رُدُ مِنْ خَلْفُ الفَرَاشَا (٢)
نَثَرَ الثَّلْجَ عَلَيْنَا يَاسَمِيناً وَفَرَاشَـا (٣)
وَرَأَى أَنْ يُرْسِلَ الْأَسْـ هُمَ بِالْبَرْدِ فَرَاشَا (٤)
فَغَدَا الْكَافُورُ فِي عَنْـ بَرَةِ الْأَرْضِ فِرَاشَا (٥)

---

(١) الانفراش : الانتشار

(٢) الفراش : حيوان صغير يطير ويتهافت على السراج

(٣) الفراش كسحاب : مايبقى من الحب ، يريد أن الثلج نثر عليهم ما يشبه الياسمين.

(٤) من راش السهم : إذا سدده

(٥) الفراش هنا : بمعنى الفرش المفروش

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ :

لَمَّا رَأَتْ عَيْنِيَ الثَّلْـ ـجَ خِلْتُهُ اليَاسَمِينَا
وَقُلْتُ مِنْ عَجَبٍ مِنْـ ـهُ أَصْبَحَ الآسُ(١) مِينَا
وَخِلْتُهُ مِنْ ثُغُورِ الْـ ـمِلَاحِ لِلآ ثِمِينَا
فَمَا أَرَادُوا مِنَ الدُّرْ رِ قَطُّ إِلَّا ثَمِينَا

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ :

لَمَّا رَأَيْتُ الثَّلْجَ قَدْ أَضْحَتْ بِهِ الأَرْضُ سَمَا
وَأَنْسَتِ الصِّبَا الصَّبَا وَأَذْكَرَتْ جَهَنَّمَا
خِفْتُ فَمَا فَتَحْتُ مِنْ تَعَاظُمِ الْخَوْفِ فَمَا
فَإِنْ نَمَا صَبْرِيَ وَهْـــوَ نَاقِصٌ فَإِنَّمَا(٢)

وَقَالَ أَيْضاً فِيهِ :

لَمَّا رَأَيْتُ الثَّلْجَ قَدْ غَطَّى الْوِهَادَ(٣) وَالْقُنَنْ
سَأَلْتُ يَأَهْلَ حَلَبْ هَلْ نَمْطُرُ السَّمَا اللَّبَنْ؟

(١) الآس : شجر ، والمينا : الجواهر ، يريد أن الشجر أصبح من الثلج ، يشبه المينا
(٢) يريد : فانما نما من الخوف
(٣) الوهاد : المنخفض من الارض ، والقنن : ما ارتفع منها

نُقِلَ مِنْ خطِّهِ وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

وَحياء ذَاكَ الْوَجْهِ بَلْ وَحَيَاتِهِ
قَسَمٌ يُرِيكَ الْحُسْنَ فِى قَسَماتِهِ
لَأُرَابِطَنَّ عَلَى الْغَرَامِ بِثَغْرِهِ
لِأَفُوزَ بِالْمَرْجُوِّ مِنْ حسنَاتِهِ
وَأُجَاهِدَنَّ عوَاذِلِى فِى حُبِّهِ
بِالْمُرْهَفَاتِ (١) عَلَىَّ مِنْ لَحَظَاتِهِ
قَدْ صِيغَ مِنْ ذَهَبٍ وَقُلِّدَ جَوْهَراً
فَلِذَاكَ لَيْسَ يَجُوزُ أَخْذُ زَكَاتِهِ

وَلَهُ أَيْضاً :

يُعَاهِدُنِى أَلَّا يَخُونَ وَيَنْكُثُ
وَيَحْلِفُ لِى أَلَّا يَصُدَّ وَيَحْنَثُ (٢)
وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاء أَنَّكَ سَاكِنٌ
بِقَلْبِي وَأَنِّى عَنْ مَكَانِكَ أَبْحَثُ

(١) المرهفات : السيوف الحادة

(٢) جملة وينكث خبر لمحذوف ، والجميع حال ، ومثلها ويحنث ، وقدرتها خبرا لان المضارع المثبت ، لا يقترن بالواو إلا على هذا الفرض « عبد الخالق »

وَلِلْحُسْنِ يا لَلّهِ طَرْفٌ مُذَكَّرٌ
يَتِيهُ بِهِ عُجْبًا وَطَرْفٌ مُؤَنَّثُ

وَمِنْهُ أَيْضًا :

يَاسَالِبَ الظَّبْيَةِ لَحْظًا وَجِيدْ
أَجْرٌ لِمَنْ تَهْجُرُ أَجْرَ الشَّهِيدْ
مَتَى رَأَى طَرْفُكَ قَتْلَ امْرِئٍ
بِأَسْهُمِ اللَّحْظِ(١) فَقِيدَ الفَقِيدْ

وَلَهُ دُوبَيْتُ :

يَاغُصْنُ، أَرَاكَ(٢) حَامِلًا عُودَ أَرَاكْ(٣)
حَاشَاكَ إِلَى السِّوَاكِ(٤) يَحْتَاجُ سِوَاكْ
قُلْ لِي: أَنَهَاكَ(٥) عَنْ مُحِبِّكَ نُهَاكْ(٦)؟
لَوْ تَمَّ وَفَاكَ(٧) بُسْتُ خَدَّيْكَ وَفَاكْ(٨)

---

(١) الفاء زائدة ، والمعنى : متى رأيت قتل امرىء قيد للقتل ، ولا راد لحكمك.
(٢) أى أنظرك وأشاهدك
(٣) شجر طويل يتخذ من فروعه وعروقه المساويك ، الواحدة اراك
(٤) السواك : مايستاك به من اراك وغيره
(٥) أى منعك (٦) أى عقلك
(٧) أى وفاؤك (٨) أى فمك

كَذَا وجدْتُ لَهُ فِي أَشعَارٍ مَجْمُوعَةٍ ، وَأَنشدَنِي هذَيْنِ «الدُّوبَيْتَ» بَعْضُ أَهْلِ الأَدَبِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُمَا لِلْعِمَادِ الأَصْبَهَانِيِّ الكَاتِبِ ، وَهُمَا بِهِ أَشبَهُ ، لِأَنَّهُمَا فِي غَايَةِ الجَوْدَةِ ، وَابْنُ مَمَّاتِي ، فِي طَبَقَةِ شِعْرِهِ انْحِطَاطٌ جِدًّا . وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

قَدْ نَهَانَا عَنِ الْغَرَامِ نُهَانَا
إِذْ هَوَانَا أَلَّا نَذُوقَ هَوَانَا [1]
وَهَجَرْنَا الْحَبِيبَ خِيفَةَ أَنْ يَهْـ
جُرَ بَدْءًا فَيَسْتَمِرَّ عَنَانَا [2]
وَتَرَكْنَاهُ لِلْوَرَى فَكَأَنَّا
قَدْ أَدَرْنَاهُ بَيْنَنَا دَسْتَكَانَا [3]
وَأَنِسْنَا مِنَ وَحْشَةٍ بِفِرَاقٍ
فَافْتَرَقْنَا كَمَا تَرَى بِرِضَانَا
وَسَمِعْنَا مِنَ الْعَذُولِ كَلَامًا
فَأَنِفْنَا مِنْ ضِحْكِهِ لِبُكَانَا

---

(١) أى ذلة وصغارا (٢) أى تعبنا ونصبنا

(٣) الدست فى لعبة الشطرنج : هو مايكون فيه الغلب ، يقولون : الدست لى والدست لك ، يريد من يد إلى يد

أَىُّ خَيْرٍ يَكُونُ فِى حُبِّ مَنْ فَوَّ
قَ [(١)] سَهْمًا مِنْ لَحْظِهِ وَرَمَانَا
نَحْنُ لَوْ لَمْ نَكُنْ هَجَرْنَاهُ مِنْ قَبْـ
لُ لَأَبْدَى صُدُودَهُ وَجَفَانَا
شِيمَةٌ فِى الْمِلَاحِ قَدْ أَحْسَنَ الدَّهْـ
رُ بِإِعْلَامِهَا بِنَا وَأَسَانَا [(٢)]
وَصَبَاحُ الْمَشِيبِ يُظْهِرُ مَا كَا
نَ ظَلَامُ الشَّبَابِ عَنْهُ ثَنَانَا
مَامَشَيْنَا إِلَى الصَّبَابَةِ إِلَّا
وَخُطَانَا [(٣)] مَعْدُودَةٌ مِنَ خَطَانَا
فَأَدِرْهَا مُعَسْجَدَاتٍ [(٤)] كُؤُوسًا
مُطْلِعَاتٍ مِنَ الْحَبَابِ جُمَانَا [(٥)]

---

(١) فوق السهم : سدده

(٢) يريد وأحسن باعلامها بأسانا وبمنا ، فهو معطوف على نا فى بنا وعطفك على المجرور من الضمير بغير إعادة الخافض جائز « عبد الخالق »

(٣) خطانا : أى خطأنا الذى نؤخذ به ، ونؤاخذ عليه ، يريد الذنوب

(٤) يريد كالعسجد فى اللون ، وهو الذهب

(٥) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة

﴿ ١٦ – أَسْلَمُ بْنُ سَهْلِ ، بْنِ أَسْلَمَ ، بْنِ زِيَادِ ، ﴾
﴿ ابْنِ حَبِيبٍ الرَّزَّازُ ، أَبُو الْحَسَنِ * ﴾

أسلم بن سهل الواسطى

الْمَعْرُوفُ بِبَحْشَلٍ الْوَاسِطِيُّ ، مَنْسُوبٌ إِلَى مَحِلَّةِ الرَّزَّازِينَ ، الْمَحِلَّةِ السُّفْلَى بِوَاسِطَ ، وَمَسْجِدُهُ هُنَاكَ وَدَارُهُ ، وَهُوَ ثِقَةٌ ، إِمَامٌ يَصْلُحُ لِلتَّصْحِيحِ (١) ، وَجَدُّهُ لِأُمِّهِ : أَبُو مُحَمَّدٍ وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ ، وَيُقَالُ : وَهْبَانُ . جَمَعَ بَحْشَلٌ تَارِيخَ وَاسِطَ ، وَضَبَطَ أَسْمَاءَ أَهْلِهَا ، وَرَتَّبَ طَبَقَاتِهِمْ ، وَكَانَ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ فِي الْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ . مَاتَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ . حَدَّثَ عَنْهُ بِتَارِيخِهِ أَبُو بَكْرٍ ، مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ ، بْنِ سَمْعَانَ الْمُعَدِّلُ ،

---

(١) يريد أنه لحسن درايته وتفهمه يصلح لارجاع الخطأ الى الصواب

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ الاسلام للذهبي ج ١٠ مجلد ١٥ بما يأتى قال : هو صاحب تاريخ واسط ، سمع جده لأمه وهب بن بقية ، وسليمان بن أحمد الواسطى ، ومحمد بن خالد بن عبدالله ، وخلقا آخرين ، ومات بعد الثمانين ومائتين ، وكان يفهم ويدرى الفن ، روى عنه محمد بن عثمان ، بن سمعان ، ومحمد بن عبد الله بن يوسف ، وإبراهيم بن يعقوب الهمذانى ، وعلى بن حميد البزاز ، ومحمد بن جعفر ، بن الليث الواسطى ، وأبو القاسم الطبرانى ، توفى سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

قال خميس الحوزى : بحشل الرزاز ، منسوب إلى محلة الرزازين ، ومسجده هناك . ثقة ، إمام ، مصلح .

وَكَانَ يُضَاهِيهِ(١) فِى الْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ ، وَشَرِكَهُ فِى أَكْثَرِ شُيُوخِهِ ، وَمَاتَ(٢) قَبْلَ الثَّلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ السِّلَفِىُّ الْحَافِظُ ، فِى السُّؤَالَاتِ الَّتِى سَأَلَهَا خَمِيسًا الْحَوْزِىَّ .

١٧ — إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ عَبْدِ اللهِ ، الْحِيرِىُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ *

الضَّرِيرُ الْمُفَسِّرُ ، الْمُقْرِئُ الْوَاعِظُ ، الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ

إسماعيل الحيرى المفسر

(١) يضاهيه : يماثله ويشبهه

(٢) يريد المعدل

(*) ترجم له فى كتاب سلم الوصول ، ص ١٩١ قال :

هو شافعى المذهب ، صاحب الكفاية فى التفسير ، توفى سنة ثلاثين وأربعمائة عن تسع وتسعين سنة ، حدث عن زاهد السرخسى ، وكثير غيره ، وعنه الخطيب البغدادى ، قرأ عليه صحيح البخارى كاملا ، فى ثلاث مجالس ، ذكره ابن السبكى فى الطبقات .

وقال السيوطى : كان من العلماء العاملين فى القرآن ، والحديث ، والوعظ ، نفاعا ، مباركا .

وترجم له أيضاً فى كتاب طبقات المفسرين ورقة ٤٥ قال :

هو مفسر مقرىء ، زاهد ، أحد أئمة المسلمين ، والعلماء العاملين ، له تصانيف مشهورة فى القرآن ، والقراءات ، والحديث ، والوعظ : رحل فى طلب الحديث كثيرا ، وسمع من زاهد السرخسى ، وأبى الحسين الخفاف ، ومحمد بن مكى الكشميهى ، روى عنه الخطيب أبو بكر ، وكان مفيدا ، نفاعا للخلق ، مباركا فى علمه ، له تفسير مشهور ، ولد سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، ومات سنة ثلاثين وأربعمائة .

الزَّاهِدُ ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْحِيرَةُ مَحِلَّةٌ بِنَيْسَابُورَ هِيَ الْآنَ خَرَابٌ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . قَالَ : وَلَهُ التَّصَانِيفُ الْمَشْهُورَةُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ وَالْقِرَاءَاتِ ، وَالْحَدِيثِ وَالْوَعْظِ ، وَالتَّذْكِيرِ . سَمِعَ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ مِنْ أَبِي الْهَيْثَمِ . سُمِعَ مِنْهُ بِبَغْدَادَ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ زَاهِرٍ السَّرْخَسِيِّ .

« ١٨ — إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَقَ ، بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، »
« ابْنِ حَمَّادِ ، بْنِ زَيْدِ ، بْنِ دِرْهَمٍ (*) ، »

إسماعيل الأزدى

أَبُو إِسْحَقَ الْأَزْدِيُّ ، مَوْلَى آلِ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ . مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ : سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ مِائَتَيْنِ ، مَاتَ فُجَاءَةً .

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين ، ورقة ٤٥ بما يأتى قال :
اسماعيل بن اسحاق ، بن اسماعيل ، بن حماد ، بن زيد ، بن درهم ، ابن بابك الجهضمى الازدى ، مولى آل جرير ، بن حازم ، أبو إسحاق ، أصله من البصرة ، وبها نشأ ، واستوطن بغداد ، وسمع محمد بن عبد الله الانصارى ، وسليمان بن حرب الواشى ، وحجاج بن منهال ، ومسددا والقعنبى ، —

قَالَ التَّنُوخِيُّ : حَدَّثَنِي أَبُو الفَرَجِ الأَصْبَهَانِيُّ ، أَنَّ القَاضِيَ إِسْمَاعِيلَ ، لَبِسَ سَوَادَهُ لِيَخْرُجَ إِلَى الجَامِعِ

— وأبا الوليد الطيالسي ، وابن المديني ، وسمع أيضاً من أبيه ، ونصر بن علي الجهضمي ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وأبي مصعب الزهري ، وغيرهم . وأخذ الفقه عن ابن المعدل ، وكان يقول : أفخر على الناس برجلين بالبصرة ، ابن المعدل يعلمني الفقه ، وابن المديني يعلمني الحديث ، روى عنه موسى ، وهارون ، وعبد الله ابن الامام ، احمد بن حنبل ، وأبو القاسم البغوي ، ويحيى بن صاعد ، وابن عمه يوسف بن يعقوب ، وابنه أبو عمر القاضي ، وأخوه ، وإبراهيم بن عرفة نفطويه ، وابن الانباري ، والمحاملي ، وجماعة ، وممن تفقه عليه ، وروى عنه وسمع منه ، ابن أخيه ، ابراهيم بن حماد ، وابنا بكير ، والنسائي ، وابن المنتاب وأبو بشر الدولابي ، وأبو الفرج القاضي ، وأبو بكر بن الجهم ، وبكر القشيري ، والفريابي ، وابن مجاهد المقرىء ، ويحيى بن عمر الاندلسي ، وقاسم ابن أصبغ الاندلسي ، وخلق . وبه تفقه أهل العراق من المالكية ، وكان شديداً على أهل البدع ، فيرى استتابتهم ، حتى أنهم تحاموا بغداد في أيامه ، ومن تآليفه : موطأه ، وكتاب القراءات ، وكتاب أحكام القرآن لم يسبق إلى مثله ، وكتاب معاني القرآن وإعرابه ، خمسة وعشرون جزءا ، وكتاب الرد على محمد ابن الحسن ، مائتا جزء لم يتم ، وكتبه في الرد على أبي حنيفة ، وكتبه في الرد على الشافعي ، في مسألة الخمس وغيرها ، وكتابه المبسوط في الفقه ، ومختصره وكتاب الأموال والمغازي ، وكتاب الشفاعة ، وكتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الفرائض مجلد ، وزيادات الجامع عن الموطأ أربعة أجزاء ، وله كتاب كبير يسمى شواهد الموطأ في عشر مجلدات ، وذكر أنه في خمسمائة جزء ، وكتاب مسند حديث ثابت البناني ، ومسند حديث مالك بن أنس ، ومسند حديث أبي هريرة ، كتاب الاصول ، كتاب الاحتجاج بالقرآن مجلدان ، وكتاب السنن ، وكتاب الشفعة ، وما روى فيها من الآثار ، ومسألة المني يصيب الثوب ، وكتاب المعاني المذكور ، كان ابتداؤه أبو عبيد القاسم بن سلام —

فَيَحْكُمَ ، وَلَبِسَ أَحَدَ خُفَّيْهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَلْبَسَ الْآخَرَ ، فَمَاتَ . وَهُوَ قَاضٍ عَلَى جَانِبَيْ بَغْدَادَ جَمِيعاً . سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ ، وَمُسَدَّدَ بْنَ مُسَرْهَدٍ ، وَعَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ ، وَغَيْرَهُمْ . رَوَى عَنْهُ مُوسَى بْنُ هَارُونَ الْحَافِظَ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَيَحْيَى بْنُ صَاعِدٍ ، وَكَثِيرُونَ . وَكَانَ فَاضِلاً ، عَالِماً ، مُتْقِناً ، فَقِيهاً ، عَلَى مَذْهَبِ مَالِكِ ابْنِ أَنَسٍ ، شَرَحَ مَذْهَبَهُ وَلَخَّصَهُ ، وَاحْتَجَّ لَهُ ، وَصَنَّفَ الْمُسْنَدَ ، وَكُتُباً عِدَّةً فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ، وَجَمَعَ كِتَابَ حَدِيثِ مَالِكٍ ، وَكِتَابَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَكِتَابَ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ ، وَاسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ قَدِيماً ، وَوُلِّيَ الْقَضَاءَ بِهَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَقَلَّدُهُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ [1] .

— بلغ فيه إلى الحج والانبياء ، ثم تركه فلم يكمله : وذلك أن الامام أحمد بن حنبل . كتب اليه يقول : بلغنى أنك تؤلف كتابا فى القراءات ، أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة ، يحتج بهم فى معانى القرآن ، فلا تفعل ، فأخذه إسماعيل وزاد فيه زيادة ، وانتهى إلى حيث انتهى أبو عبيد ، وتوفى فجأة وقت صلاة العشاء الاخيرة ، ليلة الاربعاء ، لثمان بقين من ذى الحجة ، سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ومولده سنة تسع وتسعين ومائة وهو معدود فى حفاظ الحديث ، ذكره الذهبي فى طبقاتهم .

وترجم له فى كتاب الاعلام ج أول ص ١٠٤

وله ترجمة أخرى فى كتاب بغية الوعاة ص ١٩٧

(١) ترى فيما كتب ياقوت ، أنه مات وهو يهيىء نفسه للقضاء فى الجامع ، والعهد أن هذا يكون نهارا ، وترى فى طبقات المفسرين ، أنه مات وقت صلاة العشاء « عبدالخالق »

قَالَ الْخَطِيبُ : قَالَ طَلْحَةُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ جَعْفَرٍ الشَّاهِدُ : إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ مَنْشَؤُهُ الْبَصْرَةُ ، وَأَخَذَ الْفِقْهَ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْمُعَذَّلِ ، وَتَقَدَّمَ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ ، حَتَّى صَارَ عَلَماً فِيهِ ، وَنَشَرَ مِنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ وَفَضْلِهِ ، مَا لَمْ يَكُنْ بِالْعِرَاقِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، وَصَنَّفَ مِنَ الِاحْتِجَاجِ لِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَالشَّرْحِ لَهُ ، مَا صَارَ لِأَهْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ مِثَالًا يَحْتَذُونَهُ ، وَطَرِيقاً يَسْلُكُونَهُ ، وَانْضَافَ إِلَى ذَلِكَ عِلْمُهُ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ صَنَّفَ فِي الْقُرْآنِ كُتُباً تَتَجَاوَزُ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ فِيهِ . فَمِنْهَا كِتَابٌ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ كِتَابٌ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى مِثْلِهِ ، وَكِتَابٌ فِي الْقِرَاءَاتِ ، وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ ، عَظِيمُ الْخَطَرِ ، وَكِتَابٌ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ، وَهَذَانِ الْكِتَابَانِ يَشْهَدَانِ بِفَضْلِهِ فِيهِمَا ، وَأَنَّهُ وَاحِدُ زَمَانِهِ ، وَمَنِ انْتَهَى إِلَيْهِ الْعِلْمُ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ فِي أَوَانِهِ ، وَهُوَ نَظِيرُ الْمُبَرِّدِ .

وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ مُجَاهِدٍ يَصِفُ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ، وَسَمِعْتُهُ مَرَّاتٍ لَا أُحْصِيهَا يَقُولُ : الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ، أَعْلَمُ مِنِّي بِالتَّصْرِيفِ، وَبَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ مَا صَارَ بِهِ وَاحِدًا فِي عَصْرِهِ، فِي عُلُوِّ الْإِسْنَادِ، لِأَنَّ مَوْلِدَهُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، فَحَمَلَ النَّاسُ عَنْهُ مِنَ الْحَدِيثِ الْحَسَنِ مَا لَمْ يَحْمِلْ أَحَدٌ عَنْ كَثِيرٍ، وَكَانَ النَّاسُ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ، فَيَقْتَبِسُ مِنْهُ كُلُّ فَرِيقٍ عِلْمًا لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ الْآخَرُ، فَمِنْ قَوْمٍ يَحْمِلُونَ الْحَدِيثَ، وَمِنْ قَوْمٍ يَحْمِلُونَ عِلْمَ الْقُرْآنِ، وَالْقِرَاءَاتِ، وَالْفِقْهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ. فَأَمَّا سَدَادُهُ فِي الْقَضَاءِ، وَحُسْنُ مَذْهَبِهِ فِيهِ، وَسُهُولَةُ الْأَمْرِ عَلَيْهِ، فِيمَا كَانَ يَلْتَبِسُ عَلَى غَيْرِهِ، فَشَيْءٌ شُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ ذِكْرِهِ، وَكَانَ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ، وَبَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْخُصُومِ، مُتَشَاغِلًا بِالْعِلْمِ، لِأَنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَى مُكَاتَبَةِ أَبِي عُمَرَ، مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ، فَكَانَ يَحْمِلُ عَنْهُ

أَكْثَرَ أَمْرِهِ مِنْ لِقَاءِ السُّلْطَانِ، وَيَنْظُرُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ، وَأَقْبَلَ هُوَ عَلَى الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَصَمُّ: كَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ إِسْحَاقَ نَيِّفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً عَلَى الْقَضَاءِ، مَاعُزِلَ عَنْهَا إِلَّا سَنَتَيْنِ. قَالَ الْخَطِيبُ: وَهَذَا الْقَوْلُ فِيهِ تَسَامُحٌ، وَذَلِكَ أَنَّ وِلَايَةَ إِسْمَاعِيلَ لِلْقَضَاءِ، مَابَيْنَ ابْتِدَائِهَا إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ، لَمْ تَبْلُغْ خَمْسِينَ سَنَةً، وَأَوَّلُ مَاوُلِّيَ فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ، لَمَّا مَاتَ سِوَارُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، بْنِ سِوَارِ، بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَكَانَ قَاضِيَ الْقُضَاةِ بِسُرَّ مَنْ رَأَى: جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيُّ، فَأَمَرَهُ الْمُتَوَكِّلُ، أَنْ يُوَلِّيَ إِسْمَاعِيلَ، قَضَاءَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادَ، سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، لَمْ يَعْزِلْهُ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ غَيْرُ الْمُهْتَدِي، فَإِنَّهُ نَقِمَ [1] عَلَى أَخِيهِ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ شَيْئًا، فَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ [2]، وَعَزَلَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى أَنْ

(١) أى أنكره عليه وعابه، وكرهه أشد الكراهة لسوء فعله

(٢) السياط: جمع سوط، والسوط: مايضرب به من جلد مضفور أو نحوه

قُتِلَ الْمُهْتَدِي ، وَوُلِّيَ الْمُعْتَمِدُ ، فَأَعَادَهُ إِلَى الْقَضَاءِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى قَضَاءِ بَغْدَادَ بِالْجَانِبَيْنِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَلَمْ يُقَلَّدْ[1] قَضَاءَ الْقُضَاةِ ، لِأَنَّ قَاضِيَ الْقُضَاةِ ، كَانَ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الشَّوَارِبِ ، وَكَانَ يَكُونُ حِينَئِذٍ بِسَامَرَّا

وَحَدَّثَ الْخَطِيبُ قَالَ : قَالَ الْمُبَرِّدُ : لَمَّا تُوُفِّيَتْ وَالِدَةُ الْقَاضِي إِسْمَاعِيلَ ، رَأَيْتُ مِنْ وَجْهِهِ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى سَتْرِهِ ، وَكَانَ كُلٌّ يُعَزِّيهِ ، وَقَدْ كَانَ لَا يَسْلُو[2] ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ :

لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَ رَيْبُ الزَّمَانِ[3]
فَسَاءَ لَقَدْ غَالَ نَفْساً حَبِيبَهْ
وَلَكِنَّ عِلْمِي بِمَا فِي الثَّوَا
بِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ يُنْسِي الْمُصِيبَهْ

---

(١) يقلد : يولى

(٢) لا يسلو : لا يكشف عنه همه ولا يتصبر

(٣) ريب الزمان : حوادثه

فتفهم كلامى واستحسنه ، ودعا بدواة وكتبه ، ثم انبسط ، وزالت عنه تلك الكآبة [١] والجزع .

قال إبراهيم بن حماد : أنشدنى عمى إسماعيل القاضى :

همم الموت عاليات فمن ثم
تخطى إلى لباب اللباب [٢]

ولهذا قيل : الفراق أخو المو
ت لإقدامه على الأحباب

قال : ودخل إلى القاضى إسماعيل بن إسحاق ، عبدون ، ابن صاعد الوزير ، وكان نصرانيا ، فقام له ورحب به ، فرأى إنكار الشهود ومن حضره ، فلما خرج قال لهم : قد علمت إنكاركم ، وقال الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم » وهذا الرجل يقضى حوائج المسلمين ، وهو سفير [٣] بيننا وبين خليفتنا ، وهذا من البر ، ، فسكتت الجماعة .

---

(١) الكآبة : الحزن

(٢) لباب اللباب : خلاصة الخلاصة

(٣) أى رسول مصلح بين القوم ، ومنه « السفير كوكيل : لدولة عند دولة أخرى »

قرأتُ بخطِّ أبي سعدٍ بإسنادٍ له ، رفعه إلى أبي العبَّاسِ ابنِ الهادِي ، قالَ : كُنْتُ عِندَ إسْماعِيلَ بْنِ إسْحاقَ القاضِي في مَنْزِلِه ، فخرجَ يُرِيدُ صلاةَ العَصْرِ ، ويَدِي فِي يَدِهِ ، فمرَّ ابْنُ البِرِّيّ ، وكانَ غُلاماً جميلاً ، فنظرَ إليْهِ ، فقالَ وهُوَ يَمْشِي إلى المَسْجِدِ :

لَوْلا الحَياءُ وأنَّني مَشْهُورُ
والعَيْبُ يَعلَقُ بالكَبِيرِ كَبِيرُ
لَحَلَلْتُ مَنْزِلَها الَّتي تَحْتَلُّهُ (١)
ولَكانَ مَنْزِلَها هُوَ المَهْجُورُ (٢)

وانْتَهى إلى مَسْجِدٍ عَلى بابِ دارِهِ فقالَ ، اللهُ أكْبَرُ ، اللهُ أكْبَرُ ، ثُمَّ مَرَّ فِي أذانِهِ ، والشِّعْرُ لإبراهِيمَ بْنِ المَهْدِيِّ .

وحَكَى أبُو حيَّانَ هذِهِ الحِكايَةَ كَما مَرَّ ، وزادَ فِيها ، فَقِيلَ لَهُ : افْتَتَحْتَ الأذانَ بِقَوْلِ الشِّعْرِ ، فقالَ دَعُونِي ، فواللهِ لَوْ نَظَرَ أمِيرُ المُؤْمِنِينَ إلى ما نَظَرْتُ إلَيْهِ ، لَشَغَلَهُ عَنْ تَدْبِيرِ

(١) تحتله : تنزله وتسكن فيه

(٢) المهجور : الذى ترك استعماله ، الخطاب للملام ، والضمير فى منزلها ربما كان لزوجه

مُلْكِهِ . قِيلَ لَهُ : فَهَلْ قُلْتَ شَيْئًا آخَرَ فِيهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَبْيَاتٌ عَبِثَتْ بِي وَأَنَا فِي الْمِحْرَابِ ، فَمَا اسْتَتْمَمْتُ قِرَاءَةَ « الْحَمْدُ » حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا ، وَهِيَ :

أَلْحَاظُهُ تَرْجُمَانُ مَنْطِقِهِ
وَوَجْهُهُ نُزْهَةٌ لِعَاشِقِهِ
هَذَّبَهُ الظَّرْفُ وَالْكَمَالُ فَمَا
يَمُرُّ عَيْبٌ عَلَى طَرَائِقِهِ
قَدْ كَثُرَتْ قَالَةُ الْعِبَادِ فَمَا
تَسْمَعُ إِلَّا سُبْحَانَ خَالِقِهِ

وَمِنْ كِتَابِ الْقُضَاةِ لِابْنِ سَمَكَةَ قَالَ : لَمَّا مَاتَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ ، بَقِيَتْ بَغْدَادُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ بِغَيْرِ قَاضٍ ، حَتَّى ضَجَّ النَّاسُ ، وَرُفِعَ إِلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَاخْتَارَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، ثَلَاثَةَ قُضَاةٍ ، أَبَا حَازِمٍ ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي الشَّوَارِبِ ، وَيُوسُفَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ ، فَوَلَّى أَبَا حَازِمٍ الْكَرْخَ ، وَابْنَ أَبِي الشَّوَارِبِ مَدِينَةَ الْمَنْصُورِ ، وَيُوسُفَ الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ .

قَالَ : وَأَخبرَنِى الثقةُ أَنَّ إسمَاعِيلَ دَخلَ عَلَى المُوَفَّقِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تقُولُ فِى النَّبِيذِ ؟ فَقَالَ أَيُّها الأَمِيرُ : إِذَا أَصبَحَ الإِنسَانُ وَفِى رَأْسِهِ شَىْءٌ مِنهُ ، يُقالُ لَهُ مَاذَا ؟ فَقَالَ المُوَفَّقُ : يُقَالُ هُوَ مَخْمُورٌ ، قَالَ فَهُوَ كَاسْمِهِ .

وَحدَّثَ المُحَسِّنُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِى يَحْكِى عَنْ أَبِى عُمَرَ القَاضِى قَالَ : عَرَضَ القَاضِى إِسمَاعِيلُ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَزِيرِ المُعْتَضِدِ رُقْعَةً فِى حَوَائِجِ النَّاسِ ، ثُمَّ عَرَضَ أُخْرَى وَقَالَ : إِنْ أَمْكَنَ الوَزِيرَ أَنْ يُوَقِّعَ ، وَقَّعَ ، وَعَرَضَ أُخرَى ، وَقَالَ شَيْئاً مِنْ هَذَا الجِنْسِ ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللهِ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ : كَمْ تَقُولُ « إِنْ أَمْكَنَ ، وَإِنْ جَازَ ، وَإِنْ سَهُلَ » ؟ مَنْ قَالَ لَكَ : إِنَّهُ يَجْلِسُ هَذَا المَجْلِسَ أَحَدٌ ، ثُمَّ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ شَىْءٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِنَ الأُمُورِ ، فَقَدْ كَذَبَكَ ، هَاتِ رِقَاعَكَ كُلَّهَا فِى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، قَالَ : فَأَخْرَجَهَا إِسْمَاعِيلُ مِنْ كُمِّهِ ، وَطَرَحَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَوَقَّعَ فِيهَا ، فَكَانَتْ مَعَ مَا وَقَّعَ فِيهِ قَبْلَ الكَلَامِ وَبَعْدَهُ ، نَحْوَ

السِّتِّينَ رُقْعَةً — رَحِمَهُ اللهُ — فَمَا أَصْدَقَ مَا كَانَتْ رَغْبَتُهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

﴿ ١٩ — إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْحَسَنِ ، بْنِ عَلِيٍّ الْغَازِى الْبَيْهَقِيُّ * ﴾

إسماعيل البيهقى

أَبُو الْقَاسِمِ ، شَمْسُ الْأَئِمَّةِ ، ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ الْوِشَاحِ ، فَقَالَ : يُعْرَفُ بِالشَّمْسِ الْبَيْهَقِيِّ ، كَانَ جَامِعاً لِفُنُونِ الْآدَابِ ، حَائِزاً لِمَفَاتِيحِ الْحِكْمَةِ وَفَصْلِ الْخِطَابِ ، أَقَامَ وَتَوَطَّنَ بِمَرْوَ ، وَطَرِيقُهُ فِي الْفِقْهِ مُسْتَقِيمٌ ، وَأَكْثَرُ مُصَنَّفَاتِهِ مِنَ الْمَنَاقِصِ سَلِيمَاتٌ (١) . وَمِنْ مَنْظُومِهِ :

كُتَّابُ حَضْرَتِنَا دَامَتْ سَلَامَتُهُمْ
يُهَيِّئُونَ مِنَ الْأَلْقَابِ أَسْبَابَا

---

(١) كانت فى الاصل : «عن المناقص سليمان» وأصلحت إلى ما ترى ، يريد أنها كاملة ، بعيدة عن النقص والعيب « منصور »

(*) ترجم له فى كتاب سلم الوصول ورقة ١٦٦ قال :

كان إماما جليلا فقيها ، صنف الشامل فى الفقه مجلدين ، وجمع فيه مسائل المبسوط والزيادات . وله كتاب سماه الكفاية مختصر شرح العدوى ، وينسب اليه كتاب الينابيع فى الاصول ، كما روى عن قارىء الهداية ، ذكره تقى الدين ، وصاحب الجواهر .

وله ترجمة أخرى فى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ص ١٩٤

وَيَنْصِبُونَ مِنَ الْأَطْمَاعِ أَلْوِيَةً
وَيَفْتَحُونَ مِنَ الْأَلْقَابِ أَبْوَابَا

وَيَبْخَلُونَ بِمَا جَادَ الْكَرِيمُ بِهِ
وَيُنْفِقُونَ عَلَى الْأَقْوَامِ أَلْقَابَا

تَجَشَّئُوا(١) فِي نَوَادِيهِمْ بِلَا شِبَعٍ
كَأَنَّهُمْ أَكَلُوا الْحِلْتِيتَ وَالرَّابَا(٢)

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْخُوَارِزْمِيِّ :

قَلَّ الدَّرَاهِمُ فِي كِيسَيْ خَلِيفَتِنَا
فَصَارَ يُنْفِقُ فِي الْأَقْوَامِ أَلْقَابَا

قَالَ : وَمِنْ تَصَانِيفِهِ : كِتَابُ نَقْضِ الِاصْطِلَامِ ، كِتَابُ سِمْطِ الثُّرَيَّا ، فِي مَعَانِي الْغَرَائِبِ لِلْحَدِيثِ ، كِتَابٌ فِي اللُّغَةِ ، كِتَابٌ فِي الْخِلَافِ ظَرِيفٌ .

---

(١) تجشئوا : أى تكلفوا التجشؤ ، بأن يخرج الواحد صوتا مع ريح من فمه عند الشبع ، ومنه قوله :

« ألا طعان ألا فرسان عادية الا تجشؤكم حول التنانير »

(٢) نوع يشبه الحلتيت « منصور »

٢٠ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، ابْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ مُحَمَّدِ *

إسماعيل بن جعفر الصادق

ابْنِ عَزِيزٍ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ ، مُحَمَّدٍ الأُطْرُوشِ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ مُحَمَّدٍ الدِّيبَاجِ ، بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ، بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ، بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ – ، كُنْيَتُهُ أَبُو طَالِبٍ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، بْنِ أَبِي

(*) ترجم له فى كتاب سلم الوصول ورقة ١٦٦ قال :

توفى فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وكان فقيها ، أديباً ، أصولياً ، نسابة ، كريم الاخلاق ، انفرد بمرو للاقراء ، وتأدب على المطرزى وأخذ الحديث عن أبى المظفر السمعانى ، وسمع من جماعة ، وصنف كتباً كثيرة فى الانساب ، ذكره السيوطى

وترجم له أيضا فى كتاب الاعلام ج أول صفحة ١٠٥ قال :

هو نسابة أديب ، من أهل مرو بخراسان ، وقدم بغداد سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة هـ ، ومن تصانيفه : حظيرة القدس نحو ستين مجلداً ، وبستان الشرف نحو عشرين مجلداً ، وغنية الطالب ، فى نسب آل أبى طالب ، والموجز فى النسب ، والفخرى صنفه للفخر الرازى ، وشجر عدة كتب ، واجتمع به ياقوت فى مرو ، سنة أربع عشرة وستمائة هـ واثنى عليه كثيرا

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ١٩٤

أَحْمَدَ ، بنِ أَبِي عَلِيٍّ ، بنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، بْنِ أَبِي جعفرٍ ، ابنِ أَبِي الفضْلِ ، بنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْأُطْرُوشِ ، بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ابنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ ، بنِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، بْنِ أَبِي جعفرٍ ، بنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ ، بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ ، بنِ أَبِي مُحَمَّدٍ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، بنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ السِّبْطِ ، بنِ أَبِي الْحَسَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الْمَرْوَزِيُّ الْعَلَوِيُّ ، النَّسَّابَةُ الْحُسَيْنِيُّ ، عَزِيزُ الدِّينِ حَقًّا . أَوَّلُ مَنِ انْتَقَلَ مِنْ أَجْدَادِهِ إِلَى مَرْوَ مِنْ قُمَّ ، أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَزِيزٍ ، وَكَانَ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ الدِّيباجُ ، وَكَانَ عَلِيٌّ هذَا يُعْرَفُ بِالْخَارِصِ ، وَابْنُهُ الْحُسَيْنُ انتقَلَ إِلَى قُمَّ ، ثمَّ أَقَامُوا بِمَرْوَ إِلَى هذَا الْأَوَانِ . وَأَخبَرَنِي — أَحْسَنَ اللهُ جزَاءَهُ — أَنَّ مَوْلِدَهُ لَيْلَةَ الاثْنَيْنِ ، الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمائَةٍ ، وَرَدَ بَغْدَادَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمائَةٍ ، صُحْبَةَ الْحُجَّاجِ ، وَلَمْ يَحُجَّ . وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى الْإِمَامِ مُنْتَخَبِ الدِّينِ ، أَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدِ

ابْنِ سَعْدٍ ، بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ أَبِي الْفَضْلِ الدِّيبَاجِيِّ ، وَالْإِمَامِ بُرْهَانِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ ، نَاصِرِ بْنِ أَبِي الْمَكَارِمِ ، عَبْدِ السَّيِّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُطَرِّزِيِّ الْخُوَارِزْمِيِّ ، وَأَخِيهِ الْإِمَامِ مَجْدِ الدِّينِ أَبِي الرِّضَا طَاهِرٍ ، وَقَرَأَ الْفِقْهَ عَلَى الْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ ابْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ الْحُسَيْنِ الطَّيَّانِ الْمَاهَرَوِيِّ الْحَنَفِيِّ ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ ، مُنْتَخَبِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، ابْنِ إِسْحَاقَ الْفَقِيهِيِّ قَالَ : وَمَا عَلِمْتُ أَنَّهُ وَلِيَ الْقَضَاءَ بِمَرْوَ أَحْسَنُ سِيرَةً مِنْهُ — رَحِمَهُ اللهُ — وَقَرَأَ الْحَدِيثَ عَلَى الْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ ، إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ يُوسُفَ الْقَاشَانِيِّ ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ عُمَرَ الصَّائِغِيِّ السَّبَخِيِّ ، وَالْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ ، مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ الْمَسْعُودِيِّ ، وَالْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ ، أَبِي الْمُظَفَّرِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، ابْنِ الْإِمَامِ تَاجِ الْإِسْلَامِ ، عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ مَنْصُورٍ السَّمْعَانِيِّ ، وَعَبْدِ الرَّشِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ أَبِي بَكْرٍ الزَّرَقِيِّ الْمُؤَدِّبِ ، وَبِنَيْسَابُورَ عَلَى الْقَاضِي رُكْنِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ حَمْدٍ الْمَغِيثِيِّ ،

وَالْإِمَامِ مَجْدِ الدِّينِ ، أَبِي سَعْدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ الصَّفَّارِ ، وَالْإِمَامِ نُورِ الدِّينِ ، فَضْلِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَلِيلِ التَّوْقَانِيِّ (١) ، وَعَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّعَرِيِّ ، وَبِالرَّيِّ عَلَى مَجْدِ الدِّينِ ، يَحْيَى بْنِ الرَّبِيعِ الْوَاسِطِيِّ ، وَبِبَغْدَادَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ سُكَيْنَةَ ، وَغَيْرِهِمْ ، بِشِيرَازَ ، وَهَرَاةَ ، وَتُسْتَرَ (٢) ، وَيَزْدَ . وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ حَظِيرَةِ الْقُدْسِ ، نَحْوُ سِتِّينَ مُجَلَّداً ، وَلَعَلَّهُ يَزِيدُ فِيمَا بَعْدُ ، وَكِتَابُ بُسْتَانِ الشَّرَفِ ، وَهُوَ مُخْتَصَرُ ذَلِكَ ، يَكُونُ عِشْرِينَ مُجَلَّداً ، كِتَابُ غُنْيَةِ الطَّالِبِ ، فِي نَسَبِ آلِ أَبِي طَالِبٍ مُجَلَّدٌ ، كِتَابُ الْمُوجَزِ فِي النَّسَبِ ، مُجَلَّدٌ لَطِيفٌ ، كِتَابُ الْفَخْرِيِّ صَنَّفَهُ لِلْفَخْرِ الرَّازِيِّ ، كِتَابُ زُبْدَةِ الطَّالِبِيَّةِ ، مُجَلَّدٌ لَطِيفٌ ، كِتَابُ خُلَاصَةِ الْعِتْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فِي أَنْسَابِ الْمُوسَوِيَّةِ ، كِتَابُ الْمُثَلَّثِ فِي النَّسَبِ ، شَجَّرَ (٣) عِدَّةَ كُتُبٍ مِنْهَا :

---

(١) لقد بحثت في معجم البلدان عمن نسب إليه ، وهو « توقان » فلم أوفق ، والذي عثرت عليه « توقات » بالفتح ثم السكون : بلدة في أرض الروم بين قونيا وسيواس ، ذات قلعة حصينة ، وأبنية مكينة ، وبينها وبين سيواس يومان معجم البلدان ج ٢ ص ٤٣٠ « منصور » (٢) تستر بضم الاول ، وفتح الثالث : أعظم مدينة بخوزستان

(٣) أي جعلها على شكل الشجر ، وأكثر ما يكون هذا في الانساب ، تشبيهاً لها بأصولها والفروع

كِتَابُ أَبِي الْغَنَائِمِ الدِّمَشْقِيِّ ، كِتَابُ مَنِ اتَّصَلَ عَقِبُهُ بِأَبِي الْحَسَنِ ، مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ التَّمِيمِيِّ الْأَصْفَهَانِيِّ مُشَجَّرٌ ، وَكِتَابُ الْمَعَارِفِ لِلسَّيِّدِ أَبِي طَالِبٍ الزَّنْجَانِيِّ (١) الْمُوسَوِيِّ ، كِتَابُ الطَّبَقَاتِ لِلْفَقِيهِ زَكَرِيَّا بْنِ أَحْمَدَ الْبَزَّارِ النَّيْسَابُورِيِّ ، كِتَابُ نَسَبِ الشَّافِعِيِّ خَاصَّةً ، كِتَابُ وَفْقِ الْأَعْدَادِ فِي النَّسَبِ . وَهٰذَا السَّيِّدُ – أَدَامَ اللهُ فَضْلَهُ – اجْتَمَعْتُ بِهِ فِي مَرْوَ ، فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَوَجَدْتُهُ كَمَا قِيلَ :

قَدْ زُرْتُهُ فَوَجَدْتُ النَّاسَ فِي رَجُلٍ
وَالدَّهْرَ فِي سَاعَةٍ وَالْفَضْلَ فِي دَارِ

قَدْ طُبِعَ مِنْ حُسْنِ الْأَخْلَاقِ ، وَسَمَاحَةِ الْأَعْرَاقِ ، وَحُسْنِ الْبِشْرِ ، وَكَرَمِ الطَّبْعِ ، وَحَيَاءِ الْوَجْهِ ، وَحُبِّ الْغُرَبَاءِ عَلَى مَا نَرَاهُ ، مُتَفَرِّقًا فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ ، وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ ، أَعْلَمُ النَّاسِ يَقِينًا بِالْأَنْسَابِ ، وَالنَّحْوِ ، وَاللُّغَةِ ، وَالشِّعْرِ ، وَالْأُصُولِ ، وَالنُّجُومِ ، وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهٰذَا الْبَلَدِ ، بِالتَّصَدُّرِ لِإِقْرَاءِ الْعُلُومِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، فِي مَنْزِلٍ يَنْتَابُهُ

(١) نسبة إلى زنجان ، بفتح الزاى وسكون النون : بلد كبير مشهور من نواحى الجبال ، وهى قريبة من أبهر وقزوين ، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والحديث . ا . ه . ملخصا معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٧ « منصور »

النَّاسُ عَلَى حَسَبِ أَغْرَاضِهِمْ ، فَمِنْ قَارِئٍ لِلْفِقْهِ ، وَمُتَعَلِّمٍ فِي النَّحْوِ ، وَمُصَحِّحٍ لِلُّغَةِ ، وَنَاظِرٍ فِي النُّجُومِ ، وَمُبَاحِثٍ فِي الْأُصُولِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ ، وَهُوَ مَعَ سَعَةِ عِلْمِهِ مُتَوَاضِعٌ ، حَسَنُ الْأَخْلَاقِ ، لَا يَرِدُ غَرِيبٌ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا يَسْتَفِيدُ مُسْتَفِيدٌ إِلَّا مِنْهُ . وَأَنْشَدَنِي ـ أَدَامَ عُلُوَّهُ ـ لِنَفْسِهِ :

قُولُوا لِمَنْ لُبِّيَ[١] فِي حُبِّهِ
قَدْ صَارَ مَغْلُوباً وَمَسْلُوبَا
وَفِي صَمِيمِ الْقَلْبِ مِنِّي أَرَى
هَوَاهُ وَالْأَيْمَانِ مَكْتُوبَا[٢]
وَصِحَّتِي فِي عِشْقِهِ صَيَّرَتْ
جِسْمِيَ مَعْلُولاً[٣] وَمَعْيُوبَا
وَمَدْمَعِي مُنْهَمِراً مَاؤُهُ
مُنْهَمِلاً فِي الْخَدِّ مَسْكُوبَا[٤]

(١) لبي : عقلى (٢) فى الاصل : والايمان بكسر الهمزة وضم النون ، يريد الايمان بالله ، ومن رأى أنه يقسم ، وإلا كان ازدراء بالدين

(٣) معلولا : مريضاً ، ومعيوباً : موصوماً بالنقص ، وفى معيوب شذوذ صرفى إذ القياس معيب للاعلال بالنقل ، وان فى إجازة مثل هذا التصريف ضعفاً لايقاس عليه « عبدالخالق »

(٤) مسكوباً : أى يجرى على وجهه

وَأَنْشَدَنِى — أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ — لِنَفْسِهِ :

وَالْعَيْنُ يَحْجُبُهَا لَأْلَاءُ وَجْنَتِهِ
مِنَ التَّأَمُّلِ فِى ذَا الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ
بَلْ عَبْرَتِى مَنَعَتْ لَوْ نَظْرَتِى عَبَرَتْ
إِلَيْهِ مِنْ مُقْلَتِى إِلَّا عَلَى السُّفُنِ (١)
لَوْلَا تَجَشُّمُهُ بِالْإِبْتِسَامِ وَمَا
أَمَدَّهُ اللهُ عِنْدَ النُّطْقِ بِاللَّسَنِ
لَمَا عَرَفْتُ عَقِيقًا شَفَّهُ دُرَرٌ
وَلَمْ يَبِنْ فُوهُ نُطْقًا وَهْوَ لَمْ يَبِنِ (٢)

حَدَّثَنِي عَزِيزُ الدِّينِ ، — رَحِمَهُ اللهُ — ، قَالَ : وَرَدَ الْفَخْرُ الرَّازِىُّ إِلَى مَرْوَ ، وَكَانَ مِنْ جَلَالَةِ الْقَدْرِ ، وَعِظَمِ الذِّكْرِ ، وَضَخَامَةِ الْهَيْبَةِ ، بِحَيْثُ لَا يُرَاجَعُ فِى كَلَامِهِ ، وَلَا يَتَنَفَّسُ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ لِإِعْظَامِهِ ، عَلَى مَاهُوَ مَشْهُورٌ مُتَعَارَفٌ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ،

---

(١) فى الاصل : « الشفن » فغيرت إلى السفن ، كما فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد ، « وعبرة » : يريد أن نظرتى لو انتقلت من مقلتى اليه ، منعتها عبرتى لكثرتها ، حتى جعلت الارض كثيرة المياه ، يعبر عليها بالسفن ، ولا يصل إلا لهذا ، وفيه من المبالغة ما قد يكون غلوا يجيزه حسن الخيال « عبد الخالق »

(٢) يريد من البيتين : أن تجشمه الابتسام ، ونطقه الواضح ، بما أمد به من اللسن ، ينتج أمرين : أحدهما رؤية در ثبت فى عقيق ، يريد أسنانه وما ركبت فيه ، ثانيهما إبانته فيه عن قول كان غير واضح قبل . « عبد الخالق »

وَتَرَدَّدْتُ لِلقِرَاءَةِ عليْهِ، فقَالَ لِى يَوْماً: أُحِبُّ أَنْ تُصَنِّفَ لِى كِتَاباً لَطِيفاً فِى أَنْسَابِ الطَّالِبِيِّينَ لِأَنْظُرَ فيهِ، فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ جَاهِلاً بِهِ. فقُلْتُ لَهُ: أَتُرِيدُهُ مُشَجَّراً أَمْ مَنْثُوراً؟ فقَالَ: المُشَجَّرُ لَا يَنْضَبِطُ بِالحِفْظِ، وأَنَا أُرِيدُ شَيْئاً أَحْفَظُهُ، فقُلْتُ: السَّمْعُ والطَّاعَةُ، وَمَضَيْتُ وَصَنَّفْتُ لَهُ الْكِتَابَ، الَّذِى سَمَّيْتُهُ بِالفَخْرِىِّ، وَحَمَلْتُهُ وَجِئْتُهُ بِهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ، نَزَلَ عَنْ طَرَّاحَتِهِ[1] وَجلَسَ عَلَى الْحَصِيرِ، وَقَالَ لِى: اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ الطَّرَّاحَةِ، فَأَعْظَمْتُ[2] ذَلِكَ وَخدَمْتُهُ، فَانْتَهَرَنِى[3] نَهْرَةً مُزْعِجَةً، وَزَعَقَ عَلَيَّ وَقَالَ: اجْلِسْ بِحَيْثُ أَقُولُ لَكَ، فَتَدَاخَلَنِى - عَلِمَ اللهُ - مِنْ هَيْبَتِهِ مَا لَمْ أَتَمَالَكْ، إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ حَيْثُ أَمَرَنِى، ثُمَّ أَخَذَ يَقْرَأُ عَلَيَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ يَدَيَّ، وَيَسْتَفْهِمُنِى عَمَّا يَسْتَغْلِقُ[4] عَلَيْهِ، إِلَى أَنْ أَنْهَاهُ قِرَاءَةً، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَالَ: اجْلِسِ الآنَ حَيْثُ شِئْتَ، فَإِنَّ هَذَا عِلْمٌ أَنْتَ أُسْتَاذِى فِيهِ، وَأَنَا

(١) نوع من الفرش

(٢) رأيته عظيما

(٣) انتهرنى: استقبلنى بكلام يزجرنى به

(٤) أى يتعسر فهمه

أَسْتَفِيدُ مِنْكَ ، وَأَتَتَلْمَذُ لَكَ ، وَلَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ يَجْلِسَ التِّلْمِيذُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ الْأُسْتَاذِ ، فَقُمْتُ مِنْ مُقَامِي ، وَجَلَسَ هُوَ فِي مَنْصِبِهِ ، ثُمَّ أَخَذْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَأَنَا جَالِسٌ بِحَيْثُ كَانَ أَوَّلًا ، وَهٰذَا لَعَمْرِى مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ حَسَنٌ ، وَلَا سِيَّمَا مِنْ مِثْلِ ذٰلِكَ الرَّجُلِ الْعَظِيمِ الْمَرْتَبَةِ .

﴿ ٢١ — إِسْمَاعِيلُ الضَّرِيرُ النَّحْوِيُّ ، أَبُو عَلِيٍّ * ﴾

اسماعيل الضرير

لَا أَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا مَا ذُكِرَ : أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ إِسْمَاعِيلَ الضَّرِيرَ النَّحْوِيَّ ، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَلِيِّ (١) بْنِ أَحْمَدَ ، ابْنِ الْفَرَجِ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، بْنِ الْمُسْلِمَةِ ، الْمُلَقَّبِ بِرَئِيسِ الرُّؤَسَاءِ ، وَزِيرِ الْقَائِمِ ، كَيْفَ تَرَى رَئِيسَ الرُّؤَسَاءِ فِي النَّحْوِ ؟

---

(١) لعل اسمه : على ابن الحسن ، كما ورد فى ابن الاثير .

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة صفحة ١٩٠ بما يأتى قال :

كان إماماً فى هذا الشأن ، تصدر للافادة ببغداد ، وحضر مجالس الوزراء ، وكان خصيصا بالوزير أبى القاسم ، رئيس الرؤساء ابن المسلمة ، وزير القائم ، سئل إسماعيل عن الوزير ، رئيس الرؤساء ، كيف تراه فى النحو ؟ فقال : يتكلم فيه كلام أهل الصنعة ، وسئل رئيس الرؤساء عن إسماعيل النحوى هذا فقال : ما أرى مفتوح القلب فى النحو إلا هذا المغمض العينين ، وكان إسماعيل هذا ، موجودا فى حدود سنة خمسين وأربعمائة

فَقَالَ : يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِكَلَامِ أَهْلِ الصَّنْعَةِ ، وَسُئِلَ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَ : مَا أَرَى مَفْتُوحَ الْقَلْبِ فِي النَّحْوِ ، إِلَّا هَذَا الْمُغْمَضَ الْعَيْنَيْنِ !!.

٢٢ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ الْجَوْهَرِيُّ ، أَبُو نَصْرٍ الْفَارَابِيُّ *

اسماعيل الفارابى

ابْنُ أُخْتِ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَارَابِيِّ ، صَاحِبُ دِيوَانِ الْأَدَبِ ، وَكَانَ الْجَوْهَرِيُّ هَذَا ، مِنْ أَعَاجِيبِ الزَّمَانِ ذَكَاءً

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ص ١٨٧ بما يأتى قال :

هو من أعاجيب الدنيا ، وذلك أنه من الفاراب ، أحد بلاد الترك ، وهو إمام فى علم اللغة ، وخطه يضرب به المثل فى الحسن ، ويذكر فى الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة ، ومهلهل ، واليزيدى ، ثم هو من فرسان الكلام ، وممن أتاه الله قوة بصيرة ، وحسن سريرة وسيرة ، وكان يؤثر السفر على الوطن ، والغربة على السكن والمسكن ، وتخرق البدو على الحضر ، ودخل ديار ربيعة ومضر فى طلب الأدب ، وإتقان لغة العرب ، وحين قضى وطره من قطع الآفاق ، والاقتباس من علماء الشام والعراق ، وعاود خراسان ، وتطرق فى الدامغان ، أنزله أبو الحسين بن على ، وهو من أعيان الكتاب ، وأفراد الفضلاء عنده ، وبذل فى اكرام مثواه ، وإحسان قراه جهده ، وأخذ من آدابه ، وخطه ، ثم سرحه باحسان إلى نيسابور ، فلم يزل مقيما بها على التدريس ، والتأليف ، وتعليم الخط الأنيق وكتابة المصاحف ، والدفاتر والطائف ، حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة ، وأخبار حميدة ، وله كتاب الصحاح فى اللغة أكبر وأقرب متناولا ممن يحمل اللغة ، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابورى ، وكان عنده الكتاب بخط مؤلفه ، وهذا كتاب الصحاح ، قد سار فى الآفاق ، وبلغ مبلغ الوفاق ، ولما دخلت منه نسخة إلى مصر ، نظرها العلماء ، فاستجادوا مأخذها وقربه ، ولمحوا فيها أوهاماً كثيرة ، انتدبوا لاصلاحها وزادوا فيها بعض ما لعله أخل به ، من ألفاظ لغوية ، الحاجة داعية اليها ، فلا شبهة فى أنه نقلها من صحف —

وَفِطْنَةً وَعِلْماً ، وَأَصْلُهُ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ مِنْ فَارَابَ ، وَهُوَ إِمَامٌ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، وَخَطُّهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي

— فصحف، وانفرد فى تصريف الكلام برأيه فحرف ، وقيل انه اختلط فى آخر عمره، ومات متردياً من سطح داره بنيسابور ، فى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، ورأيت فيما رأيت ، أنه مات فى حدود سنة أربعمائة، وله شعر ذكره ياقوت .

ومن العجب أن أهل مصر يروون كتاب الصحاح عن ابن القطاع الصقلى ، متصل الطريق إلى الجوهرى ، ولا يرد به أحد من أهل خراسان . وقد قيل : إن ابن القطاع لما دخل إلى مصر ، سئل عن الكتاب فقال : ماوصل الينا « إلى العرب » ولما رأى رغبة المصريين فيه ، وكثرة اشتغالهم به ، ركب عليه طريقاً ، ورواه لهم ـ فنسأل الله الستر والسلامة ـ بمنه وطوله .

وترجم له فى سلم الوصول صفحة ١٦٦ قال :

هو صاحب الصحاح ، المتوفى بنيسابور ، سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، كما فى مفتاح السعادة ، وفى غيره ثلاث وتسعون ، وكان إماماً فى اللغة والادب، وحسن الخط ، وهو مع ذلك من فرسان علم الكلام ، والاصول ، رحل وطاف، فقرأ على أبى على الفارسى والسيرافى بالعراق ، ونزل بلاد ربيعة ومضر ، لاخذ اللغة ، ثم عاد إلى خراسان ، وأقام بنيسابور ملازماً للتدريس ، والتأليف ، وتعليم الخط ، وكتابة المصاحف ، وله مقدمة فى العروض ، ومقدمة فى النحو ، روى تلميذه ابراهيم بن صالح الوراق : أنه صعد سطح الجامع ، وزعم أنه يطير ، فوقع فمات .

وترجم له فى كتاب الاعلام ج أول ص ١٠٥ قال :

هو لغوى من الأئمة ، أشهر كتبه الصحاح ، أربع مجلدات ، وأصله من فاراب ، ودخل العراق صغيرا ، وسافر الى الحجاز وطاف البادية ، وعاد إلى خراسان ، ثم أقام فى نيسابور وبدا له أن يطير فصنع جناحين من خشب ، وربطهما بحبل ، وصعد سطح مسجد ، ونادى الناس قائلا ، لقد صنعت مالم أسبق اليه ، — وسأطير الساعة ، فازدحم أهل نيسابور ينظرون اليه ، فتأبط الجناحين ، ونهض بهما ، فخانه اختراعه ، فسقط إلى الارض قتيلا .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ١٩٥

الْجَوْدَةِ ، لَا يَكَادُ يُفَرَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَطِّ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُقْلَةَ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ فُرْسَانِ الْكَلَامِ فِي الْأُصُولِ ، وَكَانَ يُؤْثِرُ السَّفَرَ عَلَى الْحَضَرِ ، وَيَطُوفُ الْآفَاقَ ، وَاسْتَوْطَنَ الْغُرْبَةَ عَلَى سَاقٍ . دَخَلَ الْعِرَاقَ فَقَرَأَ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى شَيْخَيْ زَمَانِهِ ، وَنُورِ عَيْنِ أَوَانِهِ ، أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ ، وَأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ . وَسَافَرَ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ ، وَشَافَهَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبَ الْعَارِبَةَ ، وَقَدْ ذَكَرَ هُوَ ذَلِكَ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ الصِّحَاحِ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَطَوَّفَ بِلَادَ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ، وَأَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي الطَّلَبِ ، وَلَمَّا قَضَى وَطَرَهُ مِنَ الطَّوَافِ ، عَادَ رَاجِعاً إِلَى خُرَاسَانَ ، وَتَطَرَّقَ الدَّامِغَانَ ، فَأَنْزَلَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَانِ الْكُتَّابِ ، وَأَفْرَادِ الْفُضَلَاءِ عِنْدَهُ ، وَأَخَذَ عَنْهُ ، وَسَمِعَ مِنْهُ ، ثُمَّ سَرَّحَهُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، فَلَمْ يَزَلْ مُقِيماً بِهَا عَلَى التَّدْرِيسِ ، وَالتَّأْلِيفِ ، وَتَعْلِيمِ (١) الْخَطِّ ، وَكِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ ، وَالدَّفَاتِرِ ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ عَنْ آثَارٍ جَمِيلَةٍ .

(١) في الأصل : « وتعظيم » فأصلحناها كما ترى « عبد الخالق »

وَذَكَرَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَاخَرْزِىُّ فَقَالَ : هُوَ صَاحِبُ صِحَاحِ اللُّغَةِ ، لَمْ يَتَأَخَّرْ فِيهَا عَنْ شَرْطِ أَقْرَانِهِ ، وَلَا انْحَدَرَ عَنْ دَرَجَةِ أَبْنَاءِ زَمَانِهِ ، أَنْشَدَنِى الْأَدِيبُ ، يَعْقُوبُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ : أَنْشَدَنِى الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ صَالِحٌ الْوَرَّاقُ ، تِلْمِيذُ الْجَوْهَرِىِّ — رَحِمَهُ اللهُ — لَهُ :

يَا ضَائِعَ الْعُمْرِ بِالْأَمَانِى
أَمَا تَرَى رَوْنَقَ الزَّمَانِ
فَقُمْ بِنَا يَا أَخَا الْمَلَاهِى
نَخْرُجْ إِلَى نَهْرِ نَشْتَقَانِ
لَعَلَّنَا نَجْتَنِى سُرُورًا
حَيْثُ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ
كَأَنَّنَا وَالْقُصُورُ فِيهَا
بِحَافَتَىْ كَوْثَرِ الْجِنَانِ
وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْغُصُونِ تَحْكِى
بِحُسْنِ أَصْوَاتِهَا الْأَغَانِى

وَأَرْسَلَ الْوُرْقَ عَنْدَلِيبٌ (١)

كَالزِّيرِ وَالْبَمِّ وَالْمَثَانِى (٢)

وَبِرْكَةٍ حَوْلَهَا أَنَاخَتْ

عَشْرٌ مِنَ الدُّلْبِ (٣) وَاثْنَتَانِ

فُرْصَتُكَ الْيَوْمَ فَاغْتَنِمْهَا

فَكُلُّ وَقْتٍ سِوَاهُ فَانِ

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابٌ فِى الْعَرُوضِ جَيِّدٌ بَالِغٌ، سَمَّاهُ عَرُوضَ الْوُرْقَةِ ، كِتَابُ الصِّحَاحِ فِى اللُّغَةِ ، كِتَابُ الْمُقَدِّمَةِ فِى النَّحْوِ ، وَهَذَا الْكِتَابُ ، هُوَ الَّذِى بِأَيْدِى النَّاسِ الْيَوْمَ ، وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُمْ . أَحْسَنَ تَصْنِيفَهُ ، وَجَوَّدَ تَأْلِيفَهُ ، وَقَرَّبَ مُتَنَاوَلَهُ ، وَآثَرَ مِنْ تَرْتِيبِهِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَهُ ، يَدُلُّ وَضْعُهُ عَلَى قَرِيحَةٍ سَالِمَةٍ ، وَنَفْسٍ عَالِمَةٍ ، فَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْجَمْهَرَةِ ، وَأَوْقَعُ مِنْ تَهْذِيبِ اللُّغَةِ ، وَأَقْرَبُ مُتَنَاوَلًا مِنْ

(١) العندليب : طائر يقال له الهزار ، يصوت ألوانا ، ويجمع على عنادل أو عنادب

(٢) أجزاء المزهر « العود » (٣) الدلب : شجر ، الواحدة دلبة

مُجْمَلِ اللُّغَةِ ، فِيهِ يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدُوسٍ النَّيْسَابُورِيُّ .

هَذَا كِتَابُ الصِّحَاحِ أَحْسَنُ مَا
صُنِّفَ قَبْلَ الصِّحَاحِ فِي الْأَدَبِ
تَشْمَلُ أَبْوَابُهُ وَتَجْمَعُ مَا
فُرِّقَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ

هَذَا مَعَ تَصْحِيفٍ فِيهِ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ ، أَخَذَهَا عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ ، وَتَتَبَّعَهَا الْعَالِمُونَ ، وَمَنْ مَا سَاءَ قَطُّ ، وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطْ ؟؟ فَإِنَّهُ — رَحِمَهُ اللهُ — غَلِطَ وَأَصَابَ ، وَأَخْطَأَ الْمَرْمَى وَأَصَابَ ، كَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ ، الَّذِينَ تَقَدَّمُوهُ وَتَأَخَّرُوا عَنْهُ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ كِتَابًا سُلِّمَ إِلَى مُؤَلِّفِهِ فِيهِ ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ بِالتَّتَبُّعِ مَنْ يَلِيهِ .

وَذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ ، عَلِيُّ بْنُ فَضَالٍ الْمُجَاشِعِيُّ فِي كِتَابِهِ ، الَّذِي سَمَّاهُ شَجَرَةَ الذَّهَبِ ، فِي مَعْرِفَةِ أَئِمَّةِ الْأَدَبِ فَقَالَ : كَانَ الْجَوْهَرِيُّ قَدْ صَنَّفَ كِتَابَ الصِّحَاحِ ، لِلْأُسْتَاذِ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَيْشَكِيِّ (١) ، وَسَمِعَهُ مِنْهُ إِلَى بَابِ الضَّادِ الْمُعْجَمَةِ ، وَاعْتَرَى الْجَوْهَرِيَّ وَسْوَسَةٌ ، فَانْتَقَلَ إِلَى الْجَامِعِ الْقَدِيمِ بِنَيْسَابُورَ ، فَصَعِدَ إِلَى سَطْحِهِ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي عَمِلْتُ فِي الدُّنْيَا شَيْئًا لَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهِ ، فَسَأَعْمَلُ لِلْآخِرَةِ أَمْرًا لَمْ أُسْبَقْ إِلَيْهِ ، وَضَمَّ إِلَى جَنْبَيْهِ مِصْرَاعَيْ بَابٍ ، وَتَأَبَّطَهُمَا بِحَبْلٍ ، وَصَعِدَ مَكَانًا عَالِيًا مِنَ الْجَامِعِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يَطِيرُ ، فَوَقَعَ فَمَاتَ ، وَبَقِيَ بَقِيَّةُ الْكِتَابِ ، مُسَوَّدَةً غَيْرَ مُنَقَّحَةٍ ، وَلَا مُبَيَّضَةٍ ، فَبَيَّضَهُ أَبُو إِسْحَاقَ ، إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحٍ الْوَرَّاقُ ، تِلْمِيذُ الْجَوْهَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَغَلِطَ فِيهِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ غَلَطًا فَاحِشًا .

وَكَانَ الْجَوْهَرِيُّ يُجِيدُ قَوْلَ الشِّعْرِ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

رَأَيْتُ فَتًى أَشْقَرًا أَزْرَقًا
قَلِيلَ الدِّمَاغِ كَثِيرَ الْفُضُولِ (٢)

(١) نسبة إلى بيشك بكسر الباء وسكون الياء وفتح الشين : قصبة كورة رخ ، من نواحى نيسابور ، واليها ينسب المذكور ، وكان من أهل الرياسة والجلالة ، والعظمة والثروة وكان إسماعيل بن حماد الجوهرى اللغوى ، صاحب الترجمة شريكه بنيسابور ا هـ ملخصاً معجم البلدان ج ٢ ص ٣٣٤ « مصور »

(٢) أى الاشتغال بما لا يعنيه

يُفَضِّلِ مِنْ حُمْقِهِ دَائِبًا
يَزِيدَ بْنَ هِنْدٍ عَلَى ابْنِ الْبَتُولِ (١)

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَكُنْتُ بِحَلَبَ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسِتِّمَائَةٍ ، فِي مَنْزِلِ الْقَاضِي الْأَكْرَمِ ، وَالصَّاحِبِ الْأَعْظَمِ ، أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيِّ ، فَتَجَارَيْنَا أَمْرَ الْجَوْهَرِيِّ ، وَمَاوُفِّقَ لَهُ مِنْ حُسْنِ التَّصْنِيفِ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : وَمِنَ الْعَجَبِ أَنِّي بَحَثْتُ عَنْ مَوْلِدِهِ وَوَفَاتِهِ ، بَحْثًا شَافِيًا ، وَسَأَلْتُ عَنْهُمَا الْوَارِدِينَ مِنْ نَيْسَابُورَ ، فَلَمْ أَجِدْ مُخْبِرًا عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِي : فَقَدْ بَحَثْتُ قَبْلَكَ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ أَرَ مُخْبِرًا عَنْهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، جِئْتُهُ فَقَالَ لِي : أَلَا أُخْبِرُكَ بِطَرِيفَةٍ ؟ إِنِّي رَأَيْتُ فِي بَارِحَتِنَا (٢) فِي النَّوْمِ قَائِلًا يَقُولُ لِي : مَاتَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ الْجَوْهَرِيُّ ، فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، وَلَعَمْرِي وَإِنْ كَانَ الْمَنَامُ مِمَّا لَا يُقْطَعُ بِهِ ، وَلَا يُعَدَّلُ عَلَيْهِ ، فَهَذَا بِلَا شَكٍّ زَمَانُهُ ، وَفِيهِ كَانَ أَوَانُهُ ،

(١) البتول : هي السيدة فاطمة الزهراء ، وابن البتول ، سيدنا الحسين رضى الله عنه ، ويزيد بن هند بن معاوية ، وهند أمه (٢) يريد ليلته السابقة

لِأَنَّ شيْخيْهِ أَبَا عَلِيٍّ، وَأَبَاسَعِيدٍ، مَاتَا قَبْلَ هَذِهِ الْمُدَّةِ بِسِنِينَ يَسِيرَةٍ، ثُمَّ وَجَدْتُ نُسْخَةً بِدِيوَانِ الْأَدَبِ، بِخَطِّ الْجَوْهَرِيِّ بِتَبْرِيزَ، وَقَدْ كَتَبَهَا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى نُسْخَةٍ بِالصِّحَاحِ، بِخَطِّ الْجَوْهَرِيِّ بِدِمَشْقَ، عِنْدَ الْمَلِكِ الْمُعَظَّمِ بْنِ الْعَادِلِ، بْنِ أَيُّوبَ صَاحِبِ دِمَشْقَ، وَقَدْ كَتَبَهَا فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الْمَلِكِ، بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعَالِبِيُّ فِي كِتَابِ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ، وَأَنْشَدَ مِنْ شِعْرِهِ:

لَوْ كَانَ لِي بُدٌّ مِنَ النَّاسِ
قَطَعْتُ حَبْلَ النَّاسِ بِالْيَاسِ
الْعِزُّ فِي الْعُزْلَةِ لَكِنَّهُ
لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

وَأَنْشَدَ لَهُ:

وَهَا أَنَا يُونُسٌ فِي بَطْنِ حُوتٍ
بِنَيْسَابُورَ فِي ظِلِّ الْغَمَامِ

فَبَيْتِي وَالْفُؤَادُ وَيَوْمُ دَجْنٍ (١)
ظَلَامٌ فِي ظَلَامٍ فِي ظَلَامِ

وَأَنْشَدَ لَهُ :

زَعَمَ الْمُدَامَةَ شَارِبُوهَا أَنَّهَا
تَنْفِي الْهُمُومَ وَتُذْهِبُ الْغَمَّا
صَدَقُوا سَرَتْ بِعُقُولِهِمْ فَتَوَهَّمُوا
أَنَّ السُّرُورَ بِهَا لَهُمْ تَمَّا
سَلَبَتْهُمُ أَدْيَانَهُمْ وَعُقُولَهُمْ
أَرَأَيْتَ عَادِمَ ذَيْنِ مُغْتَمَّا ؟

وَمِنْ شِعْرِهِ :

يَاصَاحِبَ الدَّعْوَةِ لَاتَجْزَعَنْ
فَكُلُّنَا أَزْهَدُ مِنْ كُرُزِ (٢)

---

(١) يقال : يوم دجن ، اذا أطبق غيمه ، وأظلم دون مطر والدجن أيضا المطر الكثير ، وليس مرادا هنا

(٢) الكرز : اللئيم الخبيث، وفي الاساس : « لا أحوجك الى كرز » أى الى غني لئيم

« مصور »

فَالْمَاءُ كَالْعَنْبَرِ فِي قُومِسٍ
مِنْ عِزِّهِ يُجْعَلُ فِي الْحِرْزِ
فَسَقِّنَا مَاءً بِلَا مِنَّةٍ
وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنَ الْخُبْزِ

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَذَكَرَ مَحْمُودُ بْنُ أَبِي الْمَعَالِي الْخَوَارِيُّ ، فِي كِتَابِ ضَالَّةِ الْأَدِيبِ مِنَ الصِّحَاحِ وَالتَّهْذِيبِ ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ قِصَّةَ الْجَوْهَرِيِّ ، كَمَا ذَكَرَهَا الْمُجَاشِعِيُّ ، سَوَاءً مِنْ تَصْنِيفِهِ الْكِتَابَ لِلْبِيشَكِيِّ ، وَقِرَاءَةِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، إِلَى بَابِ الضَّادِ ، وَشَدِّهِ مِصْرَاعَيِ الْبَابِ وَطَيَرَانِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَسَأَلْتُ الْإِمَامَ سَعِيدَ بْنَ الْإِمَامِ ، أَحْمَدَ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْمَيْدَانِيَّ ، عَنِ الْخَلَلِ الْوَاقِعِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا ذَكَرْنَاهُ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ قُرِئَ عَلَيْهِ إِلَى بَابِ الضَّادِ فَحَسْبُ ، وَبَقِيَ أَكْثَرُ الْكِتَابِ عَلَى سَوَادِهِ ، وَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُ تَنْقِيحُهُ ، وَلَا تَهْذِيبُهُ ، فَلِهَذَا

يَقُولُ فِي بَابِ السِّينِ ، قَيْسٌ : أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ مُضَرَ ، وَاسْمُهُ إِلْيَاسُ بِنُقْطَتَيْنِ تَحْتَهَا ، ثُمَّ يَقُولُ فِي فَصْلِ النُّونِ مِنْ هَذَا الْبَابِ : النَّاسُ بِالنُّونِ اسْمُ قَيْسِ عَيْلَانَ ، فَالْأَوَّلُ سَهْوٌ وَالثَّانِي صَحِيحٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ عَنِ الْجَوْهَرِيِّ شَيْئًا مِنَ الْكِتَابِ ، زِيَادَةً عَلَى أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى بَابِ الضَّادِ ، فَهُوَ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ أَنَا نُسْخَةَ السَّمَاعِ ، وَعَلَيْهَا خَطُّهُ إِلَى بَابِ الضَّادِ ، وَهِيَ الْآنَ مَوْجُودَةٌ فِي بِلَادِنَا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَتِهِ . قَالَ : وَالْكِتَابُ بِخَطِّ مُؤَلِّفِهِ عِنْدَ أَبِي مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَبْدُوسٍ النَّيْسَابُورِيِّ ، وَفِيهِ يَقُولُ : وَذَكَرَ الْبَيْتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ قَالَ : وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي أَثْنَاءِ كِتَابِهِ ، يَعْنِي يَتِيمَةَ الدَّهْرِ : إِنَّ تِلْكَ النُّسْخَةَ بِيعَتْ بِمِائَةِ دِينَارٍ نَيْسَابُورِيَّةٍ ، وَحُمِلَتْ إِلَى جُرْجَانَ ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ فِي ذَلِكَ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَأَمَّا الْبِيشَكِيُّ الَّذِي صُنِّفَ لَهُ الْكِتَابُ ،

فَقَدْ ذَكَرَهُ عَبْدُ الغَافِرِ الفَارِسِيُّ فِي السِّيَاقِ، فَقَالَ: هُوَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مُحَمَّدٍ البِيشَكِيُّ، الأُسْتَاذُ الإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ، ابْنُ أَبِي القَاسِمِ، الأَدِيبُ الوَاعِظُ الأُصُولِيُّ، مِنْ أَرْكَانِ أَصْحَابِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، يَعْنِي الحَاكِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ البَيِّعِ. لَهُ المَدْرَسَةُ وَالأَصْحَابُ، وَالأَوْقَافُ وَالأَسْبَابُ، وَالتَّدْرِيسُ وَالمُنَاظَرَةُ، وَالنَّثْرُ وَالنَّظْمُ. تُوُفِّيَ فِي جُمَادَى الأُولَى، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَوَجَدْتُ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِ الصِّحَاحِ، وَكَانَ مُجَلَّدَةً وَاحِدَةً كَامِلَةً، بِخَطِّ الحَسَنِ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيِّ، اللُّغَوِيِّ الأَدِيبِ مَا صُورَتُهُ: قَرَأَ عَلَيَّ هَذَا الكِتَابَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، بِمَا عَلَيْهِ مِنْ حَوَاشِيهِ مِنَ الفَوَائِدِ، مُعَارِضاً بِنُسْخَتِي مُصَحِّحاً إِيَّاهَا: صَاحِبُهُ الفَقِيهُ، الفَاضِلُ السَّدِيدُ، الحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ الصَّرَّامُ، ـ بَارَكَ اللهُ فِيهِ لَهُ ـ، وَهُوَ إِجَازَةٌ لِي عَنِ الأُسْتَاذِ أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ، ابْنِ مُحَمَّدٍ البِيشَكِيِّ عَنِ المُصَنِّفِ، وَكَتَبَهُ الحَسَنُ بْنُ يَعْقُوبَ

ابْنِ أَحْمَدَ فِي شَهْرِ اللهِ الأَصَمِّ، سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، فَهَذَا كَمَا تَرَاهُ مُخَالِفٌ لِمَا تَقَدَّمَ، مِنْ أَنَّ الْجَوْهَرِيَّ لَمْ يَعْمَلْ مِنَ الْكِتَابِ إِلَّا إِلَى بَابِ الضَّادِ. وَمِنْ كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ بِالصِّحَاحِ: النَّخِيسُ: الْبَكَرَةُ، يَتَّسِعُ ثُقْبُهَا الَّذِي يَجْرِي فِيهِ الْمِحْوَرُ، مِمَّا يَأْكُلُهُ الْمِحْوَرُ، فَيَعْمِدُونَ إِلَى خُشَيْبَةٍ فَيَثْقُبُونَ وَسَطَهَا، ثُمَّ يُلْقِمُونَهَا ذَلِكَ الثُّقْبَ الْمُتَّسِعَ، وَيُقَالُ لِتِلْكَ الْخُشَيْبَةِ النِّخَاسُ، وَسَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا بِنَجْدٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَهُوَ يَسْتَقِي، وَبَكَرَتُهُ نَخِيسٌ، فَوَضَعْتُ أُصْبُعِي عَلَى النِّخَاسِ فَقُلْتُ: مَاهَذَا؟ وَأَرَدْتُ أَنْ أَتَعَرَّفَ مِنْهُ الْخَاءَ مِنَ الْحَاءِ، فَقَالَ نِخَاسٌ بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَبَكَرَةٍ نِخَاسُهَا نُحَاسُ؟

فَقَالَ: مَاسَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ. وَمِنْ كِتَابِهِ فِي بَابِ بَقَمَ، وَقُلْتُ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ. أَعَرَبِيٌّ هُوَ؟ فَقَالَ: مُعَرَّبٌ، قَالَ: وَلَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ اسْمٌ عَلَى فَعَّلَ، إِلَّا خَمْسَةٌ

خَضَمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، وَبِالْفِعْلِ سُمِّىَ ، وَبَقَّمُ لِهَذَا الصِّبْغِ ، وَشَلَّمُ مَوْضِعٌ بِالشَّامِ ، وَهُمَا أَعْجَمِيَّانِ ، وَبَذَّرُ اسْمُ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ ، وَعَثَّرُ مَوْضِعٌ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَا سُمِّيَا بِالْفِعْلِ ، فَثَبَتَ أَنَّ فَعَّلَ لَيْسَ مِنْ أُصُولِ أَسْمَائِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَخْتَصُّ بِالْفِعْلِ ، فَإِذَا سَمَّيْتَ بِهِ رَجُلًا لَمْ يَنْصَرِفْ فِى الْمَعْرِفَةِ ، لِلتَّعْرِيفِ وَوَزْنِ الْفِعْلِ ، وَيَنْصَرِفُ فِى النَّكِرَةِ .

﴿ ٢٣ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلَفٍ ، أَبُو طَاهِرٍ الصِّقِلِّىُّ الْمُقْرِىءُ * ﴾

صَاحِبُ عَلِىِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ سَعِيدٍ الْحُوفِىِّ ، مِنْ اسماعيل بن خلف الصقلى

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الاعيان ، لابن خلكان ، جزء أول ص ٧٦ قال : —

كان إماماً فى علوم الآداب ، ومتقناً لفن القراءات ، وصنف كتاب العنوان فى القراءات ، وعمدة الناس فى الاشتغال بهذا الشأن عليه ، واختصر كتاب الحجة لأبى على الفارسى ، وذكره أبو القاسم بن بشكوال ، فى كتاب الصلة ، وأثنى عليه ، وعدد فضائله ، ولم يزل على اشتغاله ، وانتفاع الناس به ، إلى أن توفى يوم الاحد ، مستهل المحرم ، سنة خمس وخمسين وأربعمائة — رحمه الله تعالى — .

والسرقسطى : بفتح السين المهملة والراء ، وضم القاف ، وسكون السين الثانية بعدها طاء مهملة ، هذه النسبة إلى مدينة فى شرق الاندلس ، يقال لها سرقسطة ، من أحسن البلاد ، وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم ، وأخذها الفرنج سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ا . هـ .

حَوْفِ مِصْرَ ، وَصَنَّفَ كِتَابَ إِعْرَابِ الْقِرَاءَاتِ فِى تِسْعِ مُجَلَّدَاتٍ كِبَارٍ ، وَصَنَّفَ فِى الْقِرَاءَاتِ كِتَابَ الاِكْتِفَاءِ ،

— وسرقسطة هذه : بلدة مشهورة بالاندلس ، تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ، ذات فواكه عذبة ، لها فضل على سائر فواكه الاندلس ، مبنية على نهر كبير ، وهو نهر منبعث من جبال القلاع ، قد انفردت بصنعة السمور ، ولطف تدبيره ، يقوم فى طرزها بكمالها ، منفردة بالنسج فى منوالها ، وهى الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية ، هذه خصوصية لأهل هذا الصقع ، وهذا السمور المذكور هنا لا أتحقق ماهو ؟ ولا أى شىء يعنى به ؟ إن كان نباتا عندهم أو وبر الدابة المعروفة ، فان كانت الدابة المعروفة ، فيقال لها : « الجند بادستر » أيضا ، وهى دابة تكون فى البحر ، وتخرج إلى البر ، وعندها قوة ميز .

وقال الاطباء : « الجندباد ستر » حيوان يكون فى بحر الروم ، ولا يحتاج منه إلا إلى خصاه ، فيخرج ذلك الحيوان من البحر ، ويسرح فى البر ، فيؤخذ ويقطع منه خصاه ، ويطلق ، فربما عرض له الصيادون مرة أخرى ، فاذا علم أنهم ماسكوه استلقى على ظهره ، وفرج بين فخذيه ، ليريهم موضع خصيته خاليا ، فيتركوه حينئذ .

وفى نفس سرقسطة ، معدن الملح الذرانى ، وهو أبيض صافى اللون : أملس خالص ، ولا يكون فى غيرها من بلاد الاندلس ، ولها مدن ومعاقل ، وهى الآن بيد الافرنج ، صارت بأيديهم ، منذ سنة اثنتى عشرة وخمسمائة . وينسب الى سرقسطة أبو الحسن ، على بن إبراهيم ، بن يوسف السرقسطى . قال السلفى : كان من أهل المعرفة والحفظ ، وكان بينى وبينه مكاتبة ، وهو الذى تولى فى أخذ إجازات الشيوخ بالاندلس ، سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، وروى فى تآليفه عن صهر أبى عبد الله ابن وضاح ، وغيره كثيرا ، وصنف كتابا فى الحفاظ ، فبدأ بالزهرى ، وختم بى ، كله عن السلفى ، وأنبل من نسب إلى سرقسطة ، ثابت بن حزم ، بن عبد الرحمن ، ابن مطرف ، بن سليمان ، بن يحيى العوفى ، من ولد عوف بن غطفان ، وقيل : بل لولاية عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، أبو القاسم ، سمع بالاندلس ، من محمد ابن وضاح ، والخشنى ، وعبد الله بن مرة ، وإبراهيم بن نصر السرقسطى ، ومحمد ابن عبد الله بن الغاز ، بن الزبير ، بن مخلد ، رحل إلى المشرق هو وابنه قاسم ، —

وَكِتَابَ الْعُيُونِ ، وَأَرَى أَنَّهُ كَانَ فِيمَا بَعْدَ سَنَةِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ .

— فى سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسمعا بمكة من عبد الله بن على ، بن الجارود ، ومحمد بن على الجوهرى ، وأحمد بن حمزة . وبمصر من أحمد بن عمر البزاز ، وأحمد بن شعيب النسائى ، وكان عالما متفننا ، بصيرا بالحديث ، والفقه ، والنحو ، والغريب ، والشعر ، وقيل إنه استقفى ببلده ، وتوفى بسرقسطة ، سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، عن خمس وتسعين سنة ، ومولده سنة سبع عشرة ومائتين ، وابنه قاسم ابن ثابت ، كان أعلم من أبيه ، وأنبل ، وأروع ، ويكنى أبا محمد ، رحل مع أبيه ، فسمع معه ، وعنى بجمع الحديث ، واللغة ، فأدخل إلى الاندلس علما كثيرا ، ويقال : إنه أول من أدخل كتاب العين ، للخليل إلى الاندلس ، وألف قاسم كتابا فى شرح الحديث ، مما ليس فى كتاب أبى عبيدة ، ولا ابن قتيبة ، سماه كتاب الدلائل ، بلغ فيه الغاية فى الاتقان ، ومات قبل كماله ، فأكمله أبوه ثابت بعده . قال ابن الفرضى : سمعت العباس بن عمرو الوراق يقول : سمعت أبا على القالى يقول : كتبت كتاب الدلائل ، وما أعلم أنه وضع فى الاندلس مثله ، ولو قال : إنه ما وضع فى المشرق مثله ما أبعد ، وكان قاسم عالما بالحديث ، والفقه ، متقدما فى معرفة الغريب والنحو ، والشعر ، وكان مع ذلك ، ورعا ، ناسكا ، أريد أن يلى القضاء بسرقسطة ، فامتنع من ذلك ، وأراد أبوه إكراهه عليه ، فسأله أن يتركه يتروى فى أمره ثلاثة أيام ، ويستخير الله فيه ، فمات فى هذه الثلاثة الايام ، يقولون إنه دعا لنفسه بالموت ، وكان يقال : انه مجاب الدعوة ، وهذا عند أهله مستفيض .

قال ابن الفرضى : قرأت بخط الحكم المستنصر بالله ، توفى قاسم بن ثابت ، سنة اثنتين وثلاثمائة بسرقسطة ، وابنه ثابت بن قاسم ، بن ثابت ، من أهل سرقسطة ، سمع أباه وجده ، وكان مليح الخط ، حدث بكتاب الدلائل ، وكان مولعا بالشراب . وتوفى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة . قال : وجدته بخط المستنصر بالله أمير المؤمنين . وسرقسطة أيضا : بليدة من نواحى خوارزم ، عن العمرانى الخوارزمي . معجم البلدان ج ٥ ص ٧١ ، ٧٢

﴿ ٢٤ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادٍ ، بْنِ الْعَبَّاسِ ، ﴾
﴿ ابْنِ عَبَّادٍ الْوَزِيرُ * ﴾

إسماعيل بن عباد الصاحب

الْمُلَقَّبُ بِالصَّاحِبِ ، كَافِي الْكُفَاةِ أَبُو الْقَاسِمِ ، مِنْ أَهْلِ الطَّالَقَانِ ، وَهِيَ وِلَايَةٌ بَيْنَ قَزْوِينَ وَأَبْهَرَ ، وَهِيَ عِدَّةُ قُرًى يَقَعُ عَلَيْهَا هَذَا الِاسْمُ ، وَبِخُرَاسَانَ بَلْدَةٌ تُسَمَّى الطَّالَقَانِ

(*) ترجم له فى وفيات الاعيان صفحة ٧٥ ، جزء أول ، بترجمة مسهبة نجتزىء منها بما لم يذكره ياقوت :

« الصاحب أبو القاسم ، إسماعيل بن أبى الحسن عباد ، بن العباس ، بن عباد ، بن أحمد ابن إدريس الطالقانى »

كان نادرة الدهر ، وأعجوبة العصر فى فضائله ، ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبى الحسين ، أحمد بن فارس اللغوى ، صاحب كتاب المجمل فى اللغة ، وأخذ عن أبى الفضل ابن العميد وغيرهما ، وقال أبو منصور الثعالبي فى كتابه اليتيمة فى حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها ، للافصاح عن علو محله فى العلم والأدب ، وجلالة شأنه فى الجود والكرم ، وتفرده بالغايات فى المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولى ، تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفى ، يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه . ثم شرع فى شرح بعض محاسنه ، وطرف من أحواله ، وقال أبو بكر الخوارزمي فى حقه : الصاحب نشأ من الوزارة فى حجرها ، ودب ودرج من وكرها ، ورضع أفاويق درها ، وورثها عن آبائه ، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كان يصحب أبا الفضل ابن العميد ، فقيل له : صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب ، لما تولى الوزارة ، وبقى علماً عليه .

ومن شعره فى رقة الخمر :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر —

غَيْرُ هَذِهِ ، خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، هَكَذَا نَسَبَهُ الْمُحَدِّثُونَ ، وَقَدْ قَالَ الرُّسْتُمِيُّ شَاعِرُهُ ، يُهَنِّئُ ابْنَ عَبَّادٍ

— وله يرثى كثير بن أحمد الوزير ، وكنيته أبو على :

يقولون لى أودى كثير بن أحمد   وذلك رزء فى الانام جليل

فقلت : دعونى والعلا نبكه معاً   فمثل كثير فى الرجال قليل

رأيت فى أخباره : أنه لم يسعد أحد بعد وفاته ، كما كان فى حياته غير الصاحب ، فانه لما توفى أغلقت له مدينة الرى ، واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته ، وحضر مخدومه فخر الدولة ، وسائر قواده ، وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب ، صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة ، وقبلوا الارض ، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس ، وقعد للعزاء أياماً ، ورثاه أبو سعيد الرستمى بقوله :

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى   أخو أمل أو يستماح جواد

أبى الله إلا أن يموتا بموته   فما لهما حتى المعاد معاد

وتوفى والده أبو الحسن ، عباد بن العباس ، فى سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلاثمائة — رحمه الله تعالى — ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد فخر الدولة المذكور ، ووالد عضد الدولة فنا خسرو ممدوح المتنبي ، وتوفى فخر الدولة فى شعبان ، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة — رحمه الله تعالى — ومولده فى سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، والطالقان بفتح الطاء المهملة وبعد الالف لام مفتوحة ، ثم قاف ، وبعد الالف الثانية نون هذه النسبة إلى الطالقان ، وهو اسم لمدينتين : إحداهما بخراسان ، والاخرى من أعمال قزوين ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوين ، لا طالقان خراسان .

وترجم له فى كتاب سلم الوصول ، ورقة ١٦٦ مخطوط قال :

هو الوزير الاديب ، ابن الوزير الطالقانى ، المتوفى بالرى فى الرابع عشر من صفر ، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، عن تسع وخمسين سنة ، كان أبوه وزير ركن الدولة —

قَالَ :

يَهْنِي ابْنَ عَبَّادِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْ
دِ اللهِ نُعْمَى بِالْكَرَامَةِ تُرْدَفُ

وَقَالَ فِيهِ السَّلَامِيُّ يَهْجُوهُ :

يَا ابْنَ عَبَّادِ بْنِ عَبَّا سِ بْنِ عَبْدِ اللهِ حِرْهَا
تُنْكِرُ الْجَبْرَ وَأُخْرِجْ تَ إِلَى دُنْيَاكَ كُرْهَا

قَالَ أَبُو حَيَّانَ فِي أَخْلَاقِ الْوَزِيرَيْنِ : كَانَ عَبَّادٌ يُلَقَّبُ

— ابن بويه ، مات سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . ولد الصاحب باصطخر ، سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، وأخذ الادب عن ابن فارس ، وأبى الفضل بن العميد الوزير ، وسمع من أبيه وغيره ، فمهر وفاق على أهل زمانه ، فاستوزره مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، ثم أخوه فخر الدولة ، وكان معظما عنده ، نافذ الامر ، وأخذ لهما نحو خمسين قلعة بجودة رأيه ، فدام فى الوزارة ثمانى عشرة سنة ، فعزل بأبى الفتح ، ثم أعيد وبقى إلى آخر عمره ، وكانت حضرته مجمع العلماء والشعراء ، وروى عنه أنه قال : مدحت بمائة ألف قصيدة ، ما سرنى شاعر كأبى سعيد الرستمى الاصفهانى بقوله :

« ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد »

وله من التصانيف : المحيط باللغة سبع مجلدات ، والكافى بالرسائل وجهرة الجمهرة ، وكتاب الاعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الامامة ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوىء شعر المتنبى ، وكتاب الاسماء الحسنى ، ورسائل بديعة .

وله ترجمة أخرى فى كتاب بغية الوعاة ص ١٩٦

وترجم له أيضا فى كتاب يتيمة الدهر ح ثالث صفحة ١٦٩ بترجمة مسهبة ، نمسك بالقلم عن ذكرها ، خوفاً من الاطالة ، ونكتفى بما أوردناه له .

وكذلك ترجم له فى كتاب الاعلام ح أول صفحة ١٠٦

الأَمِينَ ، وَكَانَ دَيِّنًا خَيِّرًا ، مُقَدَّمًا فِي صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ . قَالَ : وَكَتَبَ الأَمِينُ لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ ، كَمَا كَتَبَ الْعَمِيدُ لِصَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَالأَمِينُ كَانَ يَنْصُرُ مَذْهَبَ الأُشْنَانِيِّ تَدَيُّنًا ، وَطَلَبًا لِلزُّلْفَى عِنْدَ رَبِّهِ ، وَالْعَمِيدُ كَانَ يَعْمَلُ لِعَاجِلَتِهِ ، وَإِنْ قُلْتُ : كَانَ الأَمِينُ مُعَلِّمًا بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى طَالَقَانَ الدَّيْلَمِ ، قِيلَ : وَكَانَ وَالِدُ الْعَمِيدِ نَخَّالًا فِي سُوقِ الْحِنْطَةِ بِقُمَّ ، وَالصَّاحِبُ مَعَ شُهْرَتِهِ بِالْعُلُومِ ، وَأَخْذِهِ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنْهَا بِالنَّصِيبِ الْوَافِرِ ، وَالْحَظِّ الزَّائِدِ الظَّاهِرِ ، وَمَا أُوتِيهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ ، وَوُفِّقَ لِحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالرَّجَاحَةِ ، مُسْتَغْنٍ عَنِ الْوَصْفِ ، مُكْتَفٍ عَنِ الإِخْبَارِ عَنْهُ وَالرَّصْفِ ، مَوْلِدُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَوَزَرَ لِمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، أَبِي مَنْصُورٍ بُوَيْهِ ، بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَأَخِيهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَشَهْرًا وَاحِدًا ، وَمَاتَ الصَّاحِبُ فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ : فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ ، سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ

وَثَلاثِمِائَةٍ . وَكَانَ أَبُوهُ عَبَّادٌ يُكْنَى بِالْحَسَنِ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَيْضاً ، سَمِعَ أَبَا خَلِيفَةَ الْفَضْلَ بْنَ الْحُبَابِ ، وَغَيْرَهُ مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ ، وَالْأَصْفَهَانِيِّينَ ، وَالرَّازِيِّينَ ، وَصَنَّفَ كِتَاباً فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، نَصَرَ فِيهِ الِاعْتِزَالَ وَجَوَّدَ فِيهِ . رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ الْوَزِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبَّادٍ ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ الْأَصْفَهَانِيُّ ، وَمَاتَ عَبَّادٌ فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ابْنُهُ ، سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ . وَكُلُّ مَا (١) ذَكَرْنَاهُ مِنْ خَبَرِ عَبَّادٍ أَبِي الْوَزِيرِ ، فَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كِتَابِ الْمُنْتَظِمِ فِي التَّارِيخِ ، مِنْ تَصْنِيفِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوْزِيِّ . وَبَيْنَ عَبَّادٍ وَبَيْنَ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، بْنِ حَمَّادٍ الْقَاضِي مُكَاتَبَاتٌ وَمُرَاسَلَاتٌ ، مَذْكُورَةٌ مُدَوَّنَةٌ .

وَكَانَ الصَّاحِبُ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ مِنْ صِغَارِ الْكُتَّابِ ، يَخْدِمُ أَبَا الْفَضْلِ بْنَ الْعَمِيدِ عَلِيًّا (٢) خَاصَّةً ، فَتَرَقَّتْ بِهِ الْحَالُ ، إِلَى أَنْ كَتَبَ لِمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، بْنِ بُوَيْهِ ،

(١) وكانت فى الاصل : « كلما » باسقاط الواو (٢) كانت فى الاصل هذا « على » وهو خطأ عربية ، وأصلحته إلى ما ترى « منصور »

أَخِي عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيِّ . وَمُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ أَمِيرٌ ، وَأَحْسَنَ فِي خِدْمَتِهِ ، وَحَصَلَ لَهُ عِنْدَهُ بِقِدَمِ الْخِدْمَةِ قَدَمٌ ، وَأَنِسَ مِنْهُ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ كِفَايَةً وَشَهَامَةً ، فَلَقَّبَهُ بِالصَّاحِبِ ، كَافِي الْكُفَاةِ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ رُكْنُ الدَّوْلَةِ ، وَوَلِيَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ بِلَادَهُ بِالرَّيِّ وَأَصْبَهَانَ ، وَتِلْكَ النَّوَاحِي ، خَلَعَ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْعَمِيدِ وَزِيرِ أَبِيهِ خِلَعَ الْوِزَارَةِ ، وَأَجْرَاهُ عَلَى مَا كَانَ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجَمَتِهِ ، وَاسْتَوْزَرَ الصَّاحِبَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى أُمُورِهِ ، وَحَكَّمَهُ فِي أَمْوَالِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ أَخُو مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، قَدْ هَرَبَ مِنْ أَخِيهِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَالْتَجَأَ بِخُرَاسَانَ إِلَى السَّامَانِيَّةِ ، هُوَ وَقَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرَ ، فِي أَخْبَارٍ يَضِيقُ كِتَابُنَا عَنْهَا ، فَنَفَذَ الصَّاحِبُ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ ، وَمَلَّكَهُ الْبِلَادَ ، فَأَقَرَّ الصَّاحِبَ عَلَى أَمْرِهِ ، فَأَرَادَ الصَّاحِبُ اخْتِبَارَهُ ، هَلْ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، مِمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ؟

الَّذِي أَوْجَبَ هَرَبَ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَاسْتَعْفَاهُ مِنَ الْخِدْمَةِ وَالْوَزَارَةِ ، فَقَالَ لَهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ : لَكَ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ مِنْ إِرْثِ الْوَزَارَةِ ، كَمَا لَنَا مِنْ إِرْثِ الإِمَارَةِ ، فَسَبِيلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَحْتَفِظَ بِحَقِّهِ وَلَمْ يُعْفِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى أَمْرِهِ مَعَهُ ، إِلَى أَنْ مَاتَ الصَّاحِبُ ، وَالأُمُورُ تَصْدُرُ عَنْ أَمْرِهِ ، وَالْمُلْكُ يُدَبَّرُ بِرَأْيِهِ ، وَكَانَ إِذَا قَالَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ قَوْلاً ، وَقَالَ الصَّاحِبُ قَوْلاً ، امْتَثَلَ[١] قَوْلُ الصَّاحِبِ ، وَتُرِكَ قَوْلُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ .

وَلِلصَّاحِبِ أَخْبَارٌ حِسَانٌ فِي مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ ، مَعَ رَقَاعَةٍ كَانَتْ فِيهِ ، وَوَصَفَهُ صَاحِبُ الإِمْتَاعِ فَقَالَ : كَانَ الصَّاحِبُ كَثِيرَ الْمَحْفُوظِ ، حَاضِرَ الْجَوَابِ ، فَصِيحَ اللِّسَانِ قَدْ نَتَفَ[٢] مِنْ كُلِّ أَدَبٍ شَيْئاً ، وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ فَنٍّ طَرَفاً ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ كَلَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَكِتَابَتُهُ

---

(١) أخذ به ونفذ

(٢) حصل وأخذ

مُهجنةٌ بطرائقهم، ومناظراتهم مشوبةٌ[١] بعبارة الكتّاب، وهو شديد التعصب على أهل الحكمة، والناظرين في أجزائها، كالهندسة، والطبّ، والتنجيم، والموسيقى، والمنطق، والعدد، وليس له من الجزء الإلاهيّ خبرٌ. ولا له فيه عينٌ، ولا أثرٌ. وهو حسن القيام بالعروض والقوافي، ويقول الشعر، وليس بزالٍّ[٢]، وبديهته غزارةٌ[٣]. وأما رويته فخوارةٌ[٤]، وطالعه الجوزاء والشعرى، فقرينه منه، ويتشيع بمذهب أبي حنيفة، ومقالة الزيدية، ولا يرجع إلى التألّه والرقة، والرأفة والرحمة، والناس كلهم يحجمون عنه لجراءته وسلاطته[٥] واقتداره وبطشته[٦]. شديد العقاب، طفيفُ[٧] الثواب، طويل العتاب، بذيّ اللسان، يعطي كثيراً قليلاً « يغني

(١) أي مختلطة

(٢) أي ليس منحرفا عن الصواب

(٣) الغزير : الكثير من كل شيء

(٤) أي ضعيفة منكسرة ، يقال : خور الرجل إذا ضعف وانكسر

(٥) أي حدة لسانه

(٦) كانت في هذا الاصل : « وسطته » ، فأصلحتها الى ماذكر « منصور »

(٧) طفيف : قليل غير تام

يُعْطِي الْكَثِيرَ الْقَلِيلَ » مَغْلُوبٌ بِحَرَارَةِ الرَّأْسِ ، سَرِيعُ الْغَضَبِ ، بَعِيدُ الْفَيْئَةِ (١) قَرِيبُ الطِّيرَةِ ، حَسُودٌ حَقُودٌ ، وَحَسَدُهُ وَقْفٌ عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ ، وَحِقْدُهُ سَارٍ إِلَى أَهْلِ الْكِفَايَةِ ، أَمَّا الْكُتَّابُ وَالْمُتَصَرِّفُونَ فَيَخَافُونَ سَطْوَتَهُ ، وَأَمَّا الْمُنْتَجِعُونَ فَيَخَافُونَ جَفْوَتَهُ . وَقَدْ قَتَلَ خَلْقًا ، وَأَهْلَكَ نَاسًا ، وَنَفَى أُمَّةً نَخْوَةً وَبَغْيًا ، وَتَجَبُّرًا وَزَهْوًا (٢) وَمَعَ هَذَا يَخْدَعُهُ الصَّبِيُّ ، وَيَخْلُبُهُ الْغَبِيُّ . لِأَنَّ الْمَدْخَلَ عَلَيْهِ وَاسِعٌ ، وَالْمَأْتَى إِلَيْهِ سَهْلٌ ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَالَ : « مَوْلَانَا يَتَقَدَّمُ بِأَنْ أُعَارَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ وَرَسَائِلِهِ ، مَنْظُومَةً وَمَنْثُورَةً ، فَمَا جُبْتُ الْأَرْضَ إِلَيْهِ مِنْ فَرْغَانَةَ ، وَمِصْرَ ، وَتَفْلِيسَ ، إِلَّا لِأَسْتَفِيدَ كَلَامَهُ ، وَأُفْصِحَ بِهِ ، وَأَتَعَلَّمَ بِهِ الْبَلَاغَةَ . مِنْهُ : لَكَأَنَّمَا رَسَائِلُ مَوْلَانَا سُوَرُ قُرْآنٍ . وَفِقَرُهُ آيَاتُ فُرْقَانٍ . وَاحْتِجَاجُهُ فِي أَثْنَائِهَا بُرْهَانٌ . فَسُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ .

---

(١) أي الرجوع عما لابسه

(٢) أي عظمة وكبرا

وَأَبْرَزَ جَمِيعَ قُدْرَتِهِ فِي شَخْصٍ ، فَيَلِينَ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَذُوبَ ، وَيَلْهَى عَنْ كُلِّ مُهِمٍّ لَهُ ، وَيَنْسَى كُلَّ فَرِيضَةٍ عَلَيْهِ ، وَيَتَقَدَّمَ إِلَى الْخَازِنِ ، بِأَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهِ رَسَائِلَهُ ، مَعَ الْوَرَقِ وَالْوَرِقِ ، (١) وَيُسَهِّلَ الإِذْنَ عَلَيْهِ ، وَالْوُصُولَ إِلَيْهِ ، وَالتَّمَكُّنَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، فَهَذَا هَذَا ، ثُمَّ يَعْمَلُ فِي أَوْقَاتٍ كَالْعِيدِ وَالْفَصْلِ شِعْراً ، وَيَدْفَعُهُ إِلَى أَبِي عِيسَى بْنِ الْمُنَجِّمِ ، وَيَقُولُ لَهُ : قَدْ نَحَلْتُكَ (٢) هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، امْدَحْنِي بِهَا فِي جُمْلَةِ الشُّعَرَاءِ ، وَكُنِ الثَّالِثَ مِنَ الْمُنْشِدِينَ ، فَيَفْعَلُ ذَلِكَ أَبُو عِيسَى ، وَهُوَ بَغْدَادِيٌّ مُحَكَّكٌ (٣) قَدْ شَاخَ عَلَى الْخَدَائِعِ وَتَحَنَّكَ ، وَيُنْشِدُ فَيَقُولُ لَهُ عِنْدَ سَمَاعِهِ شِعْرَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَوَصْفَهُ بِلِسَانِهِ ، وَمَدْحَهُ مِنْ تَحْبِيرِهِ ، أَعِدْ يَا أَبَا عِيسَى ، فَإِنَّكَ وَاللهِ مُجِيدٌ زِهِ (٤) يَا أَبَا عِيسَى ، قَدْ صَفَا ذِهْنُكَ ، وَجَادَتْ (٥) قَرِيحَتُكَ

---

(١) الورق بالكسر : الفضة

(٢) أعطيتك دون عوض

(٣) فى المثل « أنا جذيلها المحكك » أى أنه ممن يشتفى برأيه وتدبيره

(٤) زه : كلمة تقولها الاعجام عند استحسانهم شيئا

(٥) كانت فى الاصل : « زادت » ، وجادت أنسب بالمقام

وَتَنَقَّحَتْ قَوَافِيكَ ، لَيْسَ هذَا مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ حِينَ أَنْشَدْتَنَا فِي العِيدِ المَاضِي : الْمَجَالِسُ تُخَرِّجُ (١) النَّاسَ ، وَتَهَبُ لَهُمُ الذَّكَاءَ ، وَتَزِيدُهُمُ الفِطْنَةَ ، وَتُحَوِّلُ الْكَوْدَنَ (٢) عَتِيقاً ، وَالْمُحَمَّرَ جَوَاداً ، ثُمَّ لَا يَصْرِفُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ إِلَّا بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ ، وَعَطِيَّةٍ هَنِيَّةٍ ، وَيُغَايِظُ الْجَمَاعَةَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَبَا عِيسَى لَا يَقْرِضُ مِصْرَاعاً ، وَلَا يَزِنُ بَيْتاً ، وَلَا يَذُوقُ عَرُوضاً .

قَالَ يَوْماً : مَنْ فِي الدَّارِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : أَبُو الْقَاسِمِ الْكَاتِبُ وَابْنُ ثَابِتٍ ، فَعَمِلَ فِي الْحَالِ بَيْتَيْنِ ، وَقَالَ لِإِنْسَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِ : إِذَا أَذِنْتُ لِهَذَيْنِ ، فَادْخُلْ بَعْدَهُمَا بِسَاعَةٍ ، وَقُلْ قَدْ قُلْتُ بَيْتَيْنِ ، فَإِنْ رَسَمْتَ لِي إِنْشَادَهُمَا أَنْشَدْتُهُمَا ، وَازْعُمْ أَنَّكَ بُدِهْتَ (٣) بِهِمَا ، وَلَا تَجْزَعْ مِنْ تَأَفُّفِي بِكَ ، وَلَا تَفْزَعْ مِنْ تَكَبُّرِي عَلَيْكَ ، وَدَفَعَ الْبَيْتَيْنِ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى

---

(١) تخرج : تدرب وتعلم

(٢) أى الهجين من الخيل ، والعتيق : الاصيل ، وفى معنى هذه الفقرة : والحمر جوادا

(٣) جاءتك بهما بديهتك

صَحْنِ الدَّارِ ، وَأَذِنَ لِلرَّجُلَيْنِ حَتَّى وَصَلا ، فَلَمَّا جَلَسَا وَأَنِسَا ، دَخَلَ الْآخَرُ عَلَى تَفِيئَتِهِمَا (١) وَوَقَفَ (٢) لِلْخِدْمَةِ ، وَأَخَذَ يَتَلَمَّظُ (٣) يُرِى أَنَّهُ يَقْرِضُ شِعْراً ، ثُمَّ قَالَ يَا مَوْلَانَا : قَدْ حَضَرَنِى بَيْتَانِ ، فَإِنْ أَذِنْتَ أَنْشَدْتُ ، قَالَ لَهُ : أَنْتَ إِنْسَانٌ أَخْرَقُ (٤) سَخِيفٌ ، لَا تَقُولُ شَيْئاً فِيهِ خَيْرٌ ، اُكْفِنِى أَمْرَكَ وَشِعْرَكَ ، قَالَ يَا مَوْلَانَا : هِىَ بَدِيهَتِى ، وَإِنْ كَسَرْتَنِى ظَلَمْتَنِى ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَاسْمَعْ ، فَإِنْ كَانَا بَارِعَيْنِ ، وَإِلَّا فَعَامِلْنِى بِمَا تُحِبُّ ، قَالَ : أَنْتَ لُحُوحٌ ، هَاتِ ، فَأَنْشَدَ :

يَا أَيُّهَا الصَّاحِبُ تَاجَ الْعُلَا
لَا تَجْعَلَنِّى نُزْهَةَ الشَّامِتِ

---

(١) يقال دخل على تفيئته : أى على أثره

(٢) كانت فى الاصل : « ووقفت » فأصلحت إلى ما ذكر

(٣) كناية عن أنه يحرك لسانه ، موهماً أنه يقرض الخ

(٤) أى أحمق ، من الخرق : بمعنى الحمق

بِمُلْحِدٍ يُكْنَى أَبَا قَاسِمٍ
وَمُجْبِرٍ يُعْزَى إِلَى ثَابِتٍ

فَقَالَ : قَاتَلَكَ اللهُ ، لَقَدْ أَحسَنْتَ وَأَنْتَ مُسِيءٌ . قَالَ لِي أَبُو القَاسِمِ : وَكِدْتُ أَتَفَقَّأُ (١) غَيْظًا ، لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنْ فَعَلَاتِهِ المَعْرُوفَةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ الجَاهِلُ لَا يَقْرِضُ بَيْتًا ، ثُمَّ حَدَّثَنِي الخَادِمُ الحَدِيثَ بِقَضِّهِ (٢) وَالَّذِي غَلَّطَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى الإِعْجَابِ بِفَضْلِهِ ، وَالاِسْتِبْدَادِ بِرَأْيِهِ ، أَنَّهُ لَمْ يُجَبَّهْ (٣) قَطُّ بِتَخْطِئَةٍ ، وَلَا قُوبِلَ بِتَسْوِئَةٍ ، لِأَنَّهُ نَشَأَ عَلَى أَنْ يُقَالَ : أَصَابَ سَيِّدُنَا ، وَصَدَقَ مَوْلَانَا ، — وَلِلّٰهِ دَرُّهُ — مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ ، مَنِ ابْنُ عَبْدٍ كَانَ مُضَافًا إِلَيْهِ ؟ وَمَنِ ابْنُ نَوَابَةَ نَقِيسُهُ عَلَيْهِ ؟ وَمَنْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ العَبَّاسِ الصُّولِيُّ ؟ مَنْ صَرِيعُ الغَوَانِي ؟ مَنْ أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ ؟ إِذَا سَلَكَا طَرِيقَهُمَا ، قَدِ اسْتَدْرَكَ مَوْلَانَا عَلَى الخَلِيلِ فِي العَرُوضِ ، وَعَلَى أَبِي عَمْرِو بْنِ

---

(١) أتفقأ : أنشق كناية عن الانفجار

(٢) يقال عند الاخبار عن حضور القوم أجمع : جاءوا قضهم بقضيضهم ، بضم الضاد وفتحها ، وفتح القاف وكسرها ، وجاءوا قضضهم وقضيضهم ، أى جميعهم « عبد الخالق »

(٣) كناية عن أنه لم يقابل بما يكره

الْعَلاء فى اللُّغَةِ ، وَعَلَى أَبِى يُوسُفَ فِى الْقَضَاء ، وَعَلَى الإِسْكَافِىِّ فِى الْمُوَازَنَةِ ، وَعَلَى ابْنِ نُوبَخْتَ فِى الآرَاء وَالدِّيَانَاتِ ، وَعَلَى ابْنِ مُجَاهِدٍ فِى الْقِرَاءَاتِ ، وَعَلَى ابْنِ جَرِيرٍ فِى التَّفْسِيرِ ، وَعَلَى أَرِسْطَطَالِيسَ فِى الْمَنْطِقِ ، وَعَلَى الْكِنْدِىِّ فِى الْجَدَلِ[1] ، وَعَلَى ابْنِ سِيرِينَ فِى الْعِبَارَةِ ، وَعَلَى أَبِى الْعَيْنَاء فِى الْبَدِيهَةِ ، وَعَلَى ابْنِ أَبِى خَالِدٍ فِى الْخَطِّ ، وَعَلَى الْجَاحِظِ فِى الْحَيَوَانِ ، وَعَلَى سَهْلِ بْنِ هَارُونَ فِى الْفَقْرِ ، وَعَلَى يُوحَنَّا فِى الطِّبِّ ، وَعَلَى ابْنِ يَزِيدَ[2] فِى الْفِرْدَوْسِ ، وَعَلَى عِيسَى بْنِ كَعْبٍ[3] فِى الرِّوَايَةِ ، وَعَلَى الْوَاقِدِىِّ فِى الْحِفْظِ ، وَعَلَى النَّجَّارِ فِى الْبَدَلِ[4] ، وَعَلَى بَنِى ثَوَابَةَ فِى التَّقْفِيَةِ ، وَعَلَى السَّرِىِّ السَّقَطِى فِى الْخَطَرَاتِ وَالْوَسَاوِسِ ، وَعَلَى مَزْيَدٍ فِى النَّوَادِرِ ، وَعَلَى أَبِى الْحَسَنِ الْعَرُوضِىِّ فِى اسْتِخْرَاجِ الْمُعَمَّى ، وَعَلَى بَنِى بَرْمَكٍ فِى الْجُودِ ، وَعَلَى ذِى الرِّيَاسَتَيْنِ فِى التَّدْبِيرِ ، وَعَلَى سَطِيحٍ

---

(١) وكانت فى هذا الاصل : « الجزو » وأصلحت

(٢) ابن يزيد خالد ، المنسوب اليه كتاب فى الكيمياء ، اسمه الفردوس وكانت فى الأصل : « ابن زين » وأصلحت كما ترى (٣) كانت فى الأصل : « ابن كلب » وأصلحت الى ما ترى (٤) اسم كتاب لأبى عبد الله الحسين ، بن محمد النجار « منصور »

فِي الْكَهَانَةِ ، وَعَلَى أَبِي الْمَحْيَاةِ خَالِدِ بْنِ سِنَانٍ فِي دَعْوَاهُ ، هُوَ وَاللهِ أَوْلَى بِقَوْلِ أَبِي شُرَيْحٍ ، أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ التَّمِيمِيِّ ، فِي فَضَالَةَ بْنِ كِلْدَةَ أَبِي دُلَيْجَةَ :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ(١) الظْ

ظَنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

فَتَرَاهُ عِنْدَ هَذَا الْهَذْرِ وَأَشْبَاهِهِ ، يَتَلَوَّى وَيَبْتَسِمُ ، وَيَطِيرُ فَرَحاً بِهِ وَيَنْقَسِمُ ، وَيَقُولُ : وَلَا كَذِي ثَمَرَةُ السَّبْقِ لَهُمْ ، وَقَصْدُنَا أَنْ نَلْحَقَهُمْ ، أَوْ نَقْفُوَ أَثَرَهُمْ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَتَشَاجَى(٢) وَيَتَحَايَكُ ، وَيَلْوِي شِدْقَهُ ، وَيَبْتَلِعُ رِيقَهُ ، وَيَرُدُّ كَالْآخِذِ ، وَيَأْخُذُ كَالْمُتَمَنِّعِ ، وَيَغْضَبُ فِي عَرْضِ الرِّضَا ، وَيَرْضَى فِي لَبُوسِ الْغَضَبِ ، وَيَتَهَالَكُ وَيَتَمَالَكُ ، وَيَتَفَاتَكُ وَيَتَمَايَلُ ، وَيُحَاكِي الْمُومِسَاتِ ، وَيَخْرُجُ فِي أَصْحَابِ السَّمَاجَاتِ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا ، يَظُنُّ أَنَّهُ خَافٍ عَلَى نُقَّادِ الْأَخْلَاقِ ، وَجَهَابِذَةِ

---

(١) هذا البيت قرأناه فى مراجع متعددة ، خصوصاً فى كتب اللغة العربية هكذا

الألمعى الذى يظن بك الظـــــن كأن قد رأى وقد سمعا

وكان فى الأصل : « لك » وأصلح « منصور »

(٢) أى يتحازن ، ويتحايك : يتمايل ويتبختر

الإخوان . وقد أفسده أيضاً ثقة صاحبه به ، وتعويله عليه ، وقلة سماعه من الناصح فيه ، « وهو في الأصل مجدود[1] لا جرم بقلة مكان » ، دلالاً ونزقاً[2] وعجباً ، واندراء[3] على الناس ، وازدراء للصغار والكبار ، وجبهاً[4] للصادر والوارد ، وفي الجملة : آفاته كثيرة ، وذنوبه جمة ، ولكن الغنى رب غفور :

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير
ويقصيه الندي وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ... ولكن الغنى رب غفور

قال : فكيف يتم له الأمور مع هذه الصفات ؟ قلت :

---

(١) أي محروم

(٢) النزق : الطيش والخفة

(٣) أي وطلوعاً عليهم مفاجأة ، كناية عن التطاول عليهم بما يكرهون

(٤) أي جبهم عند ملاقاتهم بما يكرهون

وَاللهِ لَوْ أَنَّ عجوزاً بلهاءَ، أَوْ أَمَةً وَرْهاءَ [١]، أُقِيمَتْ مقامَهُ، لَكَانَتِ الأُمُورُ عَلَى هذَا السِّيَاجِ، لِأَنَّهُ قَدْ أَمِنَ أَنْ يُقالَ لَهُ: لِمَ فعلْتَ؟ وَلِمَ لَمْ تفعلْ؟ وَهذَا بَابٌ لَا يتفِقُ لِأَحَدٍ مِنْ خدمِ الْمُلُوكِ، إِلَّا بجَدٍّ سعيدٍ، وَلَقَدْ نصحَ صاحِبَهُ الْهَرَوِيُّ فِي أَمْوَالٍ تَاوِيَةٍ [٢]، وَأُمُورٍ مِنَ النَّظَرِ جارِيَةٍ رُفِعَتْ إِلَيْهِ، فقذفَ بِالرُّقْعةِ إِلَيْهِ، حَتَّى عرَفَ مَا فيهَا، ثُمَّ قتَلَ الرَّافِعَ خنقاً، هذَا وَهُوَ يَدِينُ بِالْوعيدِ. وَقَالَ لِيَ الثِّقَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ: رُبَّمَا شَرَعَ فِي أَمْرٍ يحكُمُ فيهِ بِالْخَطإِ، فيقلِبُهُ جَدُّهُ صوَاباً، حَتَّى كَأَنَّهُ عَنْ وَحْيٍ، وَأَسْرَارُ اللهِ فِي خلقِهِ عِنْدَ الارْتفاعِ وَالانْحِطاطِ خَفِيَّةٌ، وَلَوْ جرَتِ الأُمُورُ عَلَى مَوْضُوعِ الرَّأْيِ، وَقَضِيَّةِ الْعَقْلِ، لَكَانَ مُعلِّماً عَلَى مَصْطَبَةٍ فِي شَارِعٍ، أَوْ فِي دَارٍ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ الْإِنْسَانَ بتفيهُقِهِ وَتشادُقِهِ، وَاستحقارِهِ وَاستكبارِهِ، وَإِعَادَتِهِ وَإِبدائِهِ، وَهذِهِ أَشْكَالٌ تُعجِبُ الصِّبْيَانَ، وَلَا تنفِرُهُمْ عَنِ الْمُعَلِّمِينَ، وَيَكُونُ فرحُهُمْ بِهِ سَبَباً لِلْمُلَازَمَةِ،

(١) أي حمقاء

(٢) أي هالكة ، من توى كرضى : بمعنى هلك

وَالْحِرْصِ عَلَى التَّعَلُّمِ ، وَالْحِفْظِ وَالرِّوَايَةِ وَالدِّرَاسَةِ .

هَذَا قَوْلُ صَاحِبِ الْإِمْتَاعِ فِيهِ ، وَمِمَّا وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِلصَّاحِبِ : أَنَّهُ اسْتَدْعَى يَوْمًا شَرَابًا مِنْ شَرَابِ السُّكَّرِ ، فَجِيءَ بِقَدَحٍ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ شُرْبَهُ ، قَالَ لَهُ بَعْضُ خَوَاصِّهِ : لَا تَشْرَبْهُ فَإِنَّهُ مَسْمُومٌ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا الشَّاهِدُ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ ؟ قَالَ : بِأَنْ تُجَرِّبَهُ عَلَى مَنْ أَعْطَاكَهُ ، قَالَ : لَا أَسْتَجِيزُ ذَلِكَ وَلَا أَسْتَحِلُّهُ . قَالَ : فَجَرِّبْهُ عَلَى دَجَاجَةٍ . قَالَ : إِنَّ التَّمْثِيلَ بِالْحَيَوَانِ لَا يَجُوزُ ، وَأَمَرَ بِصَبِّ مَا فِي الْقَدَحِ ، وَقَالَ لِلْغُلَامِ : انْصَرِفْ عَنِّي ، وَلَا تَدْخُلْ دَارِي بَعْدَهَا ، وَأَقَرَّ رِزْقَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : لَا تَدْفَعِ الْيَقِينَ بِالشَّكِّ . وَالْعُقُوبَةُ بِقَطْعِ الرِّزْقِ نَذَالَةٌ.(١)

قَالَ : وَدَخَلَ إِلَى الصَّاحِبِ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ الصَّاحِبُ : أَبُو مَنْ ؟ فَأَنْشَدَ الرَّجُلُ :

(١) أفمن هذا عمله ، وتلك دخيلة نفسه ، يكون من النفر الذين أشير إليهم فى الكلام السالف ذكره ، ولو أن الصاحب عاصر ابن ثوابة ، لقلت أن الذى قال فى ابن ثوابة ماقال ، هو ذا عينه المفترى على الصاحب ، وإن أردت عرفان كذب ما ينسب إليه ، فانظر فى سيرته فى غير هذا الكتاب ، أو ضم إلى ما ذكر ما يأتى تر العجب ، نعم أن لكل امرئ هنات ، ولكن إلى قدر ما «عبد الخالق»

وَتَتَفِقُ الأَسْمَاءُ فِي اللَّفْظِ وَالكُنَى

كَثِيراً وَلَكِنْ لَا تَلَاقَى الخَلَائِقُ

فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ يَا أَبَا القَاسِمِ . وَكَانَ يَقُولُ لِجُلَسَائِهِ : نَحْنُ بِالنَّهَارِ سُلْطَانٌ ، وَبِاللَّيْلِ إِخْوَانٌ .

وَحَدَّثَ أَبُو الحَسَنِ النَّحْوِيُّ قَالَ : كَانَ مَكِّيٌّ المُنْشِدُ ، قَدِيمَ الصُّحْبَةِ وَالخِدْمَةِ لِلصَّاحِبِ ، فَأَسَاءَ إِلَيْهِ غَيْرَ مَرَّةٍ : وَالصَّاحِبُ يَتَجَاوَزُ لَهُ ، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ ، أَمَرَ الصَّاحِبُ بِحَبْسِهِ ، فَحُبِسَ فِي دَارِ الضَّرْبِ ، وَكَانَتْ فِي جِوَارِهِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ الصَّاحِبَ صَعِدَ يَوْماً سَطْحَ دَارِهِ ، وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الضَّرْبِ ، فَنَادَاهُ مَكِّيٌّ : « فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ » فَضَحِكَ الصَّاحِبُ وَقَالَ : « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » ثُمَّ أَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ .

وَمِنْ كِتَابِ أَخْلَاقِ الوَزِيرَيْنِ لِأَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ ، قَالَ المُؤَلِّفُ : أَمَّا خَبَرُ أَبِي حَيَّانَ مَعَ ابْنِ عَبَّادٍ : فَيُذْكَرُ فِي أَخْبَارِ أَبِي حَيَّانَ ، وَأَمَّا غَيْرُهُ : فَإِنَّ أَبَا حَيَّانَ ، كَانَ

قَصَدَ ابْنَ عَبَّادٍ إِلَى الرَّيِّ ، فَلَمْ يُرْزَقْ مِنْهُ ، فَرَجَعَ عَنْهُ ذَامًّا لَهُ ، وَكَانَ أَبُو حَيَّانَ مَجْبُولًا عَلَى الْغَرَامِ بِثَلْبِ الْكِرَامِ ، فَاجْتَهَدَ فِي الْغَضِّ مِنِ ابْنِ عَبَّادٍ ، وَكَانَتْ فَضَائِلُ ابْنِ عَبَّادٍ تَأْبَى إِلَّا أَنْ تَسُوقَهُ إِلَى الْمَدْحِ ، وَإِيضَاحِ مَكَارِمِهِ ، فَصَارَ ذَمُّهُ لَهُ مَدْحًا ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنْ قَالَ ، بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنَ الِاعْتِذَارِ مِنَ التَّصَدِّي لِثَلْبِهِ ، قَالَ : فَأَوَّلُ مَا أَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ ، مَا أَدُلُّ بِهِ عَلَى سَعَةِ كَلَامِهِ ، وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ ، وَقُوَّةِ جَأْشِهِ ، وَشِدَّةِ مُنَّتِهِ (١) وَإِنْ كَانَ فِي فَحْوَاهُ مَا يَدُلُّ عَلَى رَقَاعَتِهِ (٢) ، وَانْتِكَاثِ مَرِيرَتِهِ ، وَضَعْفِ حَوْلِهِ ، وَرَكَاكَةِ عَقْلِهِ ، وَانْحِلَالِ عَقْدِهِ ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ هَمَذَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، بَعْدَ أَنْ فَارَقَ حَضْرَةَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، اسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ مِنَ الرَّيِّ وَمَا يَلِيهَا ، وَاجْتَمَعُوا بِسَاوَةَ ، وَكَانَ قَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَلَامًا يَلْقَاهُ بِهِ عِنْدَ

---

(١) المنة : القدرة والقوة

(٢) كانت فى الاصل الذى بأيدينا « قارعته » ، فأصلحت إلى ما ذكر

رُؤْيَتِهِ ، فَأَوَّلُ مَنْ دَنَا مِنْهُ ، القَاضِي أَبُو الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ ، مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا أَسَدَابَاذُ[١] فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا القَاضِي ، مَا فَارَقْتُكَ شَوْقًا إِلَيْكَ ، وَلَا فَارَقْتَنِي وَجْدًا عَلَيَّ[٢] ، وَلَقَدْ مَرَّتْ لِي بَعْدَكَ مَجَالِسُ تَقْتَضِيكَ ، وَتُحْظِيكَ وَتُرْضِيكَ ، وَلَوْ شَهِدْتَنِي بَيْنَ أَهْلِهَا ، وَقَدْ عَلَوْتُهُمْ بِتِبْيَانِي وَلِسَانِي ، وَجَدَلِي وَبُرْهَانِي ، لَأَنْشَدْتَ قَوْلَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فِي ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ :

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ
رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ فَضْلَا
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ
بِمُلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلَا

(١) أسداباذ بفتح أوله وثانيه ، وبعد الالف باء موحدة ، وآخره ذال معجمة : بلدة عمرها أسد بن ذى السرو الحميرى ، فى اجتيازه مع تبع ، والعجم يسكنون السين عجمة ، وهي مدينة بينها وبين همذان ، مرحلة واحدة نحو العراق وقد نسب اليها جماعة كثيرة من أهل العلم والحديث . وأسداباذ أيضاً : قرية من أعمال بيهق ، ثم من نواحى نيسابور ، أنشأها أسد بن عبد الله القسرى ، فى سنة ١٢٠ هـ حيث كان على خراسان من قبل أخيه خالد ، فى أيام هشام بن عبد الملك ا . هـ . ملخصاً من معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٦ « منصور »

(٢) كانت فى الاصل « عليك » فأصلحت الى ما ذكر ولعل شوقاً هنا منصوب على الحال ، ومثلها وجدا ، يريد ذا شوق إليك ، ولا أنت ذو وجد وحزن على .

كَفَى وَشَفَى مَافِى النُّفُوسِ وَلَمْ يَدَعْ
لِذِى إِرْبَةٍ[١] فِى الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلَا
سَمَوْتَ إِلَى الْعَلْيَاءِ مِنْ غَيْرِ خِفَّةٍ
فَنِلْتَ ذُرَاهَا لَادَنِيًّا وَلَا وَغْلَا[٢]

وَلَذَ كَرْتَ أَيْضًا أَيُّهَا الْقَاضِى قَوْلَ الْآخَرِ وَأَنْشَدْتَهُ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيمَنْ وَقَفَ مَوْقِفِى ، وَقُرِفَ مَقْرَفِى[٣] وَتَصَرَّفَ تَصَرُّفِى ، وَانْصَرَفَ مُنْصَرَفِى ، وَاغْتَرَفَ مُغْتَرَفِى

إِذَ قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ
لِعِيٍّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرِ
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى
وَيَنْظُرُ فِى أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ

وَلَقَدْ أَوْدَعْتُ صَدْرَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، مَايُطِيلُ الْتِفَاتَهُ إِلَيَّ ، وَيُكْثِرُ حَسْرَتَهُ عَلَيَّ ، وَلَقَدْ رَأَى مِنِّى مَالَمْ يَرَ قَبْلَهُ

---

(١) أى لذى حاجة

(٢) مصدر من وغل الرجل على القوم فى شرابهم وغلا ووغولا : دخل عليهم بلا دعوة ، والنذل الساقط ، والمدعى نسباً كاذباً

(٣) من قرفه بكذا : اتهمه وعابه

مِثْلَهُ ، وَلَا يَرَى بَعْدَهُ شَكْلَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْفَدَنِي عَلَيْهِ عَلَى مَايَسُرُّ الْوَلِيَّ ، وَأَصْدَرَنِي عَنْهُ عَلَى مَايَسُوءُ الْعَدُوَّ ، أَيُّهَا الْقَاضِي : كَيْفَ الْحَالُ وَالنَّفْسُ ؟ وَكَيْفَ الْمَجْلِسُ وَالدَّرْسُ ؟ وَكَيْفَ الْعَرْضُ وَالْحَرَسُ (١) ؟ وَكَيْفَ الدَّسُّ (٢) وَالْعَسُّ ؟ وَكَيْفَ الْفَرَسُ وَالْمَرَسُ (٣) ؟ وَكَادَ لَايَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْهَذَيَانِ لِتَهَيُّجِهِ وَاحْتِدَامِهِ ، وَشِدَّةِ خَبَالِهِ وَغُلَوَائِهِ ، وَالْهَمَذَانِيُّ مِثْلُ الْفَأْرَةِ ، بَيْنَ يَدَيِ السِّنَّوْرِ ، وَقَدْ تَضَاءَلَ وَقَمُؤَ (٤) لَا يَصْعَدُ لَهُ نَفَسٌ إِلَّا بِنَزْعٍ تَذَلُّلاً وَتَقَلُّلاً ، هَذَا عَلَى كِبْرِهِ فِي نَفْسِهِ .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الزَّعْفَرَانِيِّ رَئِيسِ أَصْحَابِ الرَّأْيِ فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، سَرَّنِي بَقَاؤُكَ ، وَسَاءَنِي عَنَاؤُكَ ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي عُدَوَاؤُكَ (٥) ، وَمَا خَيَّلَهُ إِلَيْكَ خُيَلَاؤُكَ (٦) ، وَأَرْجُو أَلَّا أَعِيشَ حَتَّى يُرَدَّ عَلَيْكَ غُلَوَاؤُكَ (٧) ، مَا كَانَ عِنْدِي أَنَّكَ تُقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمْتَ

---

(١) أى حرس السلطان ، والواحد حرسى ، والمراد بالعرض : عرض الجيش . والدس : النميمة والوشاية (٢) والعس والعسس : الطواف بالليل لحراسة الناس

(٣) المرس : الحبل (٤) قمؤ فلان : ذوى وصغر (٥) العدواء : البعد والشغل يصرفك عن الشيء يريد انصرافك عنا (٦) أى كبرك وعجبك (٧) غلواؤك : مغالاتك وإمعانك

عَلَيْهِ ، وَتَنْتَهِى فِى عُدْوَانِكَ لِأَهْلِ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ إِلَى مَا انْتَهَيْتَ إِلَيْهِ ، وَلِى مَعَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ نَهَارٌ لَهُ لَيْلٌ ، وَلَيْلٌ يَتْبَعُهُ لَيْلٌ ، وَثُبُورٌ(١) يَتَّصِلُ بِهِ وَيْلٌ ، وَقَطْرٌ يُدْفَعُ وَمَعَهُ سَيْلٌ . « وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ »

فَقَالَ لَهُ الزَّعْفَرَانِيُّ : « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » ، ثُمَّ أَبْصَرَ أَبَا طَاهِرٍ الْحَنَفِيَّ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، مَا أَدْرِى ، أَشْكُوكَ ، أَمْ أَشْكُو إِلَيْكَ ، أَمَّا شَكْوَاىَ مِنْكَ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُكَاتِبْنِي بِحَرْفٍ ، كَأَنَّمَا لَمْ نَتَلَاحَظْ بِطَرْفٍ ، وَلَمْ نَتَحَافَظْ عَلَى إِلْفٍ ، وَلَمْ نَتَلَاقَ عَلَى ظَرْفٍ . وَأَمَّا شَكْوَاىَ إِلَيْكَ ، فَإِنِّى ذَمَمْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ ، وَذَكَرْتُ لَهُمْ عَهْدَكَ ، وَعَرَضْتُ بَيْنَهُمْ وُدَّكَ ، وَقَدَحْتُ عَلَيْهِمْ زَنْدَكَ ، وَنَشَرْتُ عَلَيْهِمْ غَرَائِبَ مَا عِنْدَكَ ، فَاشْتَاقُوا إِلَيْكَ بِتَشْوِيقٍ ، وَاسْتَصْفَوْكَ بِتَرْوِيقٍ ، وَأَثْنَوْا عَلَيْكَ بِتَنْمِيقٍ وَتَزْوِيقٍ ، وَهَكَذَا عَمَلُ

(١) الثبور : الهلاك والخسران ، والويل : العذاب

الْأَحْبَابِ ، إِذَا نَأَتْ (١) بِهِمُ الرِّكَابُ ، وَالْتَوَتْ دُونَهُمُ الْأَعْنَاقُ ، وَاضْطَرَبَتْ فِي صُدُورِهِمْ نَارُ الاشْتِيَاقِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَادَ الشَّعْبَ مُلْتَئِماً ، وَالشَّمْلَ مُنْتَظِماً ، وَالْقُلُوبَ وَادِعَةً ، وَالْأَهْوَاءَ جَامِعَةً ، حَمْداً يَتَّصِلُ بِالْمَزِيدِ ، عَلَى عَادَةِ السَّادَةِ مَعَ الْعَبِيدِ ، عِنْدَ كُلِّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ .

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى ابْنِ الْقَطَّانِ الْقَزْوِينِيِّ الْحَنَفِيِّ ، وَكَانَ مِنْ ظُرَفَاءِ الْعُلَمَاءِ ، فَقَالَ : كَذَبَ أَيُّهَا الشَّيْخُ : أَحْلُمُ بِكَ فِي الْيَقْظَةِ ، وَأَشْتَمِلُ عَلَيْكَ دُونَ الْحَفَظَةِ ، لِأَنَّكَ قَدْ مَلَكْتَ مِنِّي غَايَةَ الْمَكَانَةِ وَالْحُظَةِ (٢) ، وَاللَّهِ مَا أَسَغْتُ بَعْدَكَ رِيقاً إِلَّا عَلَى جَرَضٍ (٣) وَلَا سَلَكْتُ دُونَكَ طَرِيقاً إِلَّا عَلَى مَضَضٍ ، وَلَا وَجَدْتُ لِلظَّرْفِ سُوقاً إِلَّا بِالْعَرَضِ . سَقَى اللهُ رَبْعاً أَنْتَ أَشَدْتَهُ (٤) بِنَزَاهَتِكَ ، وَطَبْعاً أَنْتَ أَطَبْتَهُ (٥) بِبَرَاعَتِكَ ، وَمَغْرِساً أَنْتَ أَيْنَعْتَهُ بِنَبَاهَتِكَ .

---

(١) كانت فى الاصل : نبأت ، وقد أصلحت إلى ما ذكر

(٢) الحظة : المنزلة والمكانة عند ذى السلطان ونحوه

(٣) أى إلا على غصة ، من جرض الرجل بريقه : إذا لم يقدر على بلعه إلا بمشقة ، ولعله يصعب من جفافه ويبسه

(٤) كانت فى الاصل : « سألته ، فأصلحت إلى ما ذكر

(٥) أى جعلته طيباً وكانت فى الاصل : « طابته » فأصلحت كما ترى

وَقَالَ لِلعِيسَابَاذِي : أَيُّهَا القَاضِي ، أَيَسُرُّكَ أَنْ أَشْتَاقَكَ وَتَسْلُوَ عَنِّي ؟ وَأَنْ أَسْأَلَ عَنْكَ وَتَنْسَلَّ مِنِّي ، وَأَنْ أُكَاتِبَكَ فَتَتَغَافَلَ ، وَأُطَالِبَكَ بِالْجَوَابِ فَتَتَكَاسَلَ ، وَهَذَا مَالَا أَحْتَمِلُهُ مِنْ صَاحِبِ خُرَاسَانَ ، وَلَا يَطْمَعُ فِي مِثْلِهِ مِنِّي مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، مَتَى كُنْتُ مِنْدِيلًا لِيَدٍ ؟ وَمَتَى نَزَلْتُ عَلَى هَذَا الْحَدِّ لِأَحَدٍ ، إِنِ انْكَفَأْتَ عَلَيَّ بِالْعُذْرِ انْكِفَاءً ، وَإِلَّا انْدَرَأْتُ (١) عَلَيْكَ بِالعَذْلِ انْدِرَاءً ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَكَ قَرَارٌ بِحَالٍ ، وَلَا يَبْقَى لَكَ بِمَكَانِي اسْتِكْبَارٌ ، إِلَّا عَلَى وَبَالٍ وَخَبَالٍ ،

ثُمَّ طَلَعَ أَبُو طَالِبٍ الْعَلَوِيُّ فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّرِيفُ ، جَعَلْتَ حَسَنَاتِكَ عِنْدِي سَيِّئَاتٍ ، ثُمَّ أَضَفْتَ إِلَيْهَا هَنَاتٍ ، وَلَمْ تُفَكِّرْ فِي مَاضٍ وَلَا آتٍ ، أَضَعْتَ العَهْدَ ، وَأَخْلَفْتَ الْوَعْدَ ، وَحَقَّقْتَ النَّحْسَ ، وَأَبْطَلْتَ السَّعْدَ ، وَحُلْتَ (٢) سَرَابًا لِلْحَيْرَانِ ، بَعْدَ مَا كُنْتَ شَرَابًا لِلْحَرَّانِ ، وَظَنَنْتَ أَنَّكَ قَدْ شَبِعْتَ مِنِّي

---

(١) أي اندفعت عليك والعذل : اللوم .

(٢) أي تحولت . والسراب : ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر ، كالماء يلصق بالارض .

وَاعْتَضْتَ عَنِّى ، هَيْهَاتَ وَأَنَّى بِمِثْلِي ، أَوْ مَنْ يَعْثُرُ فِي ذَيْلِي ،
أَوْ لَهُ نَهَارٌ كَنَهَارِي . أَوْ لَيْلٌ كَلَيْلِي :

وَهَلْ عَائِضٌ مِنِّى(١) وَإِنْ جَلَّ عَائِضُ

أَنَا وَاحِدُ هَذَا العَالَمِ ، وَأَنْتَ بِمَا تَسْمَعُ عَالِمٌ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، سُبْحَانَ اللهِ .

أَيُّهَا الشَّرِيفُ ، أَيْنَ الْحَقُّ الَّذِى وَكَّدْنَاهُ أَيَّامَ كَادَتِ الشَّمْسُ تَزُولُ ، وَالزَّمَانُ عَلَيْنَا يَصُولُ ، وَأَنَا أَقُولُ ، وَأَنْتَ تَقُولُ ، وَالْحَالُ بَيْنَنَا يَحُولُ ، — سَقَى اللهُ — لَيْلَةَ تَشْيِيعِكَ وَتَوْدِيعِكَ ، وَأَنْتَ مُتَنَكِّرٌ تَنَكُّراً يَسُوءُ الْمَوَالِي ، وَأَنَا مُتَفَكِّرٌ تَفَكُّراً يَسُوءُ الْعَدُوَّ ، وَنَحْنُ مُتَوَجِّهُونَ إِلَى وَرَامِينَ(٢) ، خَوْفاً مِنْ ذَلِكَ الْجَاهِلِ الْمَهِينِ ، يَعْنِي بِالْجَاهِلِ الْمَهِينِ ذَا الْكِفَايَتَيْنِ ، حِينَ أَخْرَجَهُ مِنَ الرَّيِّ ، بَعْدَ أَنْ أَلَبَّ(٣) عَلَيْهِ ،

---

(١) العائض الثاني في البيت فاعل بمعنى مفعول ، كعيشة راضية أي مرضية ، ومن ذلك قول بعضهم :

هل لك والعارض منك عائض
في هجمة يغدر منها القابض

(٢) ورامين بفتح الواو والراء وزيادة الياء والنون : بليدة من نواحي الري ، قرب زامين ، متجاورتين ، في طريق القاصد من الري إلى أصبهان ، بينها وبين الري نحو ثلاثين ميلا ، ينسب إليها جماعة من العلماء والحفاظ . معجم البلدان ج ٨ ص ٤١٢ « منصور » (٣) أي غضب عليه وحقد ، واستنجد بغيره عليه وحرضه

وَكَادَ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ ، وَهُوَ حَدِيثٌ لَهُ فَرْشٌ ، وَمَا أَنَا بِصَدَدِهِ ، يَمْنَعُ مِنِ اقْتِصَاصِهِ ، وَلَعَلَّهُ يَأْتِي فِيمَا بَعْدُ »

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ كَاتِبِ الشُّرُوطِ فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا شَرَّكَ ، وَوَقَانَا عَرَّكَ (١) وَضُرَّكَ ، وَأَنْأَنَا (٢) فَيْحَكَ وَحَرَّكَ ، دَبَّبْتَ الضُّرَّ إِلَيْنَا ، وَمَشَّيْتَ الْجَمْرَ عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ نَحِيسُ لَكَ الْحَيْسَ (٣) ، وَنَصِفُكَ بِاللَّبَابَةِ وَالْكَيْسِ ، وَنَقُولُ لَيْسَ مِثْلَهُ لَيْسَ (٤) ، وَأَنْتَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ تُقَابِلُنَا بِالْوَيْحِ وَالْوَيْسِ (٥) ، لَوْلَا أَنَّكَ قَرْحَانُ (٦) ، لَسَقَطَ بِكَ الْعَشَاءُ عَلَى سِرْحَانَ (٧) .

وَقَالَ لِابْنِ أَبِي خُرَاسَانَ الْفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، أَلْغَيْتَ ذِكْرَنَا عَنْ لِسَانِكَ ، وَاسْتَمْرَرْتَ عَلَى الْخَلْوَةِ بِإِنْسَانِكَ ،

---

(١) أى سوءك ومن معانى العر : الجرب ، فيريد داءك

(٢) أى أبعدنا ، وفيحك اسم مصدر من أفاح : أى بردك

(٣) نحيس : نصنع ، والحيس مصدر : وتمر يخلط بسمن وأقط ، فيعجن ويلت شديدا حتى يمتزج . ثم يطرح منه نواه ، وربما جعل فيه سويق وهذا من قول الشاعر :

وإذا تكون كريهة أدعى لها ... وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

اشارة الى أن المكروه عليه ، والمحمود لغيره فهو كمثل ... عبد الخالق

(٤) أى شجاع يريد توكيد ليس الاولى

(٥) الويح والويس : كلتا تعجب

(٦) القرح وهو الضعف من المرض والثبور ، يريد لولا ضعفك لأكلناك ، كما يأكل الذئب من سقط عليه فى العشاء « عبد الخالق » (٧) والسرحان : الذئب

جَارِياً عَلَى نِسيَانِكَ ، مُشْتَهِراً بِفِتيَانِكَ وَافْتِنَانِكَ ، غَيْرَ عَاطِفٍ عَلَى أَخْدَانِكَ وَإِخْوَانِكَ ، لَوْلَا أَنَّنِي أَرْعَى قَدِيماً قَدْ أَضَعْتَهُ ، وَأُعْطِيكَ مِنْ رِعَايَتِي مَاقَدْ مَنَعْتَهُ ، لَكَانَ لِي وَلَكَ حَدِيثٌ ، إِمَّا طَيِّبٌ وَإِمَّا خَبِيثٌ ، خَلَّفْتُكَ [1] مُحْتَسِباً ، فَخَلَفْتَ مُكْتَسِباً [2] ، وَتَرَكْتُكَ آمِراً بِالْمَعْرُوفِ ، فَلَحِقْتُكَ رَاكِباً لِلْمُنْكَرِ ، قَدْ تُفِيلُ [3] الرَّأْيَ ، وَتُخَيِّبُ الظَّنَّ ، وَتُكَذِّبُ الْأَمَلَ .

وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

أَلَا رُبَّ مَنْ تَغْتَشُّهُ [4] لَكَ نَاصِحٌ
وَمُؤْتَمَنٍ بِالْغَيْبِ وَهُوَ ظَنِينُ

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الشَّادِبَاشِي فَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، كَيْفَ أَنْتَ ؟ وَكَيْفَ كُنْتَ ؟ فَقَالَ يَامَوْلَانَا :

---

(١) أى تركتك مطيعاً

(٢) أى مذنباً

(٣) أى تخطىء وجه الصواب

(٤) أى تظنه غاشا غير صادق فى نصحه

لَا كُنْتُ إِنْ كُنتُ أَدْرِي كَيفَ كُنْتُ وَلَا
لَا كُنْتُ إِنْ كُنتُ أَدْرِي كَيْفَ لَمْ أَكُنِ

فقَالَ : أَعْرِبْ يَا سَاقِطُ ، يَا هَابِطُ ، يَا مَنْ تَذْهَبُ إِلَى الْخَائِطِ بِالْغَائِطِ ، لَيْسَ هَذَا مِنْ تَحْتِ يَدِكَ ، وَلَا هُوَ مِمَّا نَشَأَ مِنْ عِنْدِكَ ، هَذَا لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَأَوَّلُهُ :

كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِّي كَيْفَ كُنْتُ وَمَا
لَاقَيْتُ بَعْدَكَ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنِ
لَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي كَيْفَ كُنْتُ وَلَا
لَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي كَيْفَ لَمْ أَكُنِ

وَكَانَ يُنْشِدُ وَهُوَ يَلْوِي رَقَبَتَهُ . وَيُجَحِّظُ حَدَقَتَهُ . وَيُنَزِّي[1] أَطْرَافَ مَنْكِبَيْهِ ، وَيَتَثَاقَلُ وَيَتَمَايَلُ ، كَأَنَّهُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا عَلِيٍّ : لَا تُعَوِّلْ عَلَى أَيْرٍ فِي سَرَاوِيلَ ، لَا أَيْرَ إِلَّا أَيْرٌ تَمَطَّى تَحْتَ عَانَتِكَ ، فَإِنَّهُ

(١) أي يدلى

إِنْ عَوَّلْتَ عَلَى ذَلِكَ ، شَانَكَ وَخَانَكَ ، وَفَضَحَ حَالَكَ[١] وَمَانَكَ .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ قَدْ بَقَلَ[٢] وَجْهُهُ ، كَانَ يُتَّهَمُ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَقْبَحِ ، فَالْتَوَى وَتَقَلْقَلَ ، وَقَالَ : أُدْنُ مِنِّى يَا بُنَيَّ ، كَيْفَ كُنْتَ ؟ وَلِمَ حَمَلْتَ نَفْسَكَ عَلَى هَذَا الْعَنَاءِ ، وَجْهُكَ هَذَا الْحَسَنُ لَا يُتَبَذَّلُ لِلشُّحُوبِ ، وَلَا يُعَرَّضُ[٣] لِلَفَحَاتِ الشَّمْسِ بَيْنَ الطُّلُوعِ إِلَى الْغُرُوبِ . أَنْتَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ بَذْلَةً[٤] بَيْنَ حَجَلَةٍ[٥] وَكِلَّةٍ . تُزَاحُ بِكَ الْعِلَّةُ ، وَتُغْلَى بِكَ الْقِلَّةُ[٦] . وَتُشْفَى مِنْكَ الْغُلَّةُ[٧] . هَذَا آخِرُ حَدِيثِ الاسْتِقْبَالِ

---

(١) كانت فى الأصل : « خانك » وأصلحت

(٢) أى خرج شعر وجهه ، كناية عن ظهور لحيته

(٣) كانت فى الاصل يعرف : وأصلحت إلى ما ذكر . « منصور »

(٤) البدلة : مجموع من أشياء متناسبة ، تؤخذ معاً لعلاقة بينها ، ذاتاً أو استعمالا ، وأكثر استعمالها فى الملبوس .

(٥) الحجلة : القبة وموضع يزين بالثياب ، والاسرة وقيل غير ذلك ، والكلة بكسر الكاف : الحالة ، والستر الرقيق ، وغشاء رقيق يخاط كالبيت ، ويعرف عند العامة « بالناموسية »

(٦) القلة : الشىء القليل ، وتغلى من الغلاء ، يريد أن التافه يصير بك ثمينا غالياً « منصور »

(٧) والغلة بضم الغين : العطش أو شدته ، أو حرارة الجوف

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَدَخَلَ يَوْماً دَارَ الإِمَارَةِ ، الْفَيْرَزَانُ الْمَجُوسِيُّ فِي شَيْءٍ خَاطَبَهُ بِهِ[١] فَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتَ مِحَشٌّ[٢] مِجَشٌّ مِخَشٌّ ، لَا تَهَشُّ وَلَا تَبَشُّ وَلَا تُمْتَشُّ[٣] ، فَقَالَ الْفَيْرَزَانُ : أَيُّهَا الصَّاحِبُ ، بَرِئْتُ مِنَ النَّارِ إِنْ كُنْتُ أَدْرِي مَا تَقُولُ ، إِنْ كَانَ رَأْيُكَ أَنْ تَشْتُمَنِي ، فَقُلْ مَا شِئْتَ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَ ، فَإِنَّ الْعِرْضَ لَكَ . وَالنَّفْسُ لَكَ فِدَاءٌ ، لَسْتُ مِنَ الزَّنْجِ وَلَا مِنَ الْبَرْبَرِ ، كَلِّمْنَا عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْعَمَلُ ، وَاللهِ مَا هَذَا مِنْ لُغَةِ آبَائِكَ الْفُرْسِ ، وَلَا مِنْ أَهْلِ دِينِكَ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ ، وَقَدْ خَالَطْنَا النَّاسَ ، وَمَا سَمِعْنَا مِنْهُمْ هَذَا النَّمَطَ[٤] فَقَامَ مُغْضَباً .

قَالَ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ يَقُولُ لِلإِنْسَانِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : يَا أَخِي تَكَلَّمْ وَاسْتَأْنِسْ ، وَاقْتَرِحْ وَانْبَسِطْ ،

---

(١) سقط من الاصل جملة : « فقال له » وقد زدناها منصور

(٢) المحش بكسر الميم : الشجاع ، والمجش بكسر الميم أيضاً والمجشة الرحى ، وأصل المعنى فى هذه المادة الخشونة ، والمخش بكسر الميم كذلك : الجرىء على العمل فى الليل والذكر ، والفرس الجسور

(٣) أى لا ينال منك غرض

(٤) يريد النوع من القول

وَلَا تُرَعْ (١) وَاحْسِبْنِي فِي جَوْفِ مَرْبَعَةٍ ، وَلَا يَرُوعُكَ هَذَا الْحَشَمُ وَالْخَدَمُ ، وَالْغَاشِيَةُ (٢) وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ وَالْمَصْطَبَةُ ، وَهَذَا الطَّاقُ وَالرِّوَاقُ ، وَهَذِهِ الْمَجَالِسُ وَالطَّنَافِسُ ، فَإِنَّ سُلْطَانَ الْعِلْمِ فَوْقَ سُلْطَانِ الْوِلَايَةِ ، فَلْيَفْرُخْ (٣) رَوْعُكَ ، وَلْيَنْعَمْ بَالُكَ ، وَقُلْ مَا شِئْتَ ، وَأَبْصِرْ مَا أَرَدْتَ ، فَلَسْتَ تَجِدُ عِنْدَنَا إِلَّا الْإِنْصَافَ وَالْإِسْعَافَ ، وَالْإِتْحَافَ وَالْإِطْرَافَ ، وَالْمُوَاهَبَةَ وَالْمُقَارَبَةَ ، وَالْمُؤَانَسَةَ وَالْمُقَابَسَةَ (٤) ، وَقَدْ كَانَ يَحْفَظُ مَا كَانَ يَهْذِي بِهِ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ ، وَيَجْرِي فِي هَذَا الْمَيْدَانِ فَيُطِيلُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْفَى مَا عِنْدَ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الزَّخَارِفِ وَالْحِيَلِ ، وَصَارَ الرَّجُلُ مَعَهُ فِي حُدُودِهِ عَلَى مَذْهَبِ الثِّقَةِ ، فَاجَّهُ (٥) وَضَايَقَهُ وَسَابَقَهُ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى النُّكْتَةِ الْفَاصِلَةِ ، وَالْأَمْرِ الْقَاطِعِ تَنَمَّرَ لَهُ ، وَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ : خُذْ بِيَدِ هَذَا الْكَلْبِ إِلَى الْحَبْسِ ، وَضَعْهُ

(١) لا ترع : لا تفزع ولا تخف ، يؤكد ذلك قوله فى جوف مربعة وهي الدار أى كأنى لست موجوداً (٢) الغاشية : الخدم يغشونك ، والسؤال يأتونك ، والزوار والاصدقاء ينتابونك (٣) أى فليذهب (٤) أن تتبادلا الحديث المقتبس من كلام غيركما (٥) أى غلبه بالحجة

فِيهِ ، بَعْدَ أَنْ تَصُبَّ عَلَى كَاهِلِهِ وَظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ ، خَمْسَمِائَةِ سَوْطٍ وَعَصاً ، فَإِنَّهُ مُعَانِدٌ ضِدٌّ ، يَحْتَاجُ أَنْ يُشَدَّ بِالْقِدِّ[1]. سَاقِطٌ هَابِطٌ ، كَلْبٌ وَقَاحٌ ، أَعْجَبَهُ صَبْرِى ، وَغَرَّهُ حِلْمِي ، وَلَقَدْ أَخْلَفَ ظَنِّى ، وَعُدْتُ عَلَى نَفْسِي بِاللَّائِمَةِ وَبِالتَّوْبِيخِ ، وَمَا خَلَقَ اللهُ الْعَصَا بَاطِلًا . فَيُقَامُ ذَلِكَ الْبَائِسُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ ، وَلَيْسَ الْخَبَرُ كَالْعِيَانِ ، مَنْ لَمْ يَحْضُرْ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ ، لَمْ يَرَ مَنْظَراً رَفِيعاً ، وَرَجُلًا رَقِيعاً .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ إِذَا رَآهُ قَالَ : أَحْسَبُ أَنَّ عَيْنَيْهِ رُكِّبَتَا مِنْ زِئْبَقٍ ، وَعُنُقَهُ عُمِلَ بِلَوْلَبٍ[2] ، وَصَدَقَ ، فَإِنَّهُ كَانَ ظَرِيفَ التَّثَنِّى وَالتَّلَوِّى ، شَدِيدَ التَّفَكُّكِ وَالتَّفَتُّلِ ، كَثِيرَ التَّعَوُّجِ وَالتَّمَوُّجِ ، فِي شَكْلِ الْمَرْأَةِ الْمُومِسَةِ ، وَالْفَاجِرَةِ الْمَاجِنَةِ .

---

(١) القد بكسر القاف : السير يقد من جلد غير مدبوغ ، يخصف به النعل ، ويقيد به الاسير

(٢) اللولب : الماء الكثير الذى يحمل منه الفتح « أى القارورة الواسعة الرأس » ما يسعه ، فيضيق صنبوره أى فمه عنه من كثرته ، فيستدير الماء عنده ويصير كأنه بلبل آنية أى فمه . والجمع لوالب ويخيل إلى أنه يريد أن رقبته فى الحركة أشبه باللولب الشبيه بزمبرك الساعة ، وفى هامش القاموس قال أبو منصور : لا أدرى أهو معرب أم فارسى وأهل العراق يستعملونه « عبد الخالق »

قَالَ وَحَدَّثَنِي الْجُرَابَاذِي (١) الْكَاتِبُ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ كَاتِبَ دَارِهِ ، قَالَ : يَبْلُغُ مِنْ سُخْنَةِ عَيْنِ صَاحِبِنَا ، أَنَّهُ لَا يَسْكُتُ عَمَّا لَا يَعْرِفُ ، وَلَا يُسَالِمُ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَفِي بِهِ ، وَلَا يَكْمُلُ لَهُ ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ إِنْ سَكَتَ فُطِنَ لِنَقْصِهِ ، وَإِنِ احْتَالَ وَمَوَّهَ ، جَازَ ذَلِكَ وَخَفِيَ وَاسْتَتَرَ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الِاحْتِيَالَ ، طَرِيقٌ إِلَى الْإِغْرَاءِ بِمَعْرِفَةِ الْحَالِ ، وَصَدَقَ الْقَائِلُ : « كَادَ الْمُرِيبُ يَقُولُ خُذُونِي » . قُلْتُ : وَمَا الَّذِي حَدَاكَ عَلَى هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ ؟ قَالَ : قَالَ لِي فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، ارْفَعْ حِسَابَكَ ، فَقَدْ أَخَّرْتَهُ وَقَصَّرْتَ فِيهِ ، وَانْتَهَزْتَ سُكُوتِي وَشُغْلِي بِأَمْرِ الْمُلْكِ ، وَسِيَاسَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْجُنْدِ ، وَالرَّعَايَا وَالْمُدُنِ ، وَمَا عَلَيَّ مِنْ أَعْبَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَحِفْظِ

(١) كانت فى الاصل : « الجرباذقانى » وهو خطأ ، لأنى بحثت فى معجم البلدان عن البلد التى نسب إليها فلم أعثر عليها ، والصواب « الجراباذى » نسبة إلى جراباذ بضم الجيم قرية من قرى مرو ، وأهلها يقولون : كراباذ ، منها : أبو بكر محمد بن عبد الله الجراباذى ولعله المذكور معنا فى الحديث مع الصاحب بن عباد . ا . ه . ملخصا معجم البلدان ج ٣ ص ٧٠

« منصور »

البَيْضَةِ [١] ، وَمُشَارَفَةِ الأَطْرَافِ النَّائِيَةِ وَالدَّانِيَةِ ، بِاللِّسَانِ وَالعِلْمِ ، وَالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَالبَسْطِ وَالقَبْضِ ، وَالتَّتَبُّعِ وَالتَّقَصِّى [٢] ، وَمَا عَلَى قَلْبِى مِنَ الفِكْرِ فِى الأَمْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالغَامِضَةِ ، وَهَذَا بَابٌ لَعَمْرِى مُطْمِعٌ ، وَإِمْسَاكِى عَنْهُ مُغْرٍ بِالفَسَادِ مُولِعٌ ، فَبَادِرْ — عَافَاكَ اللهُ — إِلَى عَمَلِ حِسَابٍ بِتَفْصِيلِ بَابٍ بَابٍ ، يَبِينُ فِيهِ أَمْرُ دَارِى ، وَمَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَمْرُ دَخْلِى [٣] وَخَرْجِى . قُلْتُ لَهُ : هَذَا كُلُّهُ لِسَبَبِ قَوْلِهِ : هَاتِ حِسَابَكَ بِمَا نُرَاعِيهِ ؟ فَقَالَ : إِى وَاللهِ ، وَلَقَدْ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، وَلَقَدِ اخْتَصَرْتُهُ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَتَفَرَّدْتُ أَيَّاماً ، وَحَرَّرْتُ الحِسَابَ عَلَى قَاعِدَتِهِ وَأَصْلِهِ ، وَالرَّسْمِ الَّذِى هُوَ مَعْرُوفٌ بَيْنَ أَهْلِهِ ، وَحَمَلْتُهُ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِى ، وَأَمَرَّ عَيْنَيْهِ فِيهِ ، مِنْ

---

(١) البيضة : حوزة كل شىء يقال فلان يحيط ببيضة الاسلام ، أى بحوزته الشبه المعنوى وهو أنها مجتمعة ، وساحة القوم أيضاً ، يقال : حمى فلان بيضة القوم : أى ساحتهم . وقيل غير ذلك (٢) كانت فى هذا الاصل : « النغض » وأصلحت الوماترى (٣) يريد الصادر والوارد ، وماله وما عليه . « منصور »

غَيْرِ تثبُّتٍ أَوْ نَحْصٍ ، أَوَ مَسْأَلَةٍ ، فَحَذَفَ بِهِ إِلَيَّ وَقَالَ : أَهَذَا حِسَابٌ ؟ أَهذَا كِتَابٌ ؟ أَهذَا تَحْرِيرٌ ؟ أَهذَا تَقْرِيرٌ ؟ أَهذَا تَفْصِيلٌ ؟ أَهذَا تَحْصِيلٌ ؟ وَاللهِ لَوْلَا أَنِّي رَبَّيْتُكَ فِي دَارِي ، وَشَغَلْتُ بِتَخْرِيجِكَ لَيْلِي وَنَهَارِي ، وَلَكَ حُرْمَةُ الصِّبَا ، وَيَلْزَمُنِي رِعَايَةُ الْأَبَا ، لَأَطْعَمْتُكَ هَذَا الطُّومَارَ[1] ، وَأَحْرَقْتُكَ بِالنِّفْطِ[2] وَالْقَارِ ، وَأَدَّبْتُ بِكَ كُلَّ كَاتِبٍ ، وَحَاسِبٍ ، وَجَعَلْتُكَ مُثْلَةً لِكُلِّ شَاهِدٍ وَغَائِبٍ ، أَمِثْلِي يُمَوَّهُ عَلَيْهِ ؟ وَيُطْمَعُ فِيمَا لَدَيْهِ ؟ وَأَنَا خَلَقْتُ الْحِسَابَةَ وَالْكِتَابَةَ ، وَاللهِ مَا أَنَامُ لَيْلَةً ، إِلَّا وَأُحَصِّلُ فِي نَفْسِي ارْتِفَاعَ الْعِرَاقِ ، وَدَخْلَ الْآفَاقِ ، أَغَرَّكَ بِيَ أَنِّي أَجْرَرْتُ رَسَنَكَ[3] ، وَأَخْفَيْتُ قَبِيحَكَ ، وَأَبْدَيْتُ حَسَنَكَ ؟ غَيِّرْ هَذَا الَّذِي رَفَعْتَ ، وَاعْرِفْ قَبْلُ وَبَعْدُ مَا صَنَعْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ قَدْ رَجَعْتَ ، فَزِدْ فِي صَلَاتِكَ وَصَدَقَتِكَ ، وَلَا تُعَوِّلْ عَلَى قِحَتِكَ

(١) الطومار : الصحيفة ، والجمع طوامير . ولعل العبارة : لأطعمتك هذه الجاز ثم حرقت

(٢) النفط بكسر النون وقد تفتح : دهن معدنى ، سريع الاحتراق ، توقد به النار ، ويتداوى به . والقار : الزفت .

(٣) الرسن محركة : الحبل ، وما كان من زمام على أنف ، والجمع أرسان وأرسن ، وهذا كقولهم حبلك على غاربك ، يريد تركته لنفسك

وَصَلَابَةِ حَدَقَتِكَ ، قَالَ : فَوَاللهِ مَاهَالَنِي كَلَامُهُ ، وَلَا أَحَاكَ [١] فِيَّ هَذَيَانُهُ ، لِأَنِّي كُنْتُ أَعْلَمُ جَهْلَهُ فِي الْحِسَابِ ، وَنَقْصَهُ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَذَهَبْتُ وَأَفْسَدْتُ ، وَأَخَّرْتُ وَقَدَّمْتُ ، وَكَابَرْتُ وَتَعَمَّدْتُ ، ثُمَّ رَدَدْتُهُ إِلَيْهِ ، فَنَظَرَ فِيهِ ، وَضَحِكَ فِي وَجْهِي وَقَالَ : أَحْسَنْتَ — بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ — ، هَكَذَا أَرَدْتُ ، وَهَذَا بِعَيْنِهِ مَا طَلَبْتُ ، لَوْ تَغَافَلْتُ عَنْكَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، لَمَا تَيَقَّظْتَ فِي الثَّانِي ، فَهَذَا كَمَا تَرَى ، فَاعْجَبْ مِنْهُ كَيْفَ شِئْتَ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَمِنْ رَقَاعَتِهِ أَيْضاً ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : وَقَدْ جَرَى حَدِيثُ الْأَبْهَرِيِّ الْمُتَكَلِّمِ ، وَكَانَ يُكْنَى أَبَا سَعِيدٍ ، فَقَالَ : ـ لَعَنَ اللهُ ـ ذَاكَ الْمَلْعُونَ الْمَأْبُونَ الْمَأْفُونَ ، جَاءَنِي بِوَجْهٍ مُكَلَّحٍ ، وَأَنْفٍ مُفَاطَحٍ [٢] ، وَرَأْسٍ مُسَطَّحٍ ، وَسُرْمٍ مُفَتَّحٍ ، وَلِسَانٍ مُكْبَحٍ [٣] ، فَكَلَّمَنِي فِي مَسْأَلَةِ الْأَصْلَحِ ،

---

(١) أى حركنى (٢) أى عريض مفرطح

(٣) يريد أنه لايقدر على الابانة ، كالدابة اذا كبحتها باللجام ، يقال : كبح الدابة وأكبحها : منعها من السير بشد اللجام « عبد الخالق »

فَقُلْتُ لَهُ : اُعزُبْ ، ـ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ ـ ، لَقِيتَ الأَبْرَحَ [(١)] ، الَّذِي يَلْزَمُ وَلَا يَبْرَحُ .

وَشَتَمَ يَوْماً رَجُلاً فَقَالَ — لَعَنَ اللهُ — هَذَا الأَهْوَجَ الأَعْوَجَ الأَفْلَجَ الأَفْحَجَ [(٢)] الَّذِي إِذَا قَامَ تَخَلَّجَ [(٣)] ، وَإِذَا مَشَى تَدَحْرَجَ ، وَإِنْ عَدَا تَفَحْفَجَ [(٤)] . قَالَ أَبُو حَيَّانَ : بِاللهِ يَا أَصْحَابَنَا حَدِّثُونِي ، أَهَذَا عَقْلُ رَئِيسٍ ، أَمْ بَلَاغَةُ كَاتِبٍ أَمْ كَلَامٌ مُتَمَاسِكٌ ، لِمَ تُجَنُّونَ بِهِ ، وَتَتِهَا لِكَوْنِ عَلَيْهِ ، وَتَغِيظُونَ أَهْلَ الفَضْلِ بِهِ ؟؟؟ هَلْ هُنَاكَ إِلَّا الجَدُّ الَّذِي يَرْفَعُ مَنْ هُوَ أَنْذَلُ مِنْهُ ، وَيُوقِعُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ . وَلَقَدْ حَدَّثْتُ هَذَا الحَدِيثَ أَبَا السَّلْمِ الشَّاعِرَ ، فَأَنْشَدَنِي لِشَاعِرٍ :

سُبْحَانَ مَنْ أَنْزَلَ الدُّنْيَا مَنَازِلَهَا
وَمَيَّزَ النَّاسَ مَشْنُوءاً [(٥)] وَمَوْمُوقَا

(١) دعا عليه بالشر وبالشدة
(٢) الافحج ذو الفحج ، وهو تدانى صدور القدمين وتباعد العقبين
(٣) أى اضطرب
(٤) أى انفرج ما بين رجليه عند المشى ، وهو أقبح من الفحج
(٥) المشنوء : المبغض ، والموموق المنظور

فعاقلٌ(١) فَطِنٌ أَعيَتْ مذاهِبُهُ
وَجاهِلٌ خَرِقٌ تَلْقاهُ مَرزُوقا
كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ البَحْرِ مُغْتَرِفٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِارْتِزاقِ القُوتِ مَحْقُوقا
هذا الَّذِي تَرَكَ الأَلْبابَ حائِرَةً
وَصَيَّرَ العاقِلَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقا

قالَ : وَكانَ كَلَفُهُ بِالسَّجْعِ فِي الكَلامِ وَالقَوْلِ ، عِنْدَ الجِدِّ وَالهَزْلِ ، يَزِيدُ عَلَى كَلَفِ كُلِّ مَنْ رَأَيْناهُ فِي هذِهِ البِلادِ . قُلْتُ لِابْنِ المُسَيِّبِي : أَيْنَ يَبْلُغُ ابْنُ عَبَّادٍ فِي عِشْقِهِ لِلسَّجْعِ ؟ قالَ : يَبْلُغُ بِهِ ذلِكَ ، لَوْ أَنَّهُ رَأَى سَجْعَةً يَنْحَلُّ بِمَوْقِعِها عُرْوَةُ المُلْكِ ، وَيَضْطَرِبُ بِها حَبْلُ الدَّوْلَةِ ، وَيَحْتاجُ مِنْ أَجْلِها(٢) إِلَى غُرْمٍ ثَقِيلٍ ، وَكُلْفَةٍ صَعْبَةٍ ، وَتَجَشُّمِ أُمُورٍ ، وَرُكُوبِ أَهْوالٍ ، لَما كانَ يَخِفُّ عَلَيْهِ أَنْ يُفْرِجَ

---

(١) هذا البيت والاخير رويا برواية أخرى هكذا
كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا
(٢) سقط من الاصل كلمة من « أجلها » فذكرت كما ترى منصور

عَنْهَا وَيُخْلِيهَا ، بَلْ يَأْتِى بِهَا وَيَسْتَعْمِلُهَا ، وَلَا يَعْبَأُ بِجَمِيعِ مَا وَصَفْتُ مِنْ عَاقِبَتِهَا [1].

قَالَ : وَقُلْتُ لِلْخَلِيلِيِّ ، أَمَا كَانَ ابْنُ الْعَمِيدِ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَكَانَ يَقُولُ : سَجْعُهُ يَدُلُّ عَلَى الْخَلَاعَةِ وَالْمَجَانَةِ . وَخَطُّهُ يَدُلُّ عَلَى الشَّلَلِ وَالزَّمَانَةِ [2] وَصِيَاحُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ خَلَبَ [3] بِالْقِمَارِ فِى الْحَانَةِ ، وَهُوَ أَحْمَقُ الطَّبْعِ إِلَّا أَنَّهُ طَيِّبٌ . قُلْتُ لِلْخَلِيلِيِّ : فَهَلْ عَرَفْتَ طَالِعَهُ ؟ فَقَالَ : حَدَّثَنِى بَعْضُ أَصْحَابِنَا مِنْهُمُ الْهَرَوِىُّ ، أَنَّ طَالِعَهُ الْجَوْزَاءُ وَالشِّعْرَى الْيَمَانِيَةُ « كط » وَكَانَ زُحَلُ فِى الْحَادِىَ عَشَرَ فِى الْحَمَلِ « كز » وَالْقَمَرُ فِيهِ « يط » وَالشَّمْسُ فِى السُّنْبُلَةِ « يج » وَالزُّهَرَةُ فِيهَا « بى » وَالْمُشْتَرِى فِى الْمِيزَانِ « كد » وَالْمِرِّيخُ فِى الْعَقْرَبِ « ن » وَسَهْمُ السَّعَادَةِ فِى الْقَوْسِ « يد » وَسَهْمُ الْغَيْبِ فِى الْجَدْىِ « يز » وَالرَّأْسُ فِى الثَّالِثِ مِنَ الْأَسَدِ « يا » قَالَ : وَخَفِىَ عَلَىَّ عُطَارِدُ . وَذَكَرَ أَنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ

(١) لعل هذا الحديث يشير الى ما حكى من أنه أرسل الى قاضى قم « المدينة » أيها القاضى بقم ثم وقف فأتبعها بقوله : قد عزلناك فقم ، ولم يكن يريد عزله ، ولكن السجع أحرج موقفه فقال : ما قرأت فعزل قاض من أجل سجعه عبد الخالق

(٢) الزمانة : الكبر وعلو السن (٣) أى خدع

وَثَلاثِمائَةٍ ، مِنَ الْهِجْرَةِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْ ذِى الْقِعْدَةِ ، « رُوزسِرُوش[1] » مِنْ « مَاهِ شَهْرِيرِ » . قُلْتُ : وَأَيْنَ وُلِدَ ؟ قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا أَنَّهُ وُلِدَ بِطَالَقَانَ ، وَقَالَ لَنَا يَوْماً بِإِصْطَخْرَ : وَقَالَ غَيْرُ الْخَلِيلِيِّ : كَانَ عُطَارِدُ فِى السُّنْبُلَةِ « ط ى » .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : كُنْتُ بِالرَّيِّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلاثِمائَةٍ ، وَابْنُ عَبَّادٍ بِهَا مَعَ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، قَدْ وَرَدَ فِى مُهِمَّاتٍ وَحَوَائِجَ ، وَعُقِدَ لِابْنِ عَبَّادٍ مَجْلِسُ جَدَلٍ ، وَكُنَّا نَبِيتُ عِنْدَهُ فِى دَارِهِ ، فِى بَابْ شِيرَ[2] ، وَمَعَنَا الضَّرِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقَاضِى ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ الْبَرْقِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ النَّحْوِيُّ الزَّعْفَرَانِيُّ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْغُرَبَاءِ ، فَرَأَى لَيْلَةً فِى مَجْلِسِهِ وَجْهاً غَرِيباً صَاحِبَ مُرَقَّعَةٍ ، فَأَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَهُ وَيَعْرِفَ مَا عِنْدَهُ ، وَكَانَ الشَّابُّ مِنْ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ ، يُعْرَفُ بِأَبِى وَاقِدٍ الْكَرَابِيسِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَخُ انْبَسِطْ وَاسْتَأْنِسْ ، وَتَكَلَّمْ فَلَكَ مِنَّا جَانِبٌ وَطِئٌ وَشُرْبٌ مَرِئٌ ، وَلَنْ تَرَى إِلَّا الْبِرَّ ،

---

(١) هو اليوم السابع عشر (٢) بابشير بسكون الباء الثانية وكسر الشين ، وياء ساكنة وراء : قرية على مقدار فرسخ من مرو ، منها إبراهيم بن أحمد بن على البابشيرى ، مات سنة ٣٠٦ معجم البلدان ج ٢ ص ١٦ منصور

بِمَ تُعْرَفُ(١) ؟ فقَالَ : بِدَقَّاقٍ ، قَالَ : تَدُقُّ مَاذَا ؟ قَالَ : أَدُقُّ الْخَصْمَ إِذَا زَاغَ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ ، فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا تَنَكَّرَ وَعَجِبَ ، لِأَنَّهُ فُجِئَ ببَذِيئَةٍ(٢) ، فقَالَ : دَعْ هَذَا وَتَكَلَّمْ ، قَالَ : أَتَكَلَّمُ سَائِلًا ؟ مَابِي وَاللهِ حَاجَةٌ إِلَى مَسْأَلَةٍ ، أَمْ أَتَكَلَّمُ مَسْئُولًا ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَكْسَلُ عَنِ الْجَوَابِ ، أَمْ أَتَكَلَّمُ مُقَرِّرًا ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أُبَدِّدَ الدُّرَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَإِنِّي لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَقَدْ عَجَمَتْنِي(٣) الْعَاجِمَاتُ فَلَمْ تَجِدْ
هَلُوعًا وَلَا لِينَ الْمَجَسَّةِ فِي الْعَجْمِ
وَكَاشَفْتُ أَقْوَامًا فَأَبْدَيْتُ(٤) وَصْمَهُمْ
وَمَا لِلْأَعَادِي فِي قَنَاتِيَ مِنْ وَصْمِ

قَالَ لَهُ يَا هَذَا : مَا مَذْهَبُكَ ؟ قَالَ : مَا هِيَ أَلَّا أَقِرَّ

(١) كانت فى الاصل : « تعرف » وأصلحت إلى ما ذكر

(٢) كانت فى الأصل : « مجىء ببديعة » والقصد أنه تنكر وعجب ، لأن انسانا فجأه بكلمة بذيئة ، خارجة عن الأدب ، وهو من هو فى العظمة والمكانة « عبد الخالق »

(٣) أى اختبرتنى وامتحنتنى ، والهلوع : الجزوع

(٤) أى أظهرت عيبهم

عَلَى الضَّيْمِ (١)، وَلَا أَنَامَ (٢) عَلَى الْهَوْنِ، وَلَا أُعْطِي صَمْتِي لِمَنْ لَمْ يَكُنْ وَلِيَّ نِعْمَتِي، وَلَمْ تَصِلْ عِصْمَتُهُ بِعِصْمَتِي. قَالَ: هَذَا مَذْهَبٌ حَسَنٌ، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي الضَّيْمَ طَائِعًا؟ وَيَرْكَبُ الْهَوْنَ سَامِعًا؟ وَلَكِنْ مَا نِحْلَتُكَ (٣) الَّتِي تَنْصُرُهَا؟ قَالَ: نِحْلَتِي مَطْوِيَّةٌ فِي صَدْرِي، لَا أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى مَخْلُوقٍ، وَلَا أُنَادِي عَلَيْهَا فِي سُوقٍ، وَلَا أَعْرِضُهَا عَلَى شَاكٍّ (٤) وَلَا أُجَادِلُ فِيهَا الْمُؤْمِنَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: مَا أَقُولُ فِي كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي يَعْجِزُ عَنْهُ الْخَلْقُ، إِذَا أَرَادُوا الِاطِّلَاعَ عَلَى غَيْبِهِ، وَبَحَثُوا عَنْ خَافِي سِرِّهِ، وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ، فَكَيْفَ إِذَا حَاوَلُوا مُقَابَلَتَهُ بِمِثْلِهِ!! وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ مَظْنُونٌ، فَضْلًا عَنْ مِثْلٍ مُتَيَقَّنٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّادٍ: صَدَقْتَ، وَلَكِنْ أَمَخْلُوقٌ أَمْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ فَقَالَ: إِنْ كَانَ مَخْلُوقًا كَمَا يَزْعُمُ خَصْمُكَ، فَمَا يَضُرُّكَ، فَقَالَ يَاهَذَا:

(١) أى ألا أسكت على الظلم والجور

(٢) أى لا أسكن إلى الذل والهوان

(٣) أى ما طريقتك ومذهبك

(٤) أى مرتاب

أَبِهَذَا تُنَاظِرُ فِي دِينِ اللهِ ؟ وَتَقُومُ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ كَلَامَ اللهِ نَفَعَنِي إِيمَانِي بِهِ ، وَعَمَلِي بِمُحْكَمِهِ ، وَتَسْلِيمِي لِمُتَشَابِهِهِ ، وَإِنْ كَانَ كَلَامَ غَيْرِهِ وَحَاشَ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، مَاضَرَّنِي . فَأَمْسَكَ عَنْهُ ابْنُ عَبَّادٍ وَهُوَ مَغِيظٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ خُرَاسَانَ بَعْدُ ، فَمَكَثَ الرَّجُلُ سَاعَةً ثُمَّ نَهَضَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّادٍ : إِلَى أَيْنَ يَاهَذَا ؟ قَدْ تَكَسَّرَ[1] اللَّيْلُ ، بِتْ هٰهُنَا ، فَقَالَ : « أَنَا بَعْدُ لَمْ أَخْرُجْ مِنْ خُرَاسَانَ » كَيْفَ أَبِيتُ بِالرَّيِّ ، وَخَرَجَ فَارْتَابَ بِهِ ابْنُ عَبَّادٍ ، فَقَفَّاهُ[2] بِصَاحِبٍ لَهُ ، وَأَوْصَاهُ بِأَنْ يَتَّبِعَ خُطَاهُ ، وَيَبْلُغَ مَدَاهُ ، مِنْ حَيْثُ لَا يَفْطِنُ لَهُ وَلَا يَرَاهُ ، فَمَا زَاغَ[3] الرَّجُلُ عَنْ بَابِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، حَتَّى وَصَلَ وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْفَائِتِ إِلَيْهِ ، فَقِيلَ لِابْنِ عَبَّادٍ ذَلِكَ ، فَطَارَ نَوْمُهُ وَقَالَ : أَيُّ شَيْطَانٍ هَبَطَ عَلَيْنَا ، وَأَحْصَى مَا كُنَّا فِيهِ بِلِسَانٍ سَلِيطٍ[4] ، وَطَبْعٍ

(١) أى مضى منه جزء ليس بالقليل

(٢) أى أتبعه بصاحب له ليقص أثره ، ويسبر غوره

(٣) أى فما تحول ولا فارق

(٤) سليط : أى ذى سلاطة وقوة

مَرِيدٍ [١] ، وَكَانَ هَـذَا الْـكَرَابِيسِيُّ عَيْنًا [٢] لِرُكْنِ الدَّوْلَةِ بِخُرَاسَانَ ، فَلِذَلِكَ كَانَ قَرِيبًا ، وَكَانَ أَحَدَ رِجَالَاتِهِ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى وُلُوعِ ابْنِ عَبَّادٍ بِالسَّجْعِ ، وَمُجَاوَزَتِهِ الْحَدَّ فِيهِ بِالْإِفْرَاطِ ، قَوْلُهُ يَوْمًا : « حَدَّثَنِي أَنَّ نَاشَ . وَكَانَ مِنْ سَادَةِ النَّاشِ » جَعَلَ السِّينَ شِينًا ، وَمَرَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ : هَذِهِ لُغَةٌ ، وَكَذَبَ وَكَانَ كَذُوبًا .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ لِشَيْخٍ مِنْ خُرَاسَانَ فِي شَيْءٍ جَرَى : وَاللهِ لَوْلَا شَيْءٌ لَقَطَّعْتُكَ تَقْطِيعًا ، وَبَضَّعْتُكَ تَبْضِيعًا ، وَوَزَّعْتُكَ تَوْزِيعًا ، وَمَزَّعْتُكَ تَمْزِيعًا ، وَجَزَّعْتُكَ تَجْزِيعًا ، وَأَدْخَلْتُكَ فِي خَزَائِنِكَ ، ثُمَّ وَقَفَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ جَمِيعًا [٣] ، قَالَ : وَمُلَحُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ يَنْبَتِرُ [٤] فِي الْـكِتَابَةِ ، وَطَرَبُهَا [٥] يَنْقُصُ فِي الرِّوَايَةِ دُونَ مُشَاهَدَةِ الْحَالِ ، وَسَمَاعِ اللَّفْظِ ، وَمَلَاحَةِ الشَّكْلِ فِي التَّحَرُّكِ ، وَالتَّثَنِّي ، وَالتَّرَنُّحِ وَالتَّهَادِي ، وَمَدِّ الْيَدِ ، وَلَيِّ الْعُنُقِ ، وَهَزِّ

(١) أى عات جبار (٢) أى جاسوساً

(٣) يريد أنه أتم السجع بقوله جميعا ، بعد اذ وقف ، ولو أنها فضلة كلام تافه ، ولكن أغرم بالسجع ، فلما وقف جرت على لسانه فقالها « عبد الخالق »

(٤) يرى الراوى أن الافصاح عن الحكاية بالكتابة أبتر ، لأن المشاهد أعلم بها وأعجب من غيره « عبد الخالق » (٥) كانت فى الاصل « وبها » فأصلحت

الرَّأْسِ وَالْأَكْتَافِ، وَاسْتِعْمَالِ الْأَعْضَاءِ وَالْمَفَاصِلِ.

قَالَ: وَحَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّادٍ يَوْمًا قَالَ: مَا أَفْظَعَنِي (١) إِلَّا شَابٌّ وَرَدَ عَلَيْنَا إِلَى أَصْبَهَانَ بَغْدَادِيٌّ، فَقَصَدَنِي فَأَذِنْتُ لَهُ، وَكَانَ عَلَيْهِ مُرَقَّعَةٌ وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلٌ طَاقٌ (٢)، فَنَظَرْتُ إِلَى حَاجِبِي، فَقَالَ لَهُ وَهُوَ يَصْعَدُ إِلَيَّ: اخْلَعْ نَعْلَكَ، فَقَالَ: وَلِمَ؟ وَلَعَلِّي أَحْتَاجُ إِلَيْهَا بَعْدَ سَاعَةٍ، فَغَلَبَنِي الضَّحِكُ، وَقُلْتُ: أَتَرَاهُ يُرِيدُ أَنْ يَصْفَعَنِي؟.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَقَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْكَاتِبُ: هَجَرَنِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ هَجْرًا أَضَرَّ بِي، وَكَشَفَ مَسْتُورَ حَالِي وَذَهَبَ عَلَيَّ أَمْرِي، وَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ حِيلَةٍ فِي مَصْلَحَتِي، وَوَرَدَ الْمِهْرَجَانُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي غِمَارِ (٣) النَّاسِ، فَلَمَّا أُنْشِدَ نَوْبَتَيْنِ (٤) تَقَدَّمْتُ فَلَمْ يَهَشَّ لِي، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ، وَكُنْتُ ضَمَّنْتُ أَبْيَاتِي بَيْتًا لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ عَلَى رَوِيِّ

---

(١) يقال: أفظعه الأمر: اشتدت شناعته، وجاوز قدره، وأفظعه الأمر: وجده فظيعا (٢) يقال: نعل طاق: عطف بعضه على بعض، وربما قيل طاق نعل، من إضافة الصفة إلى الموصوف «عبد الخالق» (٣) أى فى جملة الناس وزحمتهم

(٤) كانت فى الاصل «أنشدت نوبتان» فأصلحت إلى ما ذكر ونائب الفاعل ضمير يعود على الصاحب

قَصِيدَتِي ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِ الْبَيْتُ ، هَبَّ مِنْ كَسَلِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُنْكِرِ عَلَيَّ ، فَطَأْطَأْتُ رَأْسِي ، وَقُلْتُ بِصَوْتٍ خَفِيضٍ ، لَا تَلُمْ وَلَا تَزِدْ فِي الْقُرْحَةِ (١) ، فَمَا عَلَيَّ مَحْمَلٌ ، وَإِنَّمَا سَرَقْتُ هَذَا مِنْ قَافِيَتِكَ ، لِأُزَيِّنَ بِهِ قَافِيَتِي ، وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللهِ تَجُودُ بِكُلِّ عِلْقٍ (٢) ثَمِينٍ ، وَتَهَبُ كُلَّ دُرٍّ مَكْنُونٍ ، أَتُرَاكَ تُشَاحُّنِي (٣) عَلَى هَذَا الْقَدْرِ ، وَتَفْضَحُنِي فِي هَذَا الْمَشْهَدِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَصَوْتَهُ وَقَالَ : يَا بُنَيَّ أَعِدْ هَذَا الْبَيْتَ ، فَأَعَدْتُهُ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا هَذَا ، ارْجِعْ إِلَى أَوَّلِ قَصِيدَتِكَ ، فَقَدْ سَهَوْنَا عَنْكَ ، وَطَارَ الْفِكْرُ بِنَا إِلَى شَأْنٍ آخَرَ ، وَالدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ ، وَصَارَ ذَلِكَ ظُلْمًا بِغَيْرِ قَصْدٍ مِنَّا وَلَا تَعَمُّدٍ :

قَالَ : فَأَعَدْتُهَا وَأَمْرَرْتُهَا ، وَفَغَرْتُ (٤) فَمِي بِقَوَافِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغْتُ آخِرَهَا قَالَ : أَحْسَنْتَ ، الْزَمْ هَذَا الْفَنَّ ، فَإِنَّهُ

(١) أى فى اللوم والتوبيخ

(٢) العلق : الثمين من كل شىء

(٣) أى تبخل على

(٤) أى فتحته

حَسَنُ الدِّيبَاجَةِ ، وَكَأَنَّ الْبُحْتُرِيَّ اسْتَخْلَفَكَ ، وَأَكْثِرْ بِحَضْرَتِنَا ، وَارْتَفِعْ بِخِدْمَتِنَا ، وَابْذُلْ نَفْسَكَ فِي طَاعَتِنَا ، نَكُنْ مِنْ وَرَاءِ مَصَالِحِكَ ، بِأَدَاءِ حَقِّكَ ، وَالْجَذْبِ بِضَبْعِكَ (١) ، وَالزِّيَادَةِ فِي قَدْرِكَ عَلَى أَقْرَانِكَ .

قَالَ : فَلَمْ أَرَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ ، حَتَّى عَرَاهُ نَوْكٌ (٢) آخَرُ ، فَوَضَعَنِي فِي الْحَبْسِ سَنَةً ، وَجَمَعَ كُتُبِي وَأَحْرَقَهَا بِالنَّارِ ، وَفِيهَا كُتُبُ الْفَرَّاءِ ، وَالْكِسَائِيِّ ، وَمَصَاحِفُ الْقُرْآنِ ، وَأُصُولٌ كَثِيرَةٌ فِي الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ ، فَلَمْ يُمَيِّزْهَا مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ ، وَأَمَرَ بِطَرْحِ النَّارِ فِيهَا مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ ، بَلْ لِفَرْطِ جَهْلِهِ ، وَشِدَّةِ نَزَقِهِ (٣) ، فَهَلَّا طَرَحَ النَّارَ فِي خِزَانَتِهِ ، وَفِيهَا كُتُبُ ابْنِ الرَّاوَنْدِيِّ (٤) ، وَكَلَامُ ابْنِ أَبِي الْعَرْجَاءِ فِي مُعَارَضَةِ

---

(١) الضبع : العضد ، وذلك كناية عن نصرته ، والأخذ بيده ، وشد أزره وتقويته ، وذلك استنباط من قوله تعالى ، لموسى عليه الصلاة والسلام : « سنشد عضدك بأخيك » : منصور (٢) كانت فى الأصل : ملك (٣) أى خفته وطيشه

(٤) ابن الراوندى من المعتزله ، وله رأيه فى الاعتزال ، ومناظراته خصوصا فى علم الكلام تدل على أنه من الزندقة والإلحاد بمكان ، ولقد أراده نفر من اليهود ، ليقول فى القرآن ، فلم يتورع ، ونال من كتاب الله ما يستحق عليه اللعن . « عبد الخالق »

القُرْآنِ بِزَعْمِهِ، وَصَالِحِ بْنِ عَبْدِ القُدُّوسِ أَبِي سَعِيدٍ الْحَصِيرِيّ، وَكُتُبُ أَرِسْطَطَالِيسَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنْ شَاءَ حَمَّقَ نَفْسَهُ.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ قَالَ: كُنَّا بَيْنَ يَدَيْهِ لَيْلَةً فَنَعِسَ، وَأَخَذَ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ الصَّافَّاتِ، فَاتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْأَجْلَافِ[1] مِنْ أَهْلِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، نَعِسَ أَيْضًا، وَضَرِطَ ضَرْطَةً مُنْكَرَةً، فَانْتَبَهَ وَقَالَ: يَا أَصْحَابَنَا، نِمْنَا عَلَى وَالصَّافَّاتِ، وَانْتَبَهْنَا عَلَى وَالْمُرْسَلَاتِ، وَهَذَا مِنْ نَوَادِرِهِ وَمُلَحِهِ[2].

وَحَدَّثَنِي أَيْضًا قَالَ: انْفَلَتَتْ لَيْلَةً أُخْرَى ضَرْطَةٌ مِنْ بَعْضِ الْحَاضِرِينَ وَهُوَ فِي الْجَدَلِ، فَقَالَ عَلَى حِدَّتِهِ: كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ، خُذُوا فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ، يَعْنِي فَلْتَةً، لِأَنَّهُ قِيلَ فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ: كَانَتْ فَلْتَةً.

قَالَ: وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ لِابْنِ عَبَّادٍ، لَوْ كَانَ

---

(١) جمع جلف: السوقة من الناس، والفظ الغليظ القلب، والجافي الطبع والخلق

(٢) كانت في الأصل: «وملاحاته» وأصلحت

الْقُرْآنُ مَخْلُوقاً لَجَازَ أَنْ يَمُوتَ ، وَلَوْ مَاتَ الْقُرْآنُ فِى آخِرِ شَعْبَانَ ، بِمَاذَا كُنَّا نُصَلِّى التَّرَاوِيحَ فِى رَمَضَانَ ؟ قَالَ : لَوْ مَاتَ الْقُرْآنُ ، كَانَ رَمَضَانُ يَمُوتُ أَيْضاً ، وَيَقُولُ : لَا حَيَاةَ لِى بَعْدَكَ ، وَلَا نُصَلِّى التَّرَاوِيحَ وَ نَسْتَرِيحُ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَاُسْمَعْ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هذَا ، نَاظَرَ بِالرَّىِّ الْيَهُودِىَّ رَأْسَ الْجَالُوتِ (١) فِى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، فَرَاجَعَهُ الْيَهُودِىُّ فِيهِ طَوِيلًا ، وَمَاتَنَهُ قَلِيلًا ، وَتَنَكَّرَ (٢) عَلَيْهِ حَتَّى احْتَدَّ ، وَكَادَ يَتَقَدُ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ سَجَرَ تَنُّورَهُ (٣) ، وَأَسْعَطَ أَنْفَهُ ، احْتَالَ طَلَباً لِمُخَادَعَتِهِ (٤) ، وَرِفْقاً بِهِ فِى مُخَاتَلَتِهِ ، فَقَالَ أَيُّهَا الصَّاحِبُ : فَلِمَ تَتَقِدُ وَتَسْتَشِيطُ ؟ وَتَلْتَهِبُ وَتَخْتَلِطُ ؟ كَيْفَ يَكُونُ الْقُرْآنُ عِنْدِى آيَةً ، وَدَلَالَةً وَمُعْجِزَةً ، مِنْ جِهَةِ نَظْمِهِ وَتَأْلِيفِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ النَّظْمُ وَالتَّأْلِيفُ بَدِيعَيْنِ ،

---

(١) هى هيئة دينية عندهم

(٢) أى ضيق عليه وشدد من الانكار، يريد أبدى له من الأنكار ما ضايقه فاحتد ، وكانت فى الأصل : « تنكد بالدال » « عبد الخالق »

(٣) كانت فى الأصل : « سحر بنوره » ولامعنى لها فى هذا السياق . « عمر »

(٤) كانت فى الأصل : « لمضادته » والأنسب ما غيرت إليه . « عمر »

وَكَانَ الْبُلَغَاءُ فِيمَا تَدَّعِي عَنْهُ عَاجِزِينَ ، وَلَهُ مُذْعِنِينَ ، فَهَأَنَا[١] أَصْدُقُ عَنْ نَفْسِي ، وَأَقُولُ مَا عِنْدِي : إِنَّ رَسَائِلَكَ وَكَلَامَكَ ، وَفِقَرَكَ وَمَا تُؤَلِّفُهُ ، وَتُبَادِهُ[٢] بِهِ نَظْماً وَنَثْراً ، هُوَ فَوْقَ ذَلِكَ ، أَوْ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَقَرِيبٌ مِنْهُ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَلَيْسَ يَظْهَرُ لِي أَنَّهُ دُونَهُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ سَيَسْتَعْلِي عَلَيْهِ بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الْكَلَامِ ، أَوْ بِمَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْبَلَاغَةِ ، فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ عَبَّادٍ هَذَا ، فَتَرَ[٣] وَخَمَدَ ، وَسَكَنَ عَنْ حَرَكَتِهِ ، وَانْخَمَصَ[٤] وَرَمُهُ بِهِ ، وَقَالَ : وَلَا هَكَذَا يَا شَيْخُ : كَلَامُنَا حَسَنٌ وَبَلِيغٌ ، وَقَدْ أَخَذَ مِنَ الْجَزَالَةِ حَظّاً وَافِراً ، وَمِنَ الْبَيَانِ نَصِيباً ظَاهِراً ، وَلَكِنِ[٥] الْقُرْآنُ لَهُ الْمَزِيَّةُ الَّتِي لَا تُجْهَلُ ، وَالشَّرَفُ الَّذِي لَا يُخْمَلُ ، وَأَيْنَ مَا خَلَقَهُ اللهُ عَلَى أَتَمِّ حُسْنٍ وَبَهَاءٍ ، مِمَّا يَخْلُقُهُ الْعَبْدُ بِطَلَبٍ وَتَكَلُّفٍ ، هَذَا كُلُّهُ يَقُولُهُ ، وَقَدْ خَبَا[٦] حَمِيُّهُ ، وَتَرَاجَعَ مِزَاجُهُ ، وَصَارَتْ نَارُهُ

---

(١) ملاحظة — يقول بعض النحاة : أن اسم الاشارة يأتى بعد ضمير مقرون بهاء التنبيه وجوبا ، فكان اللازم أن يقال ها أنذا ، وهذا رأى الكثير ، ويجيز بعضهم طرح اسم الاشارة ، ولكن ما فى القرآن يساعد الرأى الاول « عبد الخالق »

(٢) أى تفاجىء وتباغت (٣) أى سكن بعد حدته ، وخمد بعد سورته

(٤) انخمص الورم : تضاءل وانقبض (٥) كانت فى الاصل « ولو كان » وأصلحت

(٦) أى انطفأ وهدأ وسكن

رَمَاداً ، مَعَ إِعْجَابٍ شَدِيدٍ قَدْ شَاعَ فِي أَعْطَافِهِ ، وَفَرَحٍ غَالِبٍ قَدْ دَبَّ فِي أَسَارِيرِ وَجْهِهِ ، لِأَنَّهُ رَأَى كَلَامَهُ شَبِيهاً (١) بِالْقُرْآنِ ، لَدَى الْيَهُودِ وَأَهْلِ الْمِلَلِ.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي ابْنِ عَبَّادٍ يَذُمُّ سَجْعَهُ ، وَخَطَّهُ وَعَقْلَهُ :

مُتَلَقِّبٌ (٢) كَافِي الْكُفَاةِ وَإِنَّمَا
هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَافِرُ الْكُفَّارِ
السَّجْعُ سَجْعُ مُهَوَّسٍ (٣) وَالْخَطُّ خَطْ
طُ مُنَقْرَسٍ (٤) وَالْعَقْلُ عَقْلُ حِمَارِ

وَكَانَ ذُو الْكِفَايَتَيْنِ ابْنُ الْعَمِيدِ يَقُولُ : خَرَجَ ابْنُ عَبَّادٍ مِنْ عِنْدِنَا مِنَ الرَّيِّ ، مُتَوَجِّهاً إِلَى أَصْفَهَانَ ، وَمَنْزِلُهُ وَرَامِينُ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ كَالْمَدِينَةِ ، فَجَاوَزَهَا إِلَى قَرْيَةٍ غَامِرَةٍ (٥) وَمَاءٍ

(١) كانت فى الأصل : « شبيه لليهود » . وأصلحت إلى ماذكر
(٢) كانت فى الأصل : « متغلب » وأصلحت إلى ماترى « منصور »
(٣) أى مصاب بالهوس : وهو خفة العقل ، وطرف من الجنون
(٤) أى مصاب بالنقرس : وهو مرض فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين
(٥) الغامر من الأرض والدور : خلاف العامر والمزروع ، مما يحتمل العمران والزرع

مِلحٍ ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِيَكْتُبَ إِلَيْنَا « كِتَابِي هَذَا مِنَ النُّوبَهَارِ (١) ، يَوْمَ السَّبْتِ نِصْفَ النَّهَارِ » .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ يَرْوِى لِأَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ كَلَاماً فِي رُقْعَةٍ إِلَيْهِ ، حِينَ اسْتَكْتَبَهُ لِمُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » مَوْلَايَ : وَإِنْ كَانَ سَيِّداً بَهَرَتْنَا نَفَاسَتُهُ ، وَابْنَ صَاحِبٍ تَقَدَّمَتْ عَلَيْنَا رِيَاسَتُهُ . فَإِنَّهُ يَعُدُّنِي سَيِّداً وَوَالِداً ، . كَمَا أَعُدُّهُ وَلَداً وَاحِداً . وَمِنْ حَقِّ ذَلِكَ ، أَنْ يَعْضُدَ رَأْيِي بِرَأْيِهِ ، لِيَزْدَادَ اسْتِحْكَاماً ، وَنَتَظَاهَرَ (٢) عَقْداً وَإِبْرَاماً (٣) .

وَحَضَرْتُ الْيَوْمَ مَجْلِسَ مَوْلَانَا رُكْنِ الدِّينِ ، فَفَاوَضَنِي مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَايَ طَوِيلًا ، وَوَصَلَ بِهِ كَلَاماً بَسِيطاً ، وَأَطْلَعَنِي عَلَى أَنَّ مَوْلَايَ ، لَا يَزِيدُ بَعْدَ الِاسْتِقْصَاءِ وَالِاسْتِيفَاءِ ، عَلَى التَّقَصِّي وَالِاسْتِعْفَاءِ ، وَأَلْزَمَ

---

(١) النوبهار : بضم النون وفتح الباء علم على موضعين : أحدهما قرب الرى وهى التى خرج منها الصاحب بن عباد ، والثانى ببلخ ، بناء للبرامكة وله قصة طويلة لايتسع لها القول لضيق المقام . معجم البلدان ج ٨ ص ٢٢٠ ، ٣٢١

(٢) أى نتعاون ونتضافر

(٣) أى وإحكاماً

عَبْدُهُ أَنْ أُكْرِهَ مَوْلَاىَ إِكْرَاهًا فِى الْمَسْأَلَةِ، وَأُجْبِرَهُ إِجْبَارًا فِى الطَّلِبَةِ، عِلْمًا بِأَنَّهُ إِنْ دَافَعَ الْمَجْلِسَ الْمَعْمُورَ طَلَبًا لِلتَّحَرُّزِ، لَمْ يَرُدَّ وَسَاطَتِى أَخْذًا بِالتَّطَوُّلِ، وَأَقُولُ بَعْدَ أَنْ أُقَدِّمَ مُقَدِّمَةً: مَوْلَاىَ غَنِيٌّ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ بِتَصَوُّنِهِ، وَتَصَلُّفِهِ وَعُزُوفِهِ، وَبِهِمَّتِهِ عَنِ التَّكَثُّرِ بِالْمَالِ وَتَحْصِيلِهِ، لَكِنَّ الْعَمَلَ فَقِيرٌ إِلَى كِفَايَتِهِ، مُحْتَاجٌ إِلَى كَفَالَتِهِ، وَمَا أَقُولُ: إِنَّ مُرَادِى مَا يُعْقَدُ مِنْ حِسَابٍ، وَيُنْشَأُ مِنْ كُتَّابٍ، وَيُسْتَظْهَرُ بِهِ مِنْ جَمْعٍ، وَبَذْرٍ وَمِنْ عَطَاءٍ وَمَنْعٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مَقْصُودًا، وَفِى آلَاتِ الْوَزَارَةِ مَعْدُودًا، فَفِى كُتَّابِ مَوْلَاىَ مَنْ يَفِى بِهِ وَيَسْتَوْفِيهِ، وَيُوَفَّى عَلَيْهِ مَا يَسُرُّ مَسَاعِيهِ، وَلَكِنْ وَلِىُّ النِّعْمَةِ يُرِيدُهُ[1] لِتَهْذِيبِ وَلَدِهِ، وَمَنْ هُوَ وَلِىُّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْمَأْمُولُ لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ، — أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ — وَبَلَّغَهُ فِيهِ مَرَامَهُ، وَلَا بُدَّ وَإِنْ كَانَ الْجَوْهَرُ كَرِيمًا، وَالسِّنْخُ[2] قَدِيمًا. وَالْمَجْدُ صَمِيمًا، وَمُرَكَّبُ

(١) كانت فى الاصل: « يريد »

(٢) السنخ: الاصل

الْعَقْلِ سَلِيماً ، مَنْ يَنُوبُ (١) مَنَابَ مَنْ تَعَلَّمَ مَا السِّيَاسَةُ ؟ وَمَا الرِّيَاسَةُ ؟ وَكَيْفَ تَدْبِيرُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ؟ وَبِمَاذَا تُعْقَدُ الْمَهَابَةُ ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُجْلَبُ الْأَصَالَةُ وَالْإِصَابَةُ ؟ وَكَيْفَ تُرَتَّبُ الْمَرَاتِبُ ، وَيُعَالَجُ الْخَطْبُ إِذَا ضَاقَتِ الْمَذَاهِبُ ؟ وَتُغْضَى الشَّهْوَةُ لِتُحْرَسَ الْحِشْمَةُ ، وَتُهْجَرُ اللَّذَّةُ لِتُحْفَظَ (٢) الْإِمْرَةُ ، وَلَا بُدَّ مِنْ مُحْتَشِمٍ يَقُومُ فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ ، فَيَرُدُّهُ إِذَا بَدَرَ مِنْهُ الرَّأْيُ الْمُنْقَلِبُ . وَيُرَاجِعُهُ إِذَا جَمَحَ بِهِ اللَّجَاجُ الْمُرْتَكَبُ . وَيُعَاوِدُهُ إِذَا مَلَكَهُ الْغَضَبُ الْمُلْتَهِبُ . فَلَمْ يَكُنِ السَّبَبُ فِي أَنْ فَسَدَتْ مَمَالِكُ جَمَّةٌ ، وَبُلْدَانٌ عِدَّةٌ ، إِلَّا أَنْ خُفِضَتْ أَقْدَارُ الْوَزَارَةِ ، فَانْقَبَضَتْ أَطْرَافُ الْإِمَارَةِ ، وَلَيْسَ يُفْسِدُ عَلَى مَا أَرَى بَقِيَّةَ الْأَرْضِ ، إِلَّا إِذَا اسْتُعِينَ بِأَذْنَابٍ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَا يَبْخَلَنَّ مَوْلَايَ عَلَى وَلِيِّ نِعْمَتِهِ ، بِفَضْلِ مَعْرِفَتِهِ ، فَمِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ ، جَرَى

(١) هنا سقط من الاصل : ينوب ، وكانت قبل الاصلاح « من مناب »

(٢) كانت فى الاصل : « تخص الامرة » فأصلحت إلى ماترى

ما فَضَّلَهُ ، وَفَضْلَ الشَّيْخِ الأَمِينِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنْ كَانَ مَسْمُوعَ كَلَامِي ، وَمَوْثُوقًا بِاهْتِمَامِي ، فَلَا يَقَعَنَّ انْقِبَاضٌ عَنِّي ، وَإِعْرَاضٌ عَمَّا سَبَقَ مِنِّي . وَمَوْلَايَ مُحْكَمُ الإِجَابَةِ إِلَى الْعَمَلِ فِيمَا يَقْتَرِحُهُ ، وَغَيْرُ مُرَاجَعٍ فِيمَا يَشْتَرِطُهُ ، وَهَذَا خَطِّي بِهِ ، وَهُوَ عَلَى وَلِيِّ النِّعْمَةِ ، حُجَّةٌ لَا يَبْقَى مَعَهَا شُبْهَةٌ ، وَسَأُتْبِعُ هَذِهِ الْمُخَاطَبَةَ بِالْمُشَافَهَةِ ، إِمَّا بِحُضُورِي لَدَيْهِ ، أَوْ بِتَجَشُّمِهِ إِلَى هَذَا الْعَلِيلِ الَّذِي قَدْ أَلَحَّ النِّقْرِسُ [(١)] عَلَيْهِ . وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ يَحْفَظُ [(٢)] هَذِهِ النُّسْخَةَ ، وَيَرْوِيهَا وَيَفْتَخِرُ بِهَا .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَقَالَ لِي أَصْحَابُنَا بِالرَّيِّ ، مِنْهُمْ أَبُو غَالِبٍ الْكَاتِبُ الأَعْرَجُ ، إِنَّ هَذِهِ الْمُخَاطَبَةَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّادٍ ، افْتَعَلَهَا عَنِ ابْنِ الْعَمِيدِ إِلَى نَفْسِهِ ، تَشَيُّعًا [(٣)] بِهَا ، وَنَفَاقًا بِذِكْرِهَا [(٤)] .

قَالَ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ وَرَدَ الرَّيَّ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ،

---

(١) هو مرض فى مفاصل الكعب ، وأصابع الرجلين كما سبق بيانه

(٢) كانت فى الأصل « ابن عباد هذه الخ » فأصلحت كما ذكر (٣) فى الأصل تسيعا

(٤) « وبعد » فأقول : إنى يقع فى وهمى أن أبا حيان وصفها على لسان ابن العميد ، ثم نسب للصاحب ما نسب ، وربما كان كلام أبى غالب الأعرج من قوله ، كل هذا ليقع فى الصاحب « عبد الخالق »

مَعَ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، وَحَضَرَ مَجْلِسَ ابْنِ الْعَمِيدِ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِسْكَوَيْهِ كَلَامٌ ، وَوَقَعَ تَجَاذُبٌ ، فَقَالَ مِسْكَوَيْهِ : فَدَعْنِي حَتَّى أَتَكَلَّمَ ، لَيْسَ هَذَا نَصَفَةً[1] إِذَا أَرَدْتَ أَلَّا أَتَكَلَّمَ ، فَدَعْ عَلَى فَمِي مِخَدَّةً[2] فَقَالَ الصَّاحِبُ : بَلْ أَدَعُ فَمَكَ عَلَى الْمِخَدَّةِ ، وَطَارَتِ النَّادِرَةُ وَلَصِقَتْ ، وَشَاعَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَبَقِيَتْ .

قَالَ : وَدَخَلَ النَّاسُ فِي مَذْهَبِ ابْنِ عَبَّادٍ ، وَقَالُوا بِقَوْلِهِ ، رَغْبَةً فِيمَا لَدَيْهِ ، وَاجْتَهَدَ بِالْحُسَيْنِ[3] الْمُتَكَلِّمِ الْكِلَابِيِّ ، أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى مَذْهَبِهِ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ : دَعْنِي أَيُّهَا الصَّاحِبُ أَكُنْ مُسْتَحَدًّا[4] لَكَ ، فَمَا[5] بَقِيَ غَيْرِي ، فَإِنْ دَخَلْتُ فِي الْمَذْهَبِ ، لَمْ يَبْقَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، مَنْ يَنْبُو عَلَيْكَ قَبِيحُهُ ، وَيَبْدُو لِلنَّاسِ عَوَارُهُ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : قَدْ أَعْفَيْنَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ . « وَبَعْدُ » فَمَا نَبْخَلُ عَلَيْكَ بِنَارِ جَهَنَّمَ ،

(١) النصفة : الاسم من الانصاف ، أى ليس هذا إنصافا

(٢) المخدة بكسر الميم : الوسادة . (٣) فى الأصل « بأبى الحسين » وصوابه حذف أبى كما ذكرناه ، ودليلنا على هذا ما يأتى بعد من كلامه (٤) استحد : غضب ، فمستحد اسم مكان ، يريد أكن موضع غضبك (٥) فى الأصل مما .

أُصلَ (١) بِهَا كَيفَ شئتَ . قَالَ لنَا الْحُسينُ بَعْدَ ذَلِكَ : أَتُرانِي أَصْلَى بِنَارِ جَهنَّمَ ، وَعَقيدَتِي وَسَرِيرَتِي مَعْرُوفَتَانِ ، وَيَتَبَوَّأُ هُوَ الْجَنَّةَ مَعَ قَتلِ النفسِ الْمُحَرَّمَةِ ، وَرُكُوبِ الْمَحْظُورَاتِ الْعَظِيمَةِ ، وَإِنَّ ظَنَّهُ بِنَفْسِهِ لَعَجَبٌ ، — لَحَى اللهُ الْوَقَاحَ — . وَقَالَ يَوْماً صَدْرَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَالْمَوْرِدُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامِ

فَسَكَتَتِ الْجَمَاعَةُ ، فَقَالَ ابْنُ الدَّارِيِّ :

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ

فَأَقْبَلَ عَلَيهِ بِغَيْظٍ وَقَالَ : مَا عَرَفْتُكَ إِلَّا مُتَعَجْرِفاً (٢) جَاهِلًا ، أَمَا كَانَ لَكَ بِالْجَمَاعَةِ أُسْوَةٌ .

قُلْتُ لِأَبِي السَّلمِ نُجْبَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْقَحْطَانِيِّ الشَّاعِرِ : أَيْنَ ابْنُ عَبَّادٍ مِنِ ابْنِ الْعَمِيدِ ؟ فَقَالَ : زُرْتُهُمَا مُنْتَجِعاً (٣) وَرُزْتُهُمَا

(١) صلى يصلى صلياً وصليا وصلى وصلى النار وبها : قاسى شدتها

(٢) المتعجرف : الذى فى كلامه جفوة ، وخرق فى عمله

(٣) النجعة : الذهاب فى طلب الكلأ فى موضعه ، وهو اسم من الانتجاع ، ورزتهما الثانية بمعنى اختبرتهما

جَمِيعاً ، فَكَانَ ابْنُ الْعَمِيدِ أَعْقَلَ ، وَكَانَ يَدَّعِى الْكَرَمَ ، وَابْنُ عَبَّادٍ أَكْرَمُ ، وَيَدَّعِى الْعَقْلَ ، وَهُمَا فِى دَعْوَاهُمَا كَاذِبَانِ ، وَعَلَى سَجِيَّتِهِمَا جَارِيَانِ .

أَنْشَدْتُ يَوْماً عَلَى بَابِ ذَاكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِى ظِلِّ دَوْلَةٍ
جَمَالٌ وَلَا مَالٌ تَمَنَّى انْتِقَالَهَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهَا غَيْرَ أَنَّهُ
يُؤَمِّلُ أُخْرَى فَهْوَ يَرْجُو زَوَالَهَا

فَرُفِعَ إِلَيْهِ إِنْشَادِى ، فَأَخَذَنِى وَأَوْعَدَنِى ، وَقَالَ : انْجُ بِنَفْسِكَ ، فَإِنِّى إِنْ رَأَيْتُكَ بَعْدَ هَذَا ، أَوْلَغْتُ (١) الْكِلَابَ دَمَكَ ، وَكُنْتُ قَاعِداً عَلَى بَابِ هَذَا مُنْذُ أَيَّامٍ ، فَأَنْشَدْتُ الْبَيْتَيْنِ عَلَى سَهْوٍ ، فَرُفِعَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ ، فَدَعَانِى وَوَهَبَ لِى دُرَيْهِمَاتٍ وَخُرَيْقَاتٍ ، وَقَالَ . لَا تَتَمَنَّ انْتِقَالَ دَوْلَتِنَا بَعْدَ هَذَا .

(١) كناية عن قتله وأكل الكلاب جثته

قَالَ أَبُو السَّلمِ : هَـذَا مِنَ أَعْذَرِ النَّاسِ فِى الشِّعْرِ ، يَحْفَظُ الطِّمَّ (١) وَالرِّمَّ (٢) ، وَقَالَ الْخَلِيلِيُّ : الرَّجُلُ مَجْنُونٌ (٣) « يَعْنِي ابْنَ عَبَّادٍ » فِى طِبَاعِ الْمُعَلِّمِينَ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِلتَّمِيمِىِّ الشَّاعِرِ : كَيْفَ تَقُولُ الشِّعْرَ ؟ وَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ تُجِيدُ ؟ وَإِنْ أَجَدْتَ فَكَيْفَ تَغْزُرُ ؟ وَإِنْ غَزُرْتَ فَكَيْفَ تَرُومُ غَايَةً ، وَأَنْتَ لَاتَعْرِفُ مَا الزَّهْزِيقُ (٤) ، وَمَا الْهِبْلَعُ (٥) ، وَمَا الْعَثَلِطُ (٦) ، وَمَا الْجَلَعْلَعُ (٧) ، وَمَا الْقَهْقَبُ (٨) ، وَمَا الْقَهْبَلِسُ (٩) ، وَمَا

---

(١) الطم بكسر الطاء : الشيء الكثير والبحر

(٢) الرم بكسر الراء : الثرى . يقال جاء بالطم والرم أى بالبحر والثرى ، أو الصواب بالبحرى والبرى ، أو بالرطب واليابس ، أو بالتراب والماء ، أو بالمال الكثير والنق ، وقيل غير ذلك (٣) يريد فيه طبع

(٤) الزهزيق : الرجل اللئيم

(٥) الهبلع بكسر الهاء : الكلب السوق والرجل اللئيم أيضاً ، يقال عبد هبلع : لايعرف أبواه ، أو لا يعرف أحدهما ، والهبلع أيضاً الواسع الحنجور العظيم اللقم الأكول

(٦) العثلط : اللبن الخاثر الثخين

(٧) الجلعلع بفتح اللامين والجيم : قيل القنفذ ، وقيل الجعل ، وقيل الخنفساء مطلقاً ، وقيل خنفساء نصفها طين ونصفها حيوان ، ويروى عن الأصمعى أنه قال : كان عندنا رجل يأكل الطين فامتخط فخرجت من أنفه جلعلعة نصفها طين ونصفها خنفساء قد خلقت فى أنفه

(٨) القهقب بتخفيف الباء ، والقهقب بتشديدها : الضخم المسن ، وقيل الطويل الرغيب والباذنجان

(٩) القهبلس كجحمرش : الأبيض الذى تعلوه كدرة ، والقملة الصغيرة ، والمرأة الضخمة

الخَلَبُوسُ (١) ، ومَا الخُزَعْبِلَةُ (٢) ، ومَا القَذَعْمِلَةُ (٣) ، ومَا العُمْرُوطُ (٤) ، ومَا الجِرْفَاسُ (٥) ، ومَا اللَّتُوسُ (٦) ، ومَا النَّعْشَلُ (٧) ، ومَا الطِّرْيَالُ (٨) ، ومَا الفَرْقُ بَيْنَ العَرْمِ (٩) ، والرَّدْمِ (١٠) ، والحَدْمِ (١١) ، والخَذْمِ (١٢) ، والقَضْمِ (١٣) ، والخَضْمِ (١٤) ،

---

(١) كعضرفوط حجر القداح

(٢) الخزعبلة : الباطل

(٣) القذعملة بكسر الميم : المرأة القصيرة الخسيسة

(٤) العمروط كعصفور اللص القوى والمارد الصعلوك

(٥) الجرافس بضم الجيم ، والجرفاس بكسر الجيم : الرجل الضخم الشديد ، والجمل العظيم ، والأسد الهصور

(٦) اللتوس صيغة مبالغة فى لاتس : أى كثير الذواق

(٧) المتتبع الحلاوات ليأكلها

(٨) كل بناء عال والقطعة من الجبل والبناء المستطيلة فى السماء والصخرة المشرفة من الجبل

(٩) العرم بفتح العين وسكون الراء : الدسم ، وبقية القدر . والعرم بالضم والسكون بيض القطا ، والعرم بفتح فكسر : الجاهل والشرس المؤذى ، والعرم بفتح فيهما : سواد مختلط ببياض فى أى شىء كان وقيل غير ذلك

(١٠) الردم : من لا خير فيه ، وصوت القوس ، وسد بين يأجوج ومأجوج ، أو ما يسقط من الجدار المتهدم

(١١) الحدم بسكون الدال وفتحها : شدة اتقاد النار وحميها

(١٢) الخذم بفتح فكسر : القاطع من سيف وغيره . والخذم بضم ففتح : القصير القريب الخطو . والخذم بالسكون : القطع

(١٣) القضم : أكل الشىء اليابس

(١٤) الخضم : القطع

وَالنَّضحِ (١) ، وَالرَّضحِ (٢) ، وَالفَصمِ (٣) ، وَالقَصمِ (٤) ، وَالقَصعِ (٥) ، وَالفَصعِ (٦) ، وَمَا العَبنَقسُ (٧) ، وَمَا العَلَنكَسُ (٨) ، وَمَا الوَكَالُ (٩) ، وَالزَّوملُ (١٠) ، وَمَا الخَيثَعُورُ (١١) ، وَاليَستَعُورُ (١٢) وَمَا الشُّنعُوفُ (١٣) ، وَمَا الخُذرُوفُ (١٤) ، وَمَا الحَلَزُونُ (١٥) ، وَمَا

---

(١) رشاش الماء ونحوه

(٢) القليل من العطية

(٣) الشيء المكسور من غير بينونة

(٤) الشيء المكسور حتى يبين

(٥) ابتلاع الماء

(٦) الفصع : العصر

(٧) العبنقس : السيء الخلق ، والناعم الطويل من الرجال ، والذي جدتاه من قبل أبويه أعجميتان

(٨) ما كثر واجتمع والمتراكم من الليل والشديد السواد الخ

(٩) الوكال كسحاب ، وككتاب : البطء ، والبلادة ، والضعف

(١٠) الزومل : العالم ، والأبل عليها أحمالها

(١١) الخداع والختل

كل أنثى وأن بدالك منها آية الحب عهدها خيثعور

(١٢) موضع والباطل والكساء يجعل على عجز البعير وشجر مساويكه جيدة

(١٣) كعصفور وقرطاس : أعالي الجبال أو رءوسها ، والرجل الطويل الرخو

(١٤) الخذروف بضم الخاء : شيء يدوره الصبي بخيط في يده فيسمع له دوى . وكل شيء منتشر من شيء فهو خذروف والخذروف شبيه بما يسمى النحلة « لعبة للاولاد »

(١٥) الحلزون : دابة تكون في الرمث ، وقيل من جنس الأصداف

القَفَنْدَدُ[١]، وَمَا الجُمْعُلِيلُ[٢]: قَالَ الشَّاعِرُ:

جَاءَتْ بِخُفٍّ وَحُنَيْنٍ وَرَحَلِ
جَاءَتْ تَمَشَّى وَهيَ قُدَّامَ الإِبِلِ
مَشْيَ الجُمْعُلِيلَةِ بِالخُرْقِ النَّقِلِ

قَالَ: وَرَأَيْتُ بَعْضَ الجُهَّالِ يُصَحِّفُ وَيَقُولُ: وَحُنَيْنٍ وَزَجَلٍ، قُلْتُ لِلخَلِيلِيِّ مَنْ عُنِيَ بِهَذَا؟ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: مُعَلِّمُ ابْنِ العَمِيدِ أَبِي الفَتْحِ، قَالَ الخَلِيلِيُّ: فَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الكَلَامِ يَجِبُ أَنْ يُفْتَخَرَ بِمِثْلِهِ، وَيُتَرَقَّقَ[٣] بِهِ؟ إِنَّكَ يَا أَبَا حَيَّانَ، لَوْ رَأَيْتَهُ يَمْشِي وَهُوَ يَهْذِي بِهَذَا وَشِبْهِهِ، وَيَتَفَيْهَقُ وَيَلْوِي شِدْقَيْهِ عَلَيْهِ، وَيَقْذِفُ بِالبُصَاقِ عَلَى أَهْلِ المَجْلِسِ، لَحَمِدْتَ اللهَ عَلَى العَافِيَةِ مِمَّا بُلِيَ هَذَا الرَّجُلُ بِهِ، «وَبَعْدُ[٤]» فَمَا بَيْنَ الشَّاعِرِ وَهَذَا الضَّرْبِ؟ الشَّاعِرُ يَطْلُبُ لَفْظًا حُرًّا، وَمَعْنًى بَدِيعًا، وَنَظْمًا حُلْوًا، وَكَلِمَةً رَشِيقَةً، وَمَثَلًا سَهْلًا، وَوَزْنًا مَقْبُولًا.

---

(١) القفندد: العظيم الألواح من الناس والجمع قفاند، وقفنددون.
(٢) الجمليل: من يجمع كل شيء، وكأنه منحوت من جمع كل شيء.
(٣) يريد بالافتخار والترقق: السخرية
(٤) الجواب أن أبا حيان أراد هذا، فكان وليس لابن عباد في ذلك قول ولا رأي

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : عِنْدَمَا قَارَبَ الْفَرَاغَ مِنْ كِتَابِهِ فِي أَخْلَاقِ الْوَزِيرَيْنِ ، وَلَوْلَا أَنَّ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَعْنِي ابْنَ عَبَّادٍ ، وَابْنَ الْعَمِيدِ ، كَانَا كَبِيرَيْ زَمَانِهِمَا ، وَإِلَيْهِمَا انْتَهَتِ الْأُمُورُ ، وَعَلَيْهِمَا طَلَعَتْ شَمْسُ الْفَضْلِ ، وَبِهِمَا ازْدَانَتِ الدُّنْيَا ، وَكَانَا بِحَيْثُ يُنْشَرُ الْحَسَنُ مِنْهُمَا نَشْراً ، وَالْقَبِيحُ يُؤْثَرُ [1] عَنْهُمَا أَثْراً ، لَكِنْتُ لَا أَتَسَكَّعُ فِي حَدِيثِهِمَا هٰذَا التَّسَكُّعَ ، وَلَا أُنْحِي عَلَيْهِمَا بِهٰذَا الْحَدِّ ، وَلَكِنَّ النَّقْصَ مِمَّنْ [2] يَدَّعِي التَّمَامَ أَشْنَعُ ، وَالْحِرْمَانَ مِنَ السَّيِّدِ الْمَأْمُولِ فَاقِرَةٌ [3] ، وَالْجَهْلَ مِنَ الْعَالِمِ مُنْكَرٌ ، وَالْكَبِيرَةَ مِمَّنْ يَدَّعِي الْعِصْمَةَ جَائِحَةٌ [4] وَالْبُخْلَ مِمَّنْ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ بِدَعْوَاهُ عَجِيبٌ .

وَلَوْ أَرَدْتَ مَعَ هٰذَا كُلِّهِ ، أَنْ تَجِدَ لَهُمَا ثَالِثاً فِي جَمِيعِ مَنْ كَتَبَ لِلْجَبَلِ وَالدَّيْلَمِ ، إِلَى وَقْتِكَ هٰذَا الْمُؤَرَّخِ فِي الْكِتَابِ لَمْ تَجِدْ .

---

(١) أي ينقل ويروى

(٢) فى الاصل : « مما »

(٣) الفاقرة : الداهية التى تكسر النقار من الظهر

(٤) الجائحة : الشدة ، والنازلة العظيمة التى تجتاح المال من فتنة أو غيرها

قَالَ : وَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ يَوْماً : كَانَ أَبُو الْفَضْلِ « يَعْنِي ابْنَ الْعَمِيدِ » سَيِّدًا ، لَمْ يَشُقَّ غُبَارَنَا ، وَلَا أَدْرَكَ شِوَارَنَا [١] ، وَلَا مَسَحَ عِذَارَنَا [٢] ، وَلَا عَرَفَ غِرَارَنَا [٣] ، لَا فِي عِلْمِ الدِّينِ ، وَلَا فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى نَفْعِ الْمُسْلِمِينَ . فَأَمَّا ابْنُهُ : فَقَدْ عَرَفْتُمْ قَدْرَهُ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ ، طَيَّاشٌ [٤] قَلَّاشٌ ، لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا قَاشٌ [٥] وَقُمَاشٌ ، مِثْلُ ابْنِ عَيَّاشٍ ، وَالْهَرَوِيِّ الْخَوَّاشِ ، وُلِدْتُ وَالشِّعْرَى فِي طَالِعِي [٦] ، وَلَوْلَا دَقِيقَةٌ لَأَدْرَكْتُ النُّبُوَّةَ ، وَقَدْ أَدْرَكْتُ النُّبُوَّةَ إِذْ قُمْتُ بِالذَّبِّ عَنْهَا ، وَالنُّصْرَةِ لَهَا ،

---

(١) يقال : للدابة شوار : إذا عرضها للبيع باجرائها أمام المشترى . وهذا مراده

(٢) كذا بالأصل ، وهو من الآدمي : جانب اللحية ، أى الشعر الذى يحاذى الأذن ، وبينه وبين الأذن بياض ، أو هو من الوجه : ما ينبت عليه الشعر المستطيل ، المحاذى لشحمة الأذن ، إلى أصل اللحى ، يريد ألا يكون له شعر فى اللحى فيمسحه

(٣) المثال الذى تضرب عليه النصال لتصلح ، يريد أنه لم يبلغ أن يكون مثالا يقتدى كالذى نحن عليه

(٤) الطياش : الطائش ، ومن لا يقصد وجها واحدا ، لقلة عقله ، والقلاش : الداهى المحتال ،

(٥) القاش : اسم للقماش ، كأنه سمى باسم صوته . والقماش بضم القاف : ماعلى وجه الأرض من فتات الأشياء ، حتى أنه يقال لرذال الناس : قماش ، ويجمع على أقمشة ويستعمل أيضاً فى المعنى المتعارف ، وقد سبق ذلك فى الاجزاء السابقة

(٦) هذا راجع الى الكلمات السابقة ، التى ساقها فى موضع الفخر

فَمَنْ ذَا يُجَارِينَا (١) أَوْ يُبَارِينَا ، وَيُغَارِينَا (٢) ، أَوْ يُمَارِينَا ، وَيُشَارِينَا (٣) .

قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِابْنِ ثَابِتٍ ، جَعَلَكَ اللهُ مِمَّنْ إِذَا خَرِىءَ سَطَّرَ (٤) ، وَإِذَا بَالَ قَطَّرَ (٥) ، وَإِذَا فَسَا غَبَّرَ (٦) ، وَإِذَا ضَرِطَ كَبَّرَ (٧) ، وَإِذَا أَعْجَفَ (٨) عَبَّرَ .

قَالَ : وَهَذَا سُخْفٌ لَا يَلِيقُ بِأَصْحَابِ الْفُرْصَةِ ، وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا إِلَى الْخَنْدَقِ (٩) ، وَدَارَكَ (١٠) وَمَنُوقَانَ (١١) ، وَالزُّبَيْدِيَّةِ (١٢) ،

---

(١) فى الأصل « يجابنا » وأصلحت إلى يجارينا : يجارينا ويبارينا : ينافسنا فى الجرى والمباراة (٢) يغارينا من غاراه لج معه فى الخصومة

(٣) المشاراة : المجادلة ، والمماراة : المراءاة . يريد فى كل هذا أن لا قدرة لقوم على مغاراته ومماراته ومباراته ، لان أكثر الناس لايتطلعون إلى نيل شىء من هذا بجانب ما ناله (٤) يريد أنه انه يكثر فينتقل عند التبرز من وضع الى وضع ، كأنه يسطر شيئاً

(٥) يريد أنزل البول مطرداً ، وهذا كناية عن الصحة

(٦) يريد لقوته ، فان ما يخرج منه يثير الغبار (٧) كبر الشىء جعله كبيراً

(٨) أعجف كان فى أرض عجفاء ، وهي التى لاخير فيها ، وعبر العجفاء : مر بها ، من عبرها إلى عبرها ، يريد إذا وقع فى محظور مرق منه (٩) الخندق محلة بجرجان

(١٠) دارك : قرية من قرى أصبهان : منها أبو القاسم الداركى المتوفى سنة ٣٧٧

(١١) منوقان : مدينة بكرمان

(١٢) الزبيدية : محلة ببغداد تنسب إلى زبيدة زوج الرشيد « عبد الخالق »

والرَّمادةِ (١) ، والخُلْدِ (٢) .

---

(١) محلة بنيسابور وأخرى ببلخ وأحداهما مرادة هنا والرمادات مواضع كثيرة منها ما ذكرناه . ومنها رمادات أخر وقد أحببنا أن نذكر منها طرفا للالمام بشيء منها لعل فى ذلك فائدة فمنها :

رمادة اليمن ، وينسب إليها أبو بكر أحمد بن منصور الرمادى ، صاحب عبد الرزاق ، وأبو داود الطيالسى . روى عنه عبد الله البغوى ، وابن صاعدة رحل إلى الشام ، والعراق ، والحجاز وكان ثقة ، وتوفى سنة ٢٤٥ عن ٨٣ سنة .

ومنها : رمادة فلسطين ، وهى رمادة الرملة ، ينسب إليها عبد الله بن رماحس القيسى الرمادى ، روى عن أبى عمرو ، زياد بن طارق ، وروى عنه أبو القاسم الطبرانى .

ومنها : رمادة المغرب ، وينسب إليها أبو عمر ، يوسف بن هارون الكندى الرمادى الشاعر القرطبى .

والرمادة أيضاً : بلدة لطيفة ، بين برقة والاسكندرية ، قريبة من البحر لها سور ومسجد جامع ، وبساتين فيها أنواع الثمار . وهى قريبة من برقة .

والرمادة أيضا : محلة كبيرة كالمدينة ، فى ظاهر مدينة حلب ، متصلة بالمدينة ، لها أسواق ووال برأسه .

ورمادة أبيط : سبخة بحذاء التصيبة ، بينها وبين الجنوب ، تفضى إليها أودية الرغام ويؤخذ منها الملح . وقال ذو الرمة :

أصيداء هل قيظ الرمادة راجع   لياليه أو أيامهن الصوالح

معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨٢

(٢) الخلد بضم أوله وتسكين ثانيه : قصر بناه المنصور أمير المؤمنين ببغداد ، بعد فراغه من مدينته ، على شاطىء دجلة ، فى سنة ١٥٩ ، وكان موضع البيمارستان العضدى اليوم ، أو جنوبيه ، وبنيت حواليه منازل ، فصارت محلة كبيرة عرفت بالخلد ، والأصل فيها القصر المذكور ، وكان موضع الخلد قديما دير فيه راهب ، وإنما اختار المنصور نزوله ، وبنى قصره فيه لعلة البق ، وكان عذبا طيب الهواء ، لانه —

قَالَ وَأَنْشَدَ أَبُو دُلَفٍ الْخَزْرَجِيُّ :

يَا ابْنَ عَبَّادِ بْنِ عَبَّا
سِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ حَزْهَا
تُنْكِرُ الْجَبْرَ وَقَدْ أُخْرِ
جْتَ مِنْ دُنْيَاكَ كَرْهَا

قَالَ[1] عَلِيُّ ابْنُ عَطَاءِ : إِنَّ عَطَاءَ ابْنِ عَبَّادٍ : لَا يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَثَوْبٍ إِلَى خَمْسِمِائَةٍ ، وَمَا يَبْلُغُ إِلَى الْأَلْفِ نَادِرٌ ، وَمَا يُوفِي عَلَى الْأَلْفِ بَدِيعٌ[2] ، بَلَى ، قَدْ نَالَ بِهِ نَاسٌ مِنْ عَرَضِ

— أشرف المواضع التي ببغداد كلها ، ومر بالخلد على بن أبي هاشم الكوفي فنظر إليه فقال :

بنوا وقالوا لا نمو ت والخراب بنى المبنى
ما عاقل فيما رأ يـ ت إلى الخراب بمطمئن

وقد نسب إلى هذه المحلة ، جماعة من أهل العلم والزهادة : منهم : جعفر الخلدى الزاهد ، وله ترجمة طويلة نمسك بالقلم إلى هذه الغاية ، خشية الاطالة .
ا . ه . ملخصا معجم البلدان ج ٣ ص ٤٥٤ ، ٤٥٥

(١) كانت فى الأصل : « قال على ابن . عطاء بن عباد لا يزيد » الخ فأصلحت إلى ما ذكر

(٢) يقال : أبدع الرجل أتى بيدعة ، والشاعر أتى بالبديع ، والشىء أنشأه واخترعه لا على مثال . ومنه قوله تعالى : « بديع السموات والأرض » أى موجدها على غير مثال سبق

جَاهِهِ عَلَى السِّنِينَ، مَا يَزِيدُ قَدْرُهُ عَلَى هذَا بِأَضْعَافٍ، وَعَدَدُ هَؤُلَاءِ قَلِيلٌ جِدًّا، وَذَلِكَ بِابْتِذَالِ النَّفْسِ، وَهَتْكِ السِّتْرِ.

قَالَ: وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ رَكَاكَتِهِ (١)، أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْعَلَوِيُّ، فَكَانَ إِذَا سَمِعَ مِنْهُ كَلَامًا يَسْجَعُ فِيهِ، وَخَبَرًا يَنْمِقُهُ وَيَرْوِيهِ، يَبْلُقُ (٢) عَيْنَيْهِ، وَيَنْشُرُ مِنْخَرَيْهِ، وَيُرِى أَنَّهُ قَدْ لَحِقَهُ غَشْيٌ حَتَّى يُرَشَّ عَلَى وَجْهِهِ مَاءُ الْوَرْدِ، فَإِذَا أَفَاقَ قِيلَ: مَا أَصَابَكَ؟ مَا عَرَاكَ؟ مَا الَّذِي نَالَكَ وَتَغَشَّاكَ؟ فَيَقُولُ: مَا زَالَ كَلَامُ مَوْلَايَ يَرُوقُنِي وَيُؤْنِقُنِي (٣) حَتَّى فَارَقَنِي لُبِّي، وَزَايَلَنِي عَقْلِي، وَتَرَاخَتْ (٤) مَفَاصِلِي، وَتَخَاذَلَتْ عُرَى قَلْبِي، وَذَهَلَ ذِهْنِي، وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ رُشْدِي، فَيَتَهَلَّلُ وَجْهُ ابْنِ عَبَّادٍ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَنْتَفِشُ (٥) وَيَضْحَكُ عُجْبًا وَجَهْلًا، ثُمَّ يَأْمُرُ لَهُ بِالْحِبَاءِ وَالتَّكْرِمَةِ، وَيُقَدِّمُهُ عَلَى جَمِيعِ بَنِي أَبِيهِ وَعَمِّهِ، وَمَنْ يَنْخَدِعُ هَكَذَا، فَهُوَ

(١) الركاكة: الضعف، وقلة العقل (٢) بلق عينه كنصر وأبلق فتحها وأقفلها
(٣) أى يعجبنى (٤) فى الأصل وانشرحت (٥) من انتفش الطائر اذا نفض جناحيه، يريد انه يتحرك تحرك الطائر، كناية عن الزهو والخيلاء

بِالنِّسَاءِ الرُّعْنِ أَشْبَهُ ، وَبِالصِّبْيَانِ الضِّعَافِ أَمْثَلُ . وَذَكَرَ الْوَزِيرُ أَبُو سَعْدٍ ، مَنْصُورُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآبِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، مِنْ جَلَالَةِ قَدْرِ الصَّاحِبِ ، وَعِظَمِ قَدْرِهِ فِي النُّفُوسِ ، وَحَشْمَتِهِ ، مَا لَمْ يَذْكُرْ لِوَزِيرٍ قَبْلَهُ ، وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ، وَأَنَا ذَاكِرٌ مَا ذَكَرَ عَلَى مَا نَسَقَهُ (١) ، قَالَ : تُوُفِّيَتْ أُمُّ كَافِي الْكُفَاةِ بِأَصْبَهَانَ ، وَوَرَدَ عَلَيْهِ الْخَبَرُ ، فَجَلَسَ لِلتَّعْزِيَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ مُحَرَّمٍ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَرَكِبَ إِلَيْهِ سُلْطَانُهُ وَوَلِيُّ نِعْمَتِهِ ، فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ مُعَزِّيًا ، وَنَزَلَ وَجَلَسَ عِنْدَهُ طَوِيلًا يُعَزِّيهِ ، وَيُسَكِّنُ مِنْهُ ، وَبَسَطَ الْكَلَامَ مَعَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَكَانَ يُفْصِحُ (٢) بِهَا ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ أَرَادَ الْقِيَامَ : أَيُّهَا الصَّاحِبُ ، هَذَا جُرْحٌ لَا يَنْدَمِلُ (٣) ، فَأَمَّا سَائِرُ الْأُمَرَاءِ وَالْقُوَّادِ ، مِثْلُ مَنُوجِهْرَ بْنِ قَابُوسَ ، مَلِكِ الْجَبَلِ ، وَفُولَاذَ بْنِ مَانَادِرَ ، أَحَدِ مُلُوكِ

---

(١) يريد على مانسقه الوزير أبو سعد ونظمه ورتبه

(٢) أي يبين بها ، مع أنه ديلمى الأصل

(٣) أي هذا ما كان من فخر الدولة ، فأما سائر الخ

الدَّيْلَمِ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ الْفَيْرُوزَانِ بْنِ خَالِدٍ ، فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَغَيْرِهِمْ ، مِنَ الْأَكَابِرِ وَالْأَمَاثِلِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَحْضُرُونَ حُفَاةً حُسَّراً (١) ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِذَا وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى الصَّاحِبِ ، قَبَّلَ الْأَرْضَ ، ثُمَّ تَوَالَى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَقْرُبَ مِنْهُ ، وَيَأْمُرَهُ بِالْجُلُوسِ فَيَجْلِسَ ، وَمَا كَانَ يَتَحَرَّكُ وَلَا يَسْتَوْفِزُ (٢) لِأَحَدٍ ، بَلْ كَانَ جَالِساً عَلَى عَادَتِهِ فِي غَيْرِ أَيَّامِ التَّعْزِيَةِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الْقِيَامَ مِنَ الْمُعَزَّى (٣) بَعْدَ الثَّالِثِ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَمَرَ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ اللَّالَكَاءُ (٤) مَنُوجِهْرُ بْنُ قَابُوسَ ، فَإِنَّهُ قَالَ : يُحْمَلُ إِلَى أَبِي مَنْصُورٍ مَا يَلْبَسُهُ ، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ ، وَمُنِعَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الدَّارِ حَافِياً ، ثُمَّ قَدَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ الْحُجَّابُ وَالْحَاشِيَةَ اللَّالَكَاوَاتِ إِلَى الْجَمَاعَةِ ، فَعَتَبَ فُولَاذُ بْنُ مَانَادِرَ ، وَالْفُولَاذُ دُرَيْدِيَةَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَقَالُوا : مُيِّزَ مَنُوجِهْرُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ ، فَاحْتَجَّ الصَّاحِبُ بِبَيْتِهِ الْعَظِيمِ ، وَرِيَاسَتِهِ الْقَدِيمَةِ .

---

(١) أي حاسري الرءوس

(٢) استوفز : استعد للقيام أو هم

(٣) مكان التعزية (٤) اللالكاء : جلد مصبوغ سمي به الخف

قَالَ : وَخَطَبَ كَافِى الْكُفَاةِ ابْنَةَ أَبِى الْفَضْلِ بْنِ الدَّاعِى ، لِسِبْطِهِ (١) عَبَّادِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، وَوَقَعَ الْإِمْلَاكُ (٢) فِى دَارِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، وَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا احْتَفَلَ فِيهِ كَافِى الْكُفَاةِ ، وَنَثَرَ (٣) مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالدَّرَاهِمِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَلِذَلِكَ أَنْفَذَ لَهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ عَلَى يَدَىْ أَحَدِ حُجَّابِهِ الْكِبَارِ، إِلَى هُنَاكَ مِنَ النِّثَارِ، مَا زَادَ عَلَى مِائَةِ طَبَقٍ عَيْنًا وَوَرِقًا ، وَحَضَرَ الْفُولَاذُ دُرَيْدِيَّةُ بِأَسْرِهِمْ ، فَإِنَّ الابْنَةَ الْمُزَوَّجَةَ ، كَانَتِ ابْنَةَ دِيكُونَةَ بِنْتِ الْحَسَنِ ، بْنِ الْفَيْرُوزَانَ ، خَالَةِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَكَانَ الْقَوْمُ أَخْوَالَهَا ، وَأَضَافَهُمُ الصَّاحِبُ ، وَنُصِبَتْ مَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِى بَيْتٍ طُولُهُ يَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ ذِرَاعًا ، وَكَانَتْ بِطُولِ الْبَيْتِ ، وَأُجْلِسَ عَلَيْهِ سِتَّةُ أَنْفُسٍ ، وَكَانَ فُولَاذُ بْنُ مَانَا (٤) وَكَبَّاتُ بْنُ بَلْقِسَمَ فِى الصَّدْرِ ، وَبِجَنْبِ فُولَاذَ ، أَبُو جَعْفَرِ بْنُ الثَّائِرِ الْعَلَوِىُّ ، وَبِجَنْبِهِ الْآخَرِ ،

---

(١) السبط : ابن البنت

(٢) زواج وعقد ، وتسمى وليمة ، مثل هذا الحفل املاكا ، من باب تسمية الشىء باسم سببه.

(٣) كانت فى الاصل : « نشر » وأصلحت إلى ما ذكر

(٤) وفى الاصل الذى فى مكتبة أكسفورد : « بادر » « عبد الخالق »

أَبُو القَاسِمِ بْنُ القَاضِي الْعَلَوِيُّ ، وَدُونَ أَحَدِ الْعَلَوِيِّينَ كَاكِي ابْنُ يَشْكُرَ زَادَ ، وَدُونَ الآخرِ مَرْدَاوِيجُ الْكَلَارِيُّ (١) ، وَوَقَفَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْفَيْرُوزَانُ ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَاكَانَ لِلْخِدْمَةِ ، وَوَقَفَ كَافِي الْكُفَاةِ أَيْضاً سَاعَةً ، وَوَقَفَ جَمِيعُ أَكَابِرِ الْكُتَّابِ وَالْحُجَّابِ ، مِثْلُ الرَّئِيسِ أَبِي الْعَبَّاسِ ، أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيِّ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْعَارِضِ ، وَأَخِيهِ أَبِي عَلِيٍّ ، وَابْنِهِ أَبِي الْفَضْلِ ، وَأَبِي عِمْرَانَ الْحَاجِبِ وَغَيْرِهِمْ . إِلَى أَنْ فَرَغَ الْقَوْمُ مِنَ الأَكْلِ ، ثُمَّ أَكَلَ هَؤُلَاءِ مَعَ الصَّاحِبِ عَلَى مَائِدَةٍ مُفْرَدَةٍ ، وَأَمَّا قَاضِي الْقُضَاةِ ، وَالْأَشْرَافُ وَالْعُدُولُ ، فَإِنَّهُمْ أُطْعِمُوا عَلَى مَائِدَةٍ أُخْرَى فِي بَيْتٍ آخَرَ .

قَالَ : وَكَانَ نَصْرُ بْنُ الْحَسَنِ ، بْنِ الْفَيْرُوزَانِ ، وَهُوَ خَالُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، مِقْدَاماً شُجَاعاً ، قَلِيلَ الْمُبَالَاةِ ، قَدِ اسْتَعْصَى عَلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، وَاقْتَطَعَ قِطْعَةً مِنْ بِلَادِهِ ، وَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا ، وَاحْتَالَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ عَسَاكِرِهِ ، فَقَتَلَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْقَتْلِ ،

(١) نسبة إلى كلار ، بالفتح والتخفيف : مدينة فى جبال طبرستان ، بينها وبين آمل ثلاث مراحل ، وبينها وبين الري مرحلتان ، وكلار بتشديد اللام : بليد فى نواحى فارس . معجم البلدان ج ٧ ص ٢٧٢

ثُمَّ كَسَرَ لَهُ عِدَّةَ عَسَاكِرَ ، إِلَى أَنْ تَكَاثَرَتْ عَسَاكِرُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ فَكَسَرَتْهُ ، وَشَتَّتَتْ جُمُوعَهُ ، وَهَرَبَ نَحْوَ خُرَاسَانَ ، حَتَّى صَارَ إِلَى إِسْفِرَايِينَ ، ثُمَّ بَدَا لَهُ أَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمَفَازَةِ فِيهَا ، حَتَّى وَرَدَ الرَّىَّ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ شَوَّالٍ ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، وَقَصَدَ فِي اللَّيْلِ بَابَ كَافِي الْكُفَاةِ مُسْتَجِيراً بِهِ ، وَمُسْتَعْطِفاً لَهُ ، فَلَمْ يَرِقَّ (١) لَهُ ، وَرُدَّ إِلَى دَارِ بَعْضِ حُجَّابِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، فَحُبِسَ فِيهَا.

قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو سَعْدٍ : وَكُنْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِحَضْرَةِ كَافِي الْكُفَاةِ ، فَأَتَاهُ الْحَاجِبُ ، وَقَدْ مَضَى هَزِيعٌ مِنَ اللَّيْلِ ، فَأَخْبَرَهُ بِوُقُوفِ نَصْرِ بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ الْفَيْرُوزَانِ عَلَى الْبَابِ ، خَاشِعاً مُتَضَرِّعاً ، فَرَأَيْتُهُ قَدْ تَحَيَّرَ فِي الْأَمْرِ سَاعَةً ، ثُمَّ رَاسَلَهُ بِأَنَّ السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ « يَعْنِي فَخْرَ الدَّوْلَةِ » ـ سَاخِطٌ عَلَيْكَ ، وَلَا يَجُوزُ لِي أَنْ آذَنَ لَكَ فِي دُخُولِ دَارِي ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَتَرَضَّاهُ ، وَتَسْتَعْطِفَ قَلْبَهُ ، فَإِذَا عَفَا عَنْكَ

---

(١) فى الأصل : « يكن » ولعله لم يكن يرق له

وَرَجَعَ لَكَ ، فَالدَّارُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَنَا مُعِينٌ لَكَ . فعَادَ الْحَاجِبُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَرَجَعَ فَقَالَ : إِنَّهُ امْتَنَعَ مِنَ الْعَوْدِ وَقَالَ : إِنَّمَا جِئْتُ إِلَى الصَّاحِبِ لَائِذاً بِهِ ، وَمُنْقَطِعاً إِلَيْهِ ، وَلَا أَعْرِفُ غَيْرَهُ ، وَأَنَا[1] أَحْتَاجُ أَنْ يُدَبِّرَ أَمْرِى ، وَيُجِيرَنِى وَيُحَامِىَ عَلَىَّ ، وَيَذُبَّ عَنِّى ، فَرَأَيْتُ الصَّاحِبَ وَقَدْ مَالَ رَأْيُهُ بَيْنَ إِحْدَى خَصْلَتَيْنِ : إِمَّا أَن يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمَنْعِ وَلَا يَأْذَنَ لَهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ ، وَيَجْعَلَ دَارَهُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْخَزَائِنِ لَهُ ، وَيَنْتَقِلَ هُوَ إِلَى دَارٍ كَانَتْ لِحَاجِبِهِ الرَّاوَنْدِىِّ ، وَكَانَ قَدْ أَضَافَهَا بَعْدَ مَوْتِ هَـذَا الْحَاجِبِ إِلَى دَارِهِ . ثُمَّ تقَرَّرَ رَأْيُهُ عَلَى صَرْفِهِ ، وَاسْتَمَرَّ نَصْرٌ عَلَى الْإِلْحَاحِ فِى الْخُضُوعِ ، وَالِاجْتِهَادِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِى الدُّخُولِ ، وَانْتَقَلَ مِنَ الْبَابِ الْكَبِيرِ إِلَى بَابِ الْخَاصَّةِ ، وَسَأَلَ وَاجْتَهَدَ إِلَى أَنْ جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ ، عَلْوَسَةَ الْحَاجِبُ وَحَبَسَهُ ، وَكَانَ هَـذَا الْفِعْلُ مِنَ الصَّاحِبِ مُسْتَهْجَناً ، يَعْجَبُ[2] النَّاسُ مِنْهُ ، وَتَحَدَّثُوا

(١) فى الأصل : « وهو يحتاج » وأصلحت .

(٢) لعلها عجب .

بِهِ وَاسْتَقْبَحُوهُ ، مَعَ مَا أَظْهَرَهُ نَصْرٌ مِنَ الاسْتِكَانَةِ وَالاسْتِجَارَةِ بِهِ . وَأَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، إِلَّا لِأَنَّهُ جَبُنَ عَنِ الاجْتِمَاعِ مَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ ، مَعَ الْعَدَاوَةِ الْمُتَأَكِّدَةِ بَيْنَهُمَا ، وَالضَّغِينَةِ الرَّاسِخَةِ فِي قَلْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا .

ثُمَّ ذَكَرَ وَفَاةَ الصَّاحِبِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ غَيْرُهُ ، وَكَمَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا . ثُمَّ قَالَ : وَتُوُفِّيَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ عَشِيَّةَ يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ ، عَاشِرِ شَعْبَانَ ، وَكَانَ مَبْلَغُ عُمُرِهِ أَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا . ثُمَّ وَصَفَ أَخْلَاقَهُ وَجُيُوشَهُ ، وَقِلَاعَهُ وَأَمْوَالَهُ ، الَّتِي خَلَّفَهَا ، ثُمَّ قَالَ : فَأَمَّا الْوَزَارَةُ فِي أَيَّامِهِ ، فَكَانَتْ أَشْهَرَ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَى ذِكْرِهَا ، فَإِنَّ أَوَّلَ وُزَرَائِهِ كَانَ كَافِي الْكُفَاةِ . وَأَسِنَّةُ الْأَقْلَامِ ، وَعَذَبَاتُ [1] الْأَلْسِنَةِ تَكِلُّ دُونَ أَيْسَرِ أَوْصَافِهِ ، وَأَدْنَى فَضَائِلِهِ ، وَلَوْلَا مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ الْوَزَارَةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَاعْتِقَادُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ حَالَهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، بِأَنَّ

(١) عذبات الألسنة : أطرافها ، فالعذب : طرف كل شيء

ٱلْأَمْرَ كَانَ وَلَمْ (١) يَزَلْ عَلَى مَا نَوَاهُ، أَوْقَرِيبًا مِنْهُ وَشَبِيهًا بِهِ، لَأَمْسَكْنَا عَنْ ذِكْرِهِ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ يَسِيرًا مِنْ أَحْوَالِهِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ، وَٱلْأُمَرَاءِ وَٱلْقُوَّادِ، وَسَائِرِ مَنْ سَاوَاهُمْ مِنَ ٱلزُّعَمَاءِ وَٱلْكِبَارِ، مِثْلِ أَوْلَادِ مُؤَيَّدِ ٱلدَّوْلَةِ، وَٱبْنِ عِزِّ ٱلدَّوْلَةِ، وَمَنُوجَهْرَ بْنِ قَابُوسَ، بْنِ وَشْمَكِيرَ، وَأَبِي ٱلْحَجَّاجِ بْنِ ظَهِيرِ ٱلدَّوْلَةِ، وَأَسْفَهِيدَ بْنِ أَسْفَارَ، وَحَسَنِ بْنِ وَشْمَكِيرَ، وَفُولَاذَ بْنِ مَانَادِرَ، وَنَصْرِ بْنِ ٱلْحَسَنِ بْنِ ٱلْفَيْرُوزَانِ، وَأَبِي ٱلْعَبَّاسِ ٱلْفَيْرُوزَانِ، ٱبْنِ ٱلْحَسَنِ، بْنِ ٱلْفَيْرُوزَانِ، وَكَبَّاتِ بْنِ بَلْقَسِمَ، بْنِ ٱلْفَيْرُوزَانِ، وَحَيْدَرَ بْنِ وَهْسُوذَانَ، وَكَيْخَسْرُو بْنِ ٱلْمَرْزُبَانِ، ٱبْنِ ٱلسَّلَّارِ، وَجُسْتَانَ بْنِ نُوحٍ، بْنِ وَهْسُوذَانَ، وَشَيْرَزِيلَ ٱبْنِ سَلَّارَ، بْنِ شَيْرَزِيلَ، وَكَانَ فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنَ ٱلْأَقْطَاعِ، مَا يَبْلُغُ ٱرْتِفَاعُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَمَا دُونَهَا إِلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَمِنْ أَكَابِرِ ٱلْقُوَّادِ مَا يَطُولُ تَعْدَادُهُمْ، كَانُوا (٢) يَحْضُرُونَ بَابَ دَارِهِ، فَيَقِفُونَ عَلَى دَوَابِّهِمْ

---

(١) فى الاصل : بأن الامر لم يزل (٢) لم تكن هذه الكلمة فى الاصل ، وهي عاملة فى يحضرون ، وكان وما دخلت عليه ، خبر إن السابقة الذكر

مُطْرِقِينَ، لَا يَتَكَلَّمُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ هَيْبَةً وَإِعْظَامًا لِمَوْضِعِهِ، إِلَى أَنْ يَخْرُجَ أَحَدُ خُلَفَاءِ حُجَّابِهِ، فَيَأْذَنَ لِبَعْضِ أَكَابِرِهِمْ، وَيَصْرِفَهُمْ جُمْلَةً، فَكَانَ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي الدُّخُولِ، يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الْآمَالَ، وَنَالَ الْفَوْزَ بِالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَرَحًا وَمَسَرَّةً، وَشَرَفًا وَتَعْظِيمًا، فَإِذَا حَصَلَ فِي الدَّارِ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ إِلَى مَجْلِسِهِ، قَبَّلَ الْأَرْضَ عِنْدَ وُقُوعِ بَصَرِهِ عَلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ أَرْبَعًا، إِلَى أَنْ يَقْرُبَ مِنْهُ، فَيَجْلِسَ مَنْ كَانَتْ رُتْبَتُهُ الْجُلُوسَ، إِلَى أَنْ يَقْضِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَطَرَهُ مِنْ خِدْمَتِهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفَ، بَعْدَ أَنْ يُقَبِّلَ الْأَرْضَ أَيْضًا مِرَارًا. وَلَمْ يَكُنْ يَقُومُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ وَلَا يُشِيرُ إِلَى الْقِيَامِ، وَلَا يَطْمَعُ مِنْهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ.

وَنَزَلَ بِالصَّيْمَرَةِ عِنْدَ عَوْدِهِ مِنَ الْأَهْوَازِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ شَيْخٌ مِنْ زُهَّادِ الْمُعْتَزِلَةِ، يُعْرَفُ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ إِسْحَاقَ، فَقَامَ لَهُ: فَلَمَّا خَرَجَ الْتَفَتَ كَافِي الْكُفَاةِ وَقَالَ: مَاقُمْتُ لِأَحَدٍ مِثْلَ هَذَا الْقِيَامِ، مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ

بِهِ لِزُهْدِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَحَدَ أَبْدَالِ (١) دَهْرِهِ ، فَأَمَّا الْعِلْمُ فَقَدْ كَانَ يَرَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، فَلَا يَحْفِلُ بِهِ (٢) . وَأَمَّا هَيْبَتُهُ فِي الصُّدُورِ ، وَمَخَافَتُهُ فِي الْقُلُوبِ ، وَحِشْمَتُهُ (٣) عِنْدَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَالْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، فَقَدْ (٤) بَلَغَتْ إِلَى أَنْ كَانَ صَاحِبُهُ فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، يَنْقَبِضُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يُرِيدُهُ بِسَبَبِهِ ، وَيُمْسِكُ عَمَّا تَشْرَهُ (٥) إِلَيْهِ نَفْسُهُ لِمَكَانِهِ ، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَانْبِسَاطِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ فِيمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ كَانَ يَزُمُّ (٦) نَفْسَهُ لِحِشْمَتِهِ ، ثُمَّ كَانَ يُحِلُّهُ مَحَلَّ الْوَالِدِ إِكْرَاماً وَإِعْظَاماً ، وَيُخَاطِبُهُ بِالصَّاحِبِ شِفَاهاً وَكِتَاباً ، فَأَمَّا أَكَابِرُ الدَّوْلَةِ ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا رَأَى أَحَدَ حُجَّابِهِ ، بَلْ أَحَدَ الْأَصَاغِرِ مِنْ حَاشِيَتِهِ ، فَإِنَّ

(١) الأبدال : الصالحون والأولياء ، سموا بذلك ، لأنه كلما مات منهم واحد أبدل به آخر ، وهذه أفكار لامعنى لها ، وقد اعتقدها طائفة من المتصوفة ، ولا أدرى لهذا معنى ، اذ ما شأن الله المتصرف فى العالم ، حتى يكون هؤلاء « عبد الخالق »

(٢) لم يحفل بفلان : لم يبال به

(٣) الحشمة الحياء

(٤) فى الأصل فما بلغت فوضعت قد بدل فما

(٥) أى تميل

(٦) من زم البعير : أى خطمه

فَرَائِصَهُ كانتْ تَرْتَعِدُ ، وَجَوَانِحَهُ كانتْ تَصْطَفِقُ[(١)] ، إِلَى أَنْ يَعْلَمَ مايُرِيدُهُ مِنْهُ ، وَيُخَاطِبَهُ بِهِ

وَتَظَلَّمَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لِفُولَاذَ بْنِ مَانَادِرَ ، وَذَكَرَتْ أَنَّهُ يُنَازِعُهَا فِي حَقٍّ لَهَا ، فَمَا زَادَ عَلَى أَنِ الْتَفَتَ إِلَى فُولَاذَ ، وَكَانَ فِي مَوْكِبِهِ يَسِيرُ خَلْفَهُ ، فَبُهِتَ وَتَحَيَّرَ ، وَارْتَعَدَ وَوَقَفَ ، وَلَمْ يَبْرَحْ إِلَى أَنْ سَارَ كَافِي الْكُفَاةِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ مَعَ الْمَرْأَةِ مَنْ أَرْضَاهَا ، وَأَزَالَ ظُلَامَتَهَا ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ يَطُولُ الْكِتَابُ بِبَعْضِهِ ، فَكَيْفَ يَتَّسِعُ لِكُلِّهِ[(٢)] .

وَأَمَّا أَسْبَابُهُ وَحَاشِيَتُهُ ، وَهَيْبَتُهُ وَرُتْبَتُهُ ، فَإِنَّ مِنْ أَيْسَرِهَا أَنَّهُ كَانَ لَهُ عِدَّةٌ مِنَ الْحُجَّابِ ، مِنْهُمْ مَنْ عَلَى مَرْبَطِهِ ثَلاثُمِائَةِ رَأْسٍ مِنَ الدَّوَابِّ ، أَوْ مَا يُقَارِبُهَا ، وَكَانَتْ أَحْوَالُ بَلْكَا الْحَاجِبِ ، تَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ زِيَادَةً كَثِيرَةً ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى مَرْبَطِ خَلِيفَةٍ لَهُ يُعْرَفُ بِيَزِيدَةَ ، كَثِيرٌ[(٣)] مِنَ الْخَيْلِ الْعِتَاقِ الْمَوْصُوفَةِ ،

(١) اصطفقت جوانحه : اهتزت واضطربت ، من اصطفقت الأشجار : اهتزت

(٢) كانت فى الأصل : « فى كله »

(٣) لم تكن هذه الكلمة فى الأصل ، فزدناها .

وَكَانَ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا ، لِأَنَّهُ كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى حِفْظِ[1] الطُّرُقِ ، وَطَلَبِ الْأَكْرَادِ ، وَأَهْلِ الْعَيْثِ[2] وَصِيَانَةِ السَّابِلَةِ[3] ، وَكَانَ مَا يَخْرُجُ لِكَافِي الْكُفَاةِ فِي السَّنَةِ ، فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالصَّدَقَاتِ وَالْمَبَرَّاتِ ، وَصِلَاتِ الْأَشْرَافِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ ، وَالْغُرَبَاءِ الزُّوَّارِ ، وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ ، مِمَّا يَتَكَلَّفُهُ وَيُرِيدُ بِهِ صِيتَ[4] الدُّنْيَا ، وَأَجْرَ الْآخِرَةِ ، يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ .

وَانْتَقَلَتِ الْوَزَارَةُ عَنْهُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ، أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيِّ ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ حَمُولَةَ ، وَالسِّيَاسَةُ الَّتِي قَدْ سَنَّهَا هُوَ بَاقِيَةٌ ، وَحَشَمَةُ[5] الْوَزَارَةِ ثَابِتَةٌ ، وَالْأُمُورُ عَلَى مَا عُهِدَ فِي أَيَّامِهِ جَارِيَةٌ ، وَكَانَ لَهُمَا مِنَ الْحَشَمِ وَالْحَاشِيَةِ ، وَالتَّجَمُّلِ وَالزِّينَةِ ، مِثْلُ مَا كَانَ لَهُ ، بَلْ كَانَ فَوْقَهُ فِي الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَلْحَقَاهُ فِي الْفَضْلِ وَالْمَكْرُمَةِ .

---

(١) فى الأصل : « موصوفا لحفظ »

(٢) أى الفساد

(٣) أى المارة فى الطريق

(٤) الصيت : الذكر الحسن الجميل

(٥) حشمة الرجل ، وحشمه : خاصته ، يستعمل كلا اللفظين للواحد والجمع

قَالَ غَرْسُ النِّعْمَةِ : حَدَّثَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عِيسى النَّصِيبِيُّ قَالَ : كَانَ أَبُو الْفَتْحِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ ، بْنِ الْعَمِيدِ ، قَدْ دَبَّرَ عَلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ، حَتَّى أَزَالَهُ عَنْ كِتَابَةِ الْأَمِيرِ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، وَأَبْعَدَهُ عَنْ حَضْرَتِهِ بِالرَّيِّ إِلَى أَصْفَهَانَ ، وَانْفَرَدَ هُوَ بِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ لِمُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، كَمَا كَانَ يُدَبِّرُهَا لِأَبِيهِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَدْعَى يَوْمًا نُدَمَاءَهُ ، وَعَبَأَ (١) لَهُمْ مَجْلِسًا عَظِيمًا ، وَأَظْهَرَ مِنَ الزِّينَةِ وَآلَاتِ الْفِضَّةِ ، وَالذَّهَبِ وَالصِّينِيِّ وَمَا شَاكَلَهُ ، مَا يَفُوتُ الْحَصْرَ ، وَشَرِبَ وَاسْتَفَزَّهُ الطَّرَبُ ، وَكَانَ قَدْ شَرِبَ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ ، فَعَمِلَ شِعْرًا غُنِّيَ بِهِ ، وَهُوَ :

دَعَوْتُ الْمُنَى وَدَعَوْتُ الْعُلَا
فَلَمَّا أَجَابَا دَعَوْتُ الْقَدَحْ
وَقُلْتُ لِأَيَّامِ شَرْخِ الشَّبَابِ
أَلَا إِنَّ هَـذَا أَوَانُ الْمَرَحْ

(١) أي هيأ وأعد ، ومثله عبأ كقدم

إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ آمَالَهُ
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مُقْتَرَحْ

فَلَمَّا غُنِّيَ بِالشِّعْرِ اسْتَطَابَهُ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ سَكِرَ، وَقَالَ لِغِلْمَانِهِ: غَطُّوا الْمَجْلِسَ، وَلَا تُسْقِطُوا مِنْهُ شَيْئًا، لِأَصْطَبِحَ فِي غَدٍ عَلَيْهِ، وَقَالَ لِنُدَمَائِهِ: بَاكِرُونِي، وَقَامَ إِلَى بَيْتِ مَنَامِهِ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ النُّدَمَاءُ، فَدَعَاهُ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ فِي السَّحَرِ، فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ لِمُهِمٍّ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ، وَأَنْفَذَ إِلَى دَارِهِ مَنِ اسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا وَأَعَادَ ابْنَ عَبَّادٍ إِلَى وِزَارَتِهِ. وَتَطَاوَلَتْ بِابْنِ الْعَمِيدِ النَّكْبَةُ، حَتَّى مَاتَ فِيهَا، كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجَمَتِهِ.

ثُمَّ وَزَرَ ابْنُ عَبَّادٍ بَعْدَ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ لِأَخِيهِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ، فَبَقِيَ فِي الْوَزَارَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً وَشُهُوراً، وَفَتَحَ خَمْسِينَ قَلْعَةً سَلَّمَهَا إِلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ، لَمْ يَجْتَمِعْ عَشْرٌ مِنْهَا لِأَبِيهِ وَلَا لِأَخِيهِ، وَسَمِعَ الصَّاحِبُ الْحَدِيثَ وَأَمْلَى.

حَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ الْكِيَا قَالَ:

لَمَّا عزَمَ الصَّاحِبُ بْنُ عبَّادٍ ، عَلى الإِمْلاء وَهُوَ وَزِيرٌ ، خَرَجَ يَوْماً مُتَطَلِّساً(١) مُتَحَنِّكاً بِزِيِّ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُمْ قَدَمِي فِي الْعِلْمِ ، فَأَقَرُّوا لَهُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : وَأَنا مُتَلَبِّسٌ بِهَذَا الْأَمْرِ ، وَجَمِيعُ مَا أَنْفَقْتُهُ مِنْ صِغَرِي إِلَى وَقْتِي هذَا ، مِنْ مَالِ أَبِي وَجَدِّي ، وَمَعَ هذَا فَلَا أَخْلُو مِنْ تَبِعَاتٍ(٢) ، أُشْهِدُ اللهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي تَائِبٌ إِلَى اللهِ ، مِنْ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ . وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ بَيْتاً وَسَمَّاهُ بَيْتَ التَّوْبَةِ ، وَلَبِثَ أُسْبُوعاً عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ أَخَذَ خُطُوطَ الْفُقَهَاءِ بِصِحَّةِ تَوْبَتِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَعَدَ لِلْإِمْلَاءِ ، وَحَضَرَ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ ، وَكَانَ الْمُسْتَمْلِي الْوَاحِدُ يَنْضَافُ إِلَيْهِ سِتَّةٌ ، كُلٌّ يُبَلِّغُ صَاحِبَهُ ، فَكَتَبَ النَّاسُ حَتَّى الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ الْعَمِيرِي كُتُباً ، وَكَتَبَ مَعَهَا :

الْعَمِيرِيُّ عَبْدُ كَافِي الْكُفَاةِ
وَإِنِ اعْتَدَّ(٣) فِي وُجُوهِ الْقُضَاةِ

(١) أي لابساً الطيلسان وقد مر ذكره
(٢) جمع تبعة ، وهي ما يعلق بالمرء من شيء لا يرضى عنه الناس
(٣) أي عد وحسب

خَدَمَ الْمَجْلِسَ الرَّفِيعَ بِكُتْبٍ
مُفْعَمَاتٍ[1] مِنْ حُسْنِهَا مُتْرَعَاتِ

فَوَقَّعَ الصَّاحِبُ تَحْتَهَا :

قَدْ قَبِلْنَا مِنَ الْجَمِيعِ كِتَاباً
وَرَدَدْنَا لِوَقْتِهَا الْبَاقِيَاتِ
لَسْتُ أَسْتَغْنِمُ الْكَثِيرَ فَطَبْعِي
قَوْلُ خُذْ ، لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلُ هَاتِ

حَدَّثَ أَبُو الرَّجَاءِ الضَّرِيرُ ، الشَّطْرَنْجِيُّ الْعَرُوضِيُّ ، الشَّاعِرُ الْأَهْوَازِيُّ بِالْأَهْوَازِ ، قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَّادٍ ، فِي السَّنَةِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا فَخْرُ الدَّوْلَةِ ، وَلَقِيَهُ النَّاسُ وَمَدَحَهُ الشُّعَرَاءُ ، فَمَدَحْتُهُ بِقَصِيدَةٍ قُلْتُ فِيهَا :

إِلَى ابْنِ عَبَّادٍ أَبِي الْقَاسِمِ الصْ
صَاحِبِ إِسْمَاعِيلَ كَافِي الْكُفَاةِ

فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ وَاللهِ أَشْتَهِي بِأَنْ تَجْتَمِعَ كُنْيَتِي

---

(١) أي ممتلئات ، ومثلها مترعات

وَاسْمِي ، وَلَقَبِي وَاسْمُ أَبِي فِي بَيْتٍ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِي فِيهَا :

وَيَشْرَبُ الْجَيْشُ هَنِيئًا بِهَا

فَقَالَ يَا أَبَا الرَّجَاء : أَمْسِكْ ، فَأَمْسَكْتُ ، فَقَالَ :

وَيَشْرَبُ الْجَيْشُ هَنِيئًا بِهَا
مِنْ بَعْدِ مَاء الرَّىِّ مَاءَ الصَّرَاةِ[1]

هَكَذَا هُوَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ ، قُلْتُ يَا مَوْلَاىَ : أَحْسَنْتَ أَنْتَ ، عَمِلْتُ أَنَا هذا فى لَيْلَةٍ ، وَأَنْتَ عَمِلْتَهُ فِي لَحْظَةٍ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ : وَمِمَّنْ ذَكَرَ نَسَبَ الْمَمْدُوحِ كَامِلًا ، الْحَارِثُ الدُّؤَلِيُّ ، فِي عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو ، بْنِ عُثْمَانَ ، ابْنِ عَفَّانَ :

إِلَيْكَ ابْنَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ عَاصِمِ بْـ
ـنِ عَمْرٍو سَرَتْ عِيسٌ فَطَالَ سُرَاهَا

(١) الصراة : نهر بالعراق

وَمِنْ مُسْتَحْسَنِ شِعْرِ الصَّاحِبِ :

دَعَتْنِيَ عَيْنَاكِ نَحْوَ الصِّبَا
دُعَاءً تَكَرَّرَ فِي كُلِّ سَاعَهْ
فَلَوْلَا «وَحَقِّكِ» عُذْرُ الْمَشِيبِ
لَقُلْتُ لِعَيْنَيْكِ سَمْعاً وَطَاعَهْ

وَحَدَّثَ الْبَدِيعُ الْهَمَذَانِيُّ قَالَ : كَانَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ وَيُعْرَفُ بِابْنِ الْخُضَيْرِيِّ، يَحْضُرُ مَجْلِسَ الصَّاحِبِ بِاللَّيَالِي، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ لَيْلَةً فَنَامَ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ رِيحٌ لَهَا صَوْتٌ، فَخَجِلَ وَانْقَطَعَ عَنِ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ الصَّاحِبُ أَبْلِغُوهُ عَنِّي :

يَابْنَ الْخُضَيْرِيِّ لَا تَذْهَبْ عَلَى خَجَلٍ
لِحَادِثٍ كَانَ مِثْلَ النَّايِ وَالْعُودِ[1]
فَإِنَّهَا الرِّيحُ لَا تَسْطِيعُ تَحْبِسُهَا
إِذْ لَسْتَ أَنْتَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُودِ

وَلِأَبِي بَكْرٍ الْخُوَارِزْمِيِّ فِي ابْنِ عَبَّادٍ :

(١) هكذا في اليتيمة وفي الاصل : في العود

لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عَبَّادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ (١)
كَفَّاهُ يَوْماً وَلَا تَذْمُمْهُ إِنْ حَرَمَا
فَإِنَّهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ (٢)
يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا بُخْلاً وَلَا كَرَماً

فَلَمَّا مَاتَ الْخُوَارِزْمِيُّ ، بَلَغَ الصَّاحِبَ وَفَاتُهُ فَقَالَ :

أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ خُرَاسَانَ رَائِحٍ
أَمَاتَ خُوَارِزْمِيُّكُمْ ؟ قِيلَ لِي : نَعَمْ
فَقُلْتُ : اكْتُبُوا بِالْجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ
« أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمْ »

وَحَدَّثَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَيْهَقِيُّ ، فِي كِتَابِ مَشَارِبِ التَّجَارِبِ ، وَذَكَرَ الصَّاحِبَ فَقَالَ : أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبَّاسٍ ، الْوَزِيرُ ابْنُ الْوَزِيرِ ، كَمَا قَالَ الرُّسْتُمِيُّ فِيهِ :

---

(١) الهطل : تتابع المطر ، والمراد هنا تتابع العطاء

(٢) الوسواس : حديث النفس المختبلة ، من الخبل

وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ
مَوْصُولَةَ الْإِسْنَادِ بِالْإِسْنَادِ [١]
يَرْوِي عَنِ الْعَبَّاسِ عَبَّادٌ وِزَا
رَتَهُ وَإِسْمَاعِيلُ عَنْ عَبَّادِ

قَالَ: مَوْلِدُهُ [٢] بِكُورَةِ فَارِس، فِي ذِي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمَدَحَهُ خَمْسُمِائَةِ شَاعِرٍ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوَاوِينِ، وَمِمَّنْ كَانَ بِبَابِهِ: قَاضِي الْقُضَاةِ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ الْأَسَدَأَبَاذِيُّ، وَكَانَ قَدْ فَوَّضَ إِلَيْهِ قَضَاءَ هَمَذَانَ وَالْجِبَالِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ الصَّاحِبَ يَوْماً، فَلَمْ يَتَرَجَّلْ [٣] لَهُ، فَقَالَ: أَيُّهَا الصَّاحِبُ، أُرِيدُ أَنْ أَتَرَجَّلَ لِلْخِدْمَةِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ يَأْبَى ذَلِكَ، وَكَانَ يَكْتُبُ فِي عُنْوَانِ كِتَابِهِ: « إِلَى الصَّاحِبِ: دَاعِيهِ، عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ » ثُمَّ كَتَبَ « وَلِيُّهُ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ »، ثُمَّ كَتَبَ « عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ »

---

(١) الاسناد فى الحديث: رفعه إلى قائله

(٢) كانت فى الاصل: « وولده » الخ فأصلحت إلى ما ذكر

(٣) ترجل: مشى راجلا، يريد لم ينزل على دابته

فَقَالَ الصَّاحِبُ لِنُدَمَائِهِ : أَظُنُّهُ يَؤُولُ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ يَكْتُبَ الْجَبَّارُ .

وَأَنْشَدَ الصَّاحِبُ لِنَفْسِهِ يَرْثِي :

يَقُولُونَ لِي أَوْدَى كَثِيرُ بْنُ أَحْمَدٍ
وَذَلِكَ رُزْءٌ مَا عَلِمْتُ جَلِيلُ

فَقُلْتُ دَعُونِي وَالْعُلَا نَبْكِهِ مَعًا
فَمِثْلُ كَثِيرٍ فِي الرِّجَالِ قَلِيلُ

وَذَكَرَ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ ، عَنْ أَبِي طَاهِرِ بْنِ الْحَمَّامِيِّ ، عَنِ الْأَنْبَارِيِّ (١) الْكَاتِبِ ، قَالَ : وَرَدَ إِلَى الصَّاحِبِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَكَانَ فِيمَا اسْتَخْبَرَهُ عَنْهُ : رَسَائِلُ مَنْ تُقْرَأُ عِنْدَكُمْ ؟ فَقَالَ : رَسَائِلُ بْنِ عَبْدِ كَانَ . قَالَ : وَمَنْ ؟ قَالَ : رَسَائِلُ الصَّابِئِ . وَغَمَزَهُ أَحَدُ جُلَسَائِهِ لِيَقُولَ : رَسَائِلُ الصَّاحِبِ فَلَمْ يَفْطَنْ ، وَرَآهُ الصَّاحِبُ فَقَالَ : تَغْمِزُ حِمَاراً لَا يُحِسُّ .

(١) فى الاصل : « الانبرانى » وأصلحت إلى ماترى

وَكَانَ صَاحِبُ خُرَاسَانَ ، الْمَلِكُ نُوحُ بْنُ مَنْصُورٍ السَّامَانِيُّ ، قَدْ أَرْسَلَ إِلَى الصَّاحِبِ فِي السِّرِّ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَيُرَغِّبُهُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَبَذَلَ الْبُذُولَ السَّنِيَّةَ ، فَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ اعْتِذَارِهِ أَنْ قَالَ : كَيْفَ يَحْسُنُ لِي مُفَارَقَةُ قَوْمٍ بِهِمُ ارْتَفَعَ قَدْرِي ، وَشَاعَ بَيْنَ الْأَنَامِ ذِكْرِي ، ثُمَّ كَيْفَ لِي بِحَمْلِ أَمْوَالِي مَعَ كَثْرَةِ أَثْقَالِي ؟ وَعِنْدِي مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ خَاصَّةً ، مَا يُحْمَلُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ جَمَلٍ أَوْ أَكْثَرَ .

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَيْهَقِيُّ : وَأَنَا أَقُولُ : بَيْتُ الْكُتُبِ الَّذِي بِالرَّيِّ ، دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ ، بَعْدَمَا أَحْرَقَهُ السُّلْطَانُ مَحْمُودُ ابْنُ سُبُكْتِكِينَ ، فَإِنِّي طَالَعْتُ هَذَا الْبَيْتَ ، فَوَجَدْتُ فِهْرِسْتَ[1] تِلْكَ الْكُتُبِ عَشْرَ مُجَلَّدَاتٍ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ مَحْمُودًا لَمَّا وَرَدَ إِلَى الرَّيِّ ، قِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ ، كُتُبُ الرَّوَافِضِ ، وَأَهْلِ الْبِدَعِ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا كُلَّ مَا كَانَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَأَمَرَ بِحَرْقِهِ .

(١) هذا اللفظ أعجمى ، وعرب إلى فهرس ، قال فى القاموس : الفهرس : كجعفر وزبرج : الكتاب الذى تجمع فيه الكتب ، وفهرس كتابه يريد ما سبق

وَلِلصَّاحِبِ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ الْمُحِيطِ بِاللُّغَةِ عَشْرَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ دِيوَانِ رَسَائِلِهِ عَشْرَةُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ الْكَافِي رَسَائِلُ ، كِتَابُ الزَّيْدِيَّةِ ، كِتَابُ الْأَعْيَادِ وَفَضَائِلِ النَّوْرُوزِ ، كِتَابٌ فِي تَفْضِيلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . وَتَصْحِيحِ إِمَامَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، كِتَابُ الْوُزَرَاءِ لَطِيفٌ ، كِتَابُ عُنْوَانِ الْمَعَارِفِ فِي التَّارِيخِ ، كِتَابُ الْكَشْفِ عَنْ مَسَاوِي الْمُتَنَبِّيء ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ ، كِتَابُ الْعَرُوضِ الْكَافِي ، كِتَابُ جَوْهَرَةِ الْجَمْهَرَةِ ، كِتَابُ نَهْجِ السَّبِيلِ فِي الْأُصُولِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ أَبِي الْعَيْنَاءِ ، كِتَابُ نَقْضِ الْعَرُوضِ ، كِتَابُ تَارِيخِ الْمُلْكِ وَاخْتِلَافِ الدُّوَلِ ، كِتَابُ الزَّيْدَيْنِ ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ .

وَقَالَ بَعْضُ وَلَدِ الْمُنَجِّمِ بَعْدَ وَفَاةِ الصَّاحِبِ ، وَقَدِ اسْتُوزِرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الضَّبِّيُّ ، وَلُقِّبَ بِالرَّئِيسِ ، وَضُمَّ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ ، وَلُقِّبَ بِالْجَلِيلِ :

وَاللهِ وَاللهِ لَا أَفلَحتُمُ أَبَدًا

بَعْدَ الْوَزِيرِ ابْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبَّاسِ

إِنْ جَاءَ مِنْكُمْ جَلِيلٌ فَاقْطَعُوا أَجَلِي

أَوْ جَاءَ مِنْكُمْ رَئِيسٌ فَاقْطَعُوا رَاسِي

وَمِنْ شِعْرِ الصَّاحِبِ :

وَشَادِنٍ (١) جَمَالُهُ يَقْصُرُ عَنْهُ صِفَتِي

أَهْوَى (٢) لِتَقْبِيلِ يَدِي فَقُلْتُ : لَا بَلْ شَفَتِي

وَلَهُ :

قَالَ لِي إِنَّ رَقِيبِي سَيِّءُ الْخُلْقِ فَدَارِهْ

قُلْتُ: دَعْنِي وَجهُكَ الْجَنْـ ـنَةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهْ

وَلَهُ أَيْضاً :

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ سَحَاباً

مِنْ الْهِجْرَانِ مُقْبِلَةً إِلَيْنَا

---

(١) الشادن : الغزال ويريد جميلا

(٢) أهوى : مال

وَقَدْ سَحَّتْ عَزَالِيهَا بِسَكْبٍ
حَوَالَيْنَا الصُّدُودُ وَلَا عَلَيْنَا (١)

حَدَّثَ الْوَزِيرُ أَبُو الْعَلَاءِ بْنُ حَسْوَلٍ قَالَ : كَانَ دِينَارٌ الْمَجُوسِيُّ صَدْراً فِي دِيوَانِ الرَّيِّ ، وَكَانَ مُدَنَّراً (٢) مُدَرْهَماً مُمَوَّلًا ، فَكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى الصَّاحِبِ :

لِمْ لَا يُفَرِّقُ فِي دِيوَانِ عَسْكَرِهِ
كَافِي كُفَاةِ الْوَرَى دِينَارَ دِينَارِ
فَإِنَّ أَيْسَرَ مَافِي قَطْعِ شَأْفَتِهِ (٣)
تَطْهِيرُ دِيوَانِهِ مِنْ عَابِدِي النَّارِ

فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَصَادَرَهُ (٤) ، وَاسْتَوْفَى مِنْهُ مَالًا عَظِيماً ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتَانِ .

(١) العزالى جمع عزلاء : مصب الماء من الراوية ، ومفردها عزلاء ، ووزن جمعها فعالى — حوالينا ظرف مكانى على صورة المثنى ، فيعرب منصوباً بالياء لذلك ويقال فى مكانه حولنا وأحوالنا ، وفى الاستعمال اللهم حوالينا ولا علينا ، يراد به اجعل الخير حولنا ، ولا تجعل الشر علينا

(٢) أى كثير الدنانير ، ومثله مدرهم ومموّل ، أى كثرت أمواله ودراهمه

(٣) الشأفة : قرحه تخرج فى أسفل القدم ، فتكوى فتذهب ، يقال فى المثل استأصل الله شأفته ، أى أذهبه الله ، كما أذهب تلك القرحة بالكى

(٤) صادره : اقتضى كل ما عنده وقبضه

وَحَدَّثَ ابنُ بَابَكَ قَالَ : سَمِعْتُ الصَّاحِبَ يَقُولُ : مُدِحْتُ وَالعِلْمُ عِنْدَ اللهِ ، بِمِائَةِ أَلْفِ قَصِيدَةٍ شِعْرٍ ، عَرَبِيَّةٍ وَفَارِسِيَّةٍ ، وَقَدْ أَنْفَقْتُ أَمْوَالِي عَلَى الشُّعَرَاءِ وَالْأُدَبَاءِ ، وَالزُّوَّارِ وَالْقُصَّادِ ، مَا سُرِرْتُ بِشِعْرٍ ، وَلَا سَرَّنِي شَاعِرٌ ، كَمَا سَرَّنِي أَبُو سَعِيدٍ الرُّسْتُمِيُّ الْأَصْفَهَانِيُّ بِقَوْلِهِ :

وَرِثَ الْوَزَارَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
مَرْفُوعَةَ الْإِسْنَادِ بِالْإِسْنَادِ
يَرْوِى عَنِ الْعَبَّاسِ عَبَّادٌ وَزَا
رَتَهُ وَإِسْمَاعِيلُ عَنْ عَبَّادِ

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ ، عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَسَنِيُّ ، خَتَنُ الصَّاحِبِ يَرْثِيهِ :

أَلَا إِنَّهَا يُمْنَى الْمَكَارِمِ شَلَّتِ
وَنَفْسُ الْمَعَالِي إِثْرَ فَقْدِكَ سُلَّتِ
حَرَامٌ عَلَى الظَّلْمَاءِ إِنْ هِيَ قُوِّضَتْ[(1)]
وَحُجْرٌ[(2)] عَلَى شَمْسِ الضُّحَى إِنْ تَجَلَّتِ

---

(١) يريد أن الظلماء ، يحرم عليها أن تقوض خيامها ، بعد وفاة الصاحب ، فلترد بالظلماء ما نريد من ظلماء حقيقية ، أو من شبه كالظلماء ، فقد زال الذى يأتى عليها من أساسها « عبد الخالق » (٢) حرام على الشمس أن تتجلى

لِتَبْكِ عَلَى كَافِى الْكُفَاةِ مَآثِرٌ
تُبَاهِى النُّجُومَ الزُّهْرَ فِى حَيْثُ حَلَّتِ
لَقَدْ فَدَحَتْ(١) فِيهِ الرَّزَايَا وَأَوْجَعَتْ
كَمَا عَظُمَتْ فِيهِ الْعَطَايَا وَجَلَّتِ
أَلَا هَلْ أَتَى الْآفَاقَ أَيَّةُ غُمَّةٍ
أَطَلَّتْ، وَنُعْمَى أَىُّ دَهْرٍ تَوَلَّتِ
وَهَلْ تَعْلَمُ الْغَبْرَاءُ مَاذَا تَضَمَّنَتْ
وَأَعْوَادُ ذَاكَ النَّعْشِ مَاذَا أَقَلَّتِ؟
فَلَا أَبْصَرَتْ عَيْنِى تَهَلُّلَ بَارِقٍ
يُحَاكِى نَدَى كَفَّيْكَ إِلَّا اسْتَهَلَّتِ(٢)
وَلَوْ قُبِلَتْ أَرْوَاحُنَا عَنْكَ فِدْيَةً
لَجُدْنَا بِهَا عِنْدَ الْفِدَاءِ وَقَلَّتِ

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: كَانَ ابْنُ عَبَّادٍ يَأْتِى بِالسَّجْعِ فِى أَنْرِ كَلَامِهِ، مَعَ رَوِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَأَنْفَاسٍ مَدِيدَةٍ، وَحَشْرَجَةٍ

---

(١) يقال: فدحه الدين: أثقله، وأمر فادح: اذا هال الانسان وبهظه لعظمه
(٢) استهلت العين بالدمع: «فاضت»

صَدْرٍ ، وَانْتِفَاخِ مَنْخِرَيْهِ[(١)] ، وَالْتِوَاءِ شِدْقَيْهِ ، وَتَعْوِيجِ عُنُقِهِ ، وَاللَّعِبِ بِشَارِبِهِ وَعَنْفَقَتِهِ ، فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُقَرِّرُ الْمَسَائِلَ عَلَى هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ الْعَجِيبَةِ ، وَالْبَيَانِ الشَّافِي ، لَرَأَيْتَ عَجَباً مِنَ الْعَجَائِبِ ، وَضَرْباً مِنَ الْغَرَائِبِ .

وَقَالَ لِي يَوْماً الشَّابِيُّ[(٢)] وَقَدْ خَرَجْنَا مِنْ مَجْلِسِ الصَّاحِبِ : كَيْفَ رَأَيْتَ مَوْلَانَا الصَّاحِبَ الْيَوْمَ مَعَ هَـذَا التَّغْرِيرِ ، وَإِظْهَارِهِ الْبَلَاغَةَ الْحَسَنَةَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَقُلْتُ : السُّكُوتُ عَنْ مِثْلِهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ، وَأَحْرَى الْخَالَتَيْنِ ، وَلَـكِنْ نَعُوذُ بِاللهِ مِمَّنْ يُزَيِّنُ لَهُ الشَّيْطَانُ عَمَلَهُ ، وَيُزَخْرِفُ لَهُ قَوْلَهُ . قَالَ لِي : كَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ هَـذَا الرَّجُلُ إِلَّا غَيْظًا

(١) يخيل إلى ، بل ربما كان يقينا : أن أبا حيان ، يريد ألا يترك صغيرة ولا كبيرة من عيب او كبر او خيلاء ، إلا ألصقها بابن عباد ، ولقد سبق أن رأيت من حوشى الكلام وبذىء الالفاظ ، وقذارة المعانى ، ما لا قبل به لامرىء ، ولو أن الصاحب مثل به الف مرة ، لكان قليلا فيما جاء به عنه ، والعجب انه تفرد بهذا ، نعم انه يروى عن غيره ، ولكنها الرواية التى ربما كانت غير حق ، فهى تسهل على من يريد أن يعيب غيره . « عبد الخالق »

(٢) كانت فى الاصل الشاباشى ، ولعله الشابوى أو الشاباوى أو الشابى على قاعدة النسب إلى الرباعى الساكن الثانى ، نسبة إلى شاباة : قرية من قرى مرو ، منها على بن إبراهيم ، بن عبد الرحمن الشاباوى . أو الشابى : ولو أنها نسب إلى شابنة ، من قرى مرو أيضاً ، بينهما فرسخان . لكانت النسبة شابنى .

لِأَكْبَادِ الْأَحْرَارِ، وَشِفَاءٌ لِسَقَمِ الْأَنْذَالِ، - لَحَى اللهُ دَهْرًا آلَ بِنَا إِلَيْهِ - ، وَأَنْزَلَنَا عَلَيْهِ، وَأَحْوَجَنَا إِلَى مُقَاسَاتِهِ، وَأَلْجَأَنَا إِلَى مُجَالَسَتِهِ، وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

يَامَنْ تَبَرَّمَتِ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ
كَمَا تَبَرَّمَتِ الْأَجْفَانُ بِالرَّمَدِ
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُجْتَازًا فَأَحْسَبُهُ
مِنْ بُغْضِ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كَبِدِي
لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ جُزْءٌ مِنْ سَمَاجَتِهِ
لَمْ يُقْدِمِ الْمَوْتُ إِشْفَاقًا(١) عَلَى أَحَدِ

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: قَالَ لِي الشَّابِيُّ: أَهْدَى ابْنُ عَبَّادٍ إِلَى صَاحِبِهِ وَقْتَ وُرُودِهِمَا إِلَى الْأَهْوَازِ دِينَارًا مِنْ ضَرْبِهِ، وَزْنُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ! وَكِتَابَتُهُ:

وَأَحْمَرَ يَحْكِي الشَّمْسَ شَكْلًا وَصُورَةً
فَأَسْمَاؤُهُ(٢) مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَاتِهِ
فَإِنْ قِيلَ دِينَارٌ فَقَدْ صَدَقَ اسْمُهُ
وَإِنْ قِيلَ أَلْفٌ كَانَ بَعْضَ سِمَاتِهِ(٣)

---

(١) أى خوفاً (٢) كانت هذه الكلمة فى الأصل: «فأوصافه» ولكن المعنى يقتضى أن تكون كالذى ذكرناه. (٣) السمة: العلامة

بَدِيعٌ فَلَمْ يُطْبَعْ عَلَى الدَّهْرِ مِثْلُهُ
وَلَا ضُرِبَتْ أَضْرَابُهُ لِسَرَاتِهِ (١)
وَصَارَ إِلَى شَاهَانشَاهَ انْتِسَابُهُ
عَلَى أَنَّهُ مُسْتَصْغَرٌ لِعُفَاتِهِ (٢)
تَفَاءَلْتُ أَنْ يَبْقَى سِنِينَ كَوَزْنِهِ
لِتَسْتَمْتِعَ الدُّنْيَا بِطُولِ حَيَاتِهِ
تَأَنَّقَ فِيهِ عَبْدُهُ وَابْنُ عَبْدِهِ
وَغَرْسُ أَيَادِيهِ وَكَافِي كُفَاتِهِ

فَقَالَ: أَرَأَيْتَ أَكْذَبَ مِنْهُ حَيْثُ قَالَ؟: « فَلَمْ يُطْبَعْ عَلَى الدَّهْرِ مِثْلُهُ » مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مَنْ خَدَمَ مَلِكًا بِأَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ قَالَ: « وَكَافِي كُفَاتِهِ » وَاللهِ لَوْ كَتَبَتِ امْرَأَةٌ بِمِثْلِهِ إِلَى زَوْجِهَا، لَكَانَ سَمِجاً قَبِيحاً، فَكَيْفَ إِلَى نَخْرِ الدَّوْلَةِ !! مَا أَحْسَنَ مَا كَفَاهُ أَمْرَ أَبِي الْعَلَاءِ النَّصْرَانِيِّ

(١) جمع سرى ، وسرو من باب ظرف : صار سريا

(٢) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد « عاف »

حِينَ هَزَمَهُ بِعَدَدٍ قَلِيلٍ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي جَيْشٍ عَرَمْرَمٍ ثَقِيلٍ ، وَلَكِنَّ الدُّنْيَا حَمْقَاءُ خَرْقَاءُ ، لَا تَمِيلُ إِلَّا إِلَى مِثْلِهَا ، لَوْ كَتَبَ الْمُطَهَّرُ أَوْ نَصْرُ بْنُ هَارُونَ ، أَوْ أَحَدُ وُزَرَاءِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، لَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَالنِّفْطِ ، وَمِنْ كِتَابِ الرُّوزْنَامَجَةِ : قَالَ الصَّاحِبُ : مَا زَالَ أَحْدَاثُ بَغْدَادَ يَذْكُرُونَنِي بِابْنِ شَمْعُونَ الْمُتَصَوِّفِ ، وَكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ فِي مَكَانِ الشِّبْلِيِّ ، فَجَمَّعْتُ يَوْمًا[1] فِي الْمَدِينَةِ ، وَعَلَيَّ طَيْلَسَانٌ وَمُصْمَتَةٌ[2] ، وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ لَبِسَ فُوطَةَ قَصَبٍ ، وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّ سَاجٍ ، بِوَجْهٍ حَسَنٍ ، وَلَفْظٍ عَذْبٍ ، فَرَأَيْتُهُ يَقْطَعُ مَسَائِلَهُ بِهَوَسٍ يُطِيلُهُ وَيُسْهِبُ فِيهِ ، فَقُلْتُ : لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَسْأَلَهُ عَمَّا أَقْطَعُ[3] بِهِ ، وَابْتَدَرْتُ فَقُلْتُ : يَا شَيْخُ ، مَا تَقُولُ فِي قَدْ سِيكُونِيَّاتِ الْعِلْمِ ، إِذَا وَقَعَتْ قَبْلَ التَّوَهُّمِ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَسْمَعْ بِهِ ، فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : لَمْ أُؤَخِّرْ إِجَابَتَكَ عَجْزًا عَنْ مَسْأَلَتِكَ

---

(١) يقال : جمع القوم « تجميعا » : شهدوا الجمعة وأدوا الصلاة فيها

(٢) يقال : ثياب مصمتة : لا يخالط لونها لون ، وكأنى بهذا ما يطلق عليه « ساده » بالعامية ، عند التجار ، اذا أردت أن تشترى منهم شيئاً « عبد الخالق »

(٣) يريد ما أنا متحقق منه ، وما أنا بات فيه رأيي

بَلْ لِأُعْطِشَكَ إِلَى الْجَوَابِ ، وَأَخَذَ فِي ضَرْبٍ مِنَ الْهَذَيَانِ ، فَلَمَّا سَكَتَ قُلْتُ : هَذَا بَعْدَ التَّوَهُّمِ ، وَإِنَّمَا سَأَلْتُكَ قَبْلَهُ إِلَى أَنْ ضَجِرَ ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ .

قَرَأْتُ بِمِصْرَ فِي نُسْخَةٍ بِالْيَتِيمَةِ لِلثَّعَالِبِيِّ ، عَلَيْهَا خَطُّ يَعْقُوبَ بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ مُحَمَّدٍ بِالْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ ، يَرْوِيهَا عَنْ مُؤَلِّفِهَا الثَّعَالِبِيِّ ، فَوَجَدْتُ فِيهَا زَوَائِدَ ، لَا أَعْرِفُهَا فِي النُّسَخِ الْمَشْهُورَةِ بِأَيْدِي النَّاسِ ، مِنْهَا :

حَدَّثَنِي عَوْفُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، الْهَمَذَانِيُّ التَّمِيمِيُّ قَالَ : كُنْتُ يَوْماً فِي خِزَانَةِ الْخِلَعِ لِلصَّاحِبِ ، فَرَأَيْتُ فِي ثَبْتِ[1] الْحُسْبَانَاتِ لِكَاتِبِهَا - وَكَانَ صَدِيقِي - مَبْلَغَ عَمَائِمِ الْخَزِّ ، الَّتِي صَارَتْ فِي تِلْكَ الشَّتْوَةِ ، فِي خِلَعِ الْعَلَوِيِّينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالشُّعَرَاءِ ، سِوَى مَا صَارَ[2] فِيهَا فِي خِلَعِ الْخَدَمِ وَالْحَاشِيَةِ ، ثَمَانَمِائَةٍ وَعِشْرِينَ[3] ، قَالَ : وَكَانَ يُعْجِبُهُ الْخَزُّ وَيَأْمُرُ بِالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ فِي دَارِهِ ، فَنَظَرَ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّعْفَرَانِيُّ يَوْماً ، إِلَى جَمِيعِ

(١) أى فى سجل

(٢) كانت فى الأصل « صارفها » ويريد ما كتب فى الحسابات « عبد الخالق »

(٣) كانت فى الأصل : « وعشرون » وهو تحريف من الناقل

مَا فِيهَا مِنَ الْخَدَمِ وَالْحَاشِيَةِ ، عَلَيْهِمُ الْخُزُوزُ الْمُلَوَّنَةُ الْفَاخِرَةُ ، فَاعْتَزَلَ نَاحِيَةً وَأَخَذَ يَكْتُبُ شَيْئًا ، فَسَأَلَ الصَّاحِبُ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ فِي مَجْلِسِ كَذَا يَكْتُبُ ، فَقَالَ : عَلَيَّ بِهِ ، فَاسْتَمْهَلَ الزَّعْفَرَانِيُّ رَيْثَمَا يُتِمُّ مَكْتُوبَهُ ، فَأَعْجَلَهُ الصَّاحِبُ ، وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ مَا فِي يَدِهِ مِنَ الدَّرْجِ (١) ، فَقَامَ الزَّعْفَرَانِيُّ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : — أَيَّدَ اللهُ الصَّاحِبَ — :

إِسْمَعْهُ مِمَّنْ قَالَهُ تَزْدَدْ بِهِ
عَجَبًا فَحُسْنُ الْوَرْدِ فِي أَغْصَانِهِ

فَقَالَ : هَاتِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَأَنْشَدَهُ أَبْيَاتًا مِنْهَا :

سِوَاكَ يَعُدُّ الْغِنَى مَا اقْتَنَى
وَيَأْمُرُهُ الْحِرْصُ أَنْ يَخْزِنَا
وَأَنْتَ ابْنُ عَبَّادٍ الْمُرْتَجَى
تَعُدُّ نَوَالَكَ نَيْلَ الْمُنَى

---

(١) الدرج بسكون الراء وفتحها : الذى يكتب فيه ، ومنه قولهم : أنفذته فى درج كتابى

وَخَيْرُكَ مِنْ بَاسِطٍ كَفَّهُ
وَمِمَّنْ ثَنَاهَا قَرِيبُ الْجَنَى
غَمَرْتَ الْوَرَى بِصُنُوفِ النَّدَى
فَأَصْغَرُ مَا مَلَكُوهُ الْغِنَى
وَغَادَرْتَ أَشْعَرَهُمْ مُفْحَمًا
وَأَشْكَرَهُمْ عَاجِزًا أَلْكَنَا
أَيَا مَنْ عَطَايَاهُ تُهْدِي الْغِنَى
إِلَى رَاحَتَىْ مَنْ نَأَى أَوْ دَنَا
كَسَوْتَ الْمُقِيمِينَ وَالزَّائِرِيـ
نَ كُساً لَمْ نَخَلْ مِثْلَهَا مُمْكِنَا
وَحَاشِيَةُ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي
ضُرُوبٍ مِنَ الْخَزِّ إِلَّا أَنَا

فَقَالَ الصَّاحِبُ : قَرَأْتُ فِي أَخْبَارِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ : احْمِلْنِي ، فَأَمَرَ لَهُ بِفَرَسٍ وَبَغْلَةٍ وَحِمَارٍ

وَنَاقَةٍ وَجَارِيَةٍ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ مَرْكُوبًا غَيْرَهَا لَحَمَلْتُكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ مِنَ الْخَزِّ بِجُبَّةٍ وَقَمِيصٍ ، وَسَرَاوِيلَ وَعِمَامَةٍ ، وَمِنْدِيلٍ وَمُطْرَفٍ (١) ، وَرِدَاءٍ وَجَوْرَبٍ ، وَلَوْ عَلِمْنَا لِبَاسًا آخَرَ يُتَّخَذُ مِنَ الْخَزِّ لَأَعْطَيْنَاكَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ إِلَى الْخِزَانَةِ ، وَصُيِّرَتْ تِلْكَ الْخِلَعُ عَلَيْهِ ، وَسُلِّمَ مَا فَضَلَ عَنْ لُبْسِهِ فِي الْوَقْتِ إِلَى غُلَامِهِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ الْخَامِدِيُّ قَالَ : عَهْدِي بِأَبِي مُحَمَّدٍ مَاثِلًا بَيْنَ يَدَيِ الصَّاحِبِ ، يُنْشِدُهُ قَصِيدَةً أَوَّلُهَا :

هَذَا فُؤَادُكَ نُهْبَى بَيْنَ أَهْوَاءِ
وَذَاكَ رَأْيُكَ شُورَى بَيْنَ آرَاءِ
هَوَاكَ بَيْنَ الْعُيُونِ النُّجْلِ مُقْتَسَمٌ
دَاءٌ لَعَمْرُكَ مَا أَبْلَاهُ مِنْ دَاءِ

(١) المطرف بضم الميم وكسرها واحد المطارف : وهي أردية من خز مربعة لها أعلام

لَا تَسْتَقِرُّ بِأَرْضٍ أَوْ تَسِيرَ إِلَى
أُخْرَى بِشَخْصٍ قَرِيبٍ عَزْمُهُ نَاءِ
يَوْماً بِجُزْوَى وَيَوْماً بِالْعَقِيقِ وَيَوْ
مَاً بِالْعُذَيْبِ وَيَوْماً بِالْخُلَيْصَاءِ (١)
وَتَارَةً تَنْتَحِي نَجْداً وَآوِنَةً
شِعْبَ الْعَقِيقِ وَطَوْراً قَصْرَ تَيْمَاءِ

قَالَ : فَرَأَيْتُ الصَّاحِبَ مُتَقَبِّلاً عَلَيْهِ بِمَجَامِعِهِ ، حَسَنَ الْإِصْغَاءِ إِلَى إِنْشَادِهِ ، مُسْتَعِيداً لِأَكْثَرِ أَبْيَاتِهِ ، مُظْهِراً مِنَ الْإِعْجَابِ بِهِ وَالِاهْتِزَازِ لَهُ ، مَا يُعْجِبُ الْحَاضِرِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

أُدْعَى بِأَسْمَاءَ نَبْزاً (٢) فِي قَبَائِلِهَا
كَأَنَّ أَسْمَاءَ أَضْحَتْ بَعْضَ أَسْمَائِي

---

(١) وقد ورد هذا البيت برواية أخرى ، وهي :

يوماً بجزوى ويوماً بالعقيق وبالـ عذيب يوماً ويوماً بالخليصاء

وجزوى ، والعقيق ، والعذيب ، والخليصاء ، اسماء أماكن ، وكذا باقي البيت بعدها

(٢) النبز بفتحتين : اللقب والجمع الأنباز . ونبزه : أي لقبه ، وتنابزوا بالألقاب : لقب بعضهم بعضاً بها ، ومنه قوله تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب »

أَطَاعَتْ شِعْرِى فَأَلْقَتْ شِعْرَهَا طَرَبًا

فَأَلْفَا بَيْنَ إِصْبَاحٍ وَإِمْسَاء

زَحَفَ عَنْ دَسْتِهِ[1] طَرَبًا لَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ فِى الْمَدْحِ :

لَوْ أَنَّ سَحْبَانَ بَارَاهُ لَأَسْحَبَهُ

عَلَى خَطَابَتِهِ أَذْيَالَ فَأْفَاء[2]

أَرَى الْأَقَالِيمَ قَدْ أَلْقَتْ مَقَالِدَهَا

إِلَيْهِ مُسْتَبِقَاتٍ أَىَّ إِلْقَاء

فَسَاسَ سَبْعَتَهَا مِنْهُ بِأَرْبَعَةٍ :

أَمْرٍ وَنَهْىٍ وَتَثْبِيتٍ وَإِمْضَاء

كَذَاكَ تَوْحِيدُهُ أَلْوَى بِأَرْبَعَةٍ :

كُفْرٍ وَجَبْرٍ وَتَشْبِيهٍ وَإِرْجَاء

فَجَعَلَ يُحَرِّكُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ : أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ ، فَلَمَّا أَنْهَى الْقَصِيدَةَ ، أَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَخِلَعٍ .

(١) الدست : صدر البيت . ومنه قوله : فزحف له عن دسته

(٢) الفأفاء : الذى لا يقدر على إخراج الكلمة من لسانه إلا بجهد .

قَالَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ : كَتَبَ عَامِلٌ رُقْعَةً إِلَى الصَّاحِبِ فِي الْتِمَاسِ شُغْلٍ ، وَفِي الرُّقْعَةِ : إِنْ رَأَى مَوْلَانَا أَنْ يَأْمُرَ بِإِشْغَالِي بِبَعْضِ أَشْغَالِهِ فَعَلَ ، فَوَقَّعَ الصَّاحِبُ تَحْتَهَا : مَنْ كَتَبَ لِإِشْغَالِي لَا يَصْلُحُ لِأَشْغَالِي (١) .

وَحَدَّثَ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ : مَا رُؤِيَ أَحَدٌ وُفِّيَ مِنَ الْإِعْظَامِ وَالْإِكْبَارِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، مَا وُفِّيَهُ الصَّاحِبُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا جُهِّزَ وَوُضِعَ فِي تَابُوتِهِ ، وَأُخْرِجَ عَلَى أَكْتَافِ حَامِلِيهِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، قَامَ النَّاسُ بِأَجْمَعِهِمْ ، فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَرَّقُوا عِنْدَ ذَلِكَ ثِيَابَهُمْ ، وَلَطَمُوا وُجُوهَهُمْ ، وَبَلَغُوا فِي الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ عَلَيْهِ جُهْدَهُمْ ، وَكَانَ يَلْبَسُ الْقَبَاءَ فِي حَيَاتِهِ تَخَفُّفاً (٢) بِالْوِزَارَةِ ، وَانْتِسَاباً مَعَهَا إِلَى الْجُنْدِيَّةِ . وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ الْمُقَدَّرِ قَالَ : كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ الشَّاعِرُ ، مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، وَأَعْيَانِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : لَوْ كَاثَرْتَ الصَّاحِبَ

---

(١) يريد أن كسر الهمزة خطأ ، وكان يريد أن يقول شغلى ، وفي القاموس يقول : أن أشغل لغة جيدة : ، أو قليلة ، أو رديئة « عبد الخالق »

(٢) أي استخفافاً

أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ عبَّاسٍ ، مَعَ فَضْلِكَ وَكَثْرَةِ عِلْمِكَ ، وَجَوْدَةِ شِعْرِكَ ، فَقُلْتُ : أَفْحَمَتْنِي كَثْرَةُ مَحَاسِنِهِ ، فَلَمْ أَدْرِ بِمَ أَبْدَأُ مِنْهَا ؟ وَخِفْتُ أَنْ أُقَصِّرَ ، وَقَدْ ظُنَّ بِيَ الاِسْتِيفَاءُ لَهَا ، فَقَالَ : أَجِزْ مَا أَقُولُهُ ، قلتُ قُلْ : فَقَالَ :

ثَوَى [1] الْجُودُ وَالْكَافِي مَعًا فِي حُفَيْرَةٍ

فَقُلْتُ : لِيَأْنَسَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِأَخِيهِ

فَقَالَ : هُمَا اصْطَحَبَا حَيَّيْنِ ثُمَّ تَعَانَقَا

فَقُلْتُ : ضَجِيعَيْنِ فِي لَحْدٍ بِبَابِ ذَرِيهِ

فَقَالَ : إِذَا ارْتَحَلَ الثَّاوُونَ [2] عَنْ مُسْتَقَرِّهِمْ

فَقُلْتُ : أَقَامَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ

« بَابُ ذَرِيهِ : الْمَحَلَّةُ الَّتِي فِيهَا تُرْبَتُهُ ، أَوْ مَا يَسْتَقْبِلُكَ مِنْ أَصْفَهَانَ »

وَحَدَّثَ فِي كِتَابِ الرُّوزْنَامَجَةِ ، وَانْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، وَهُوَ شَيْخُ الْبَلَدِ ، وَفَرْدُ الْأَدَبِ ، وَحَسَنُ التَّصَرُّفِ ، وَوَافِرُ الْحَظِّ مِنْ عُلُومِ الْأَوَائِلِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَقَعَدْتُ

(١) أي غاب واستتر (٢) أي المقيمون

إِلَيْهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَقْرَأُ الْجَمْهَرَةَ ، فَقَرَأَ : أَلْمَقْتُ ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا هُوَ لَمَقْتُ ، فَدَافَعَنِي الشَّيْخُ سَاعَةً ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْأَصْلِ ، فَوَجَدَ حِكَايَتِي صَحِيحَةً ، وَاسْتَمَرَّ الْقَارِئُ حَتَّى أَنْشَدَ وَقَدِ اسْتَشْهَدَ :

رَسْمُ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهْ
كِدْتُ أَقْضِي الْغَدَاةَ مِنْ جَلَلِهْ

فَقُلْتُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، هَذَا لَا يَجُوزُ ، وَالْمِصْرَاعَانِ عَلَى هَذَا النَّشِيدِ ، يَخْرُجَانِ مِنْ بَحْرَيْنِ ، لِأَنَّ :

«رَسْمُ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهْ (١) »
فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِلُنْ فَعِلُنْ
« كِدْتُ أُقَضِّي الْغَدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ »
مُفْتَعِلُنْ مَفْعُلَاتُ مُفْتَعِلُنْ

فَذَاكَ مِنَ الْخَفِيفِ ، وَهَذَا مِنَ الْمُنْسَرِحِ . فَقَالَ : لِمَ لَا تَقُولُ : الْجَمِيعُ مِنَ الْمُنْسَرِحِ ؟ وَالْمِصْرَاعُ الْأَوَّلُ مَخْزُومٌ . فَقُلْتُ : لَا يَدْخُلُ الْخَزْمُ هَذَا الْبَحْرَ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُهُ ،

(١) الباقي من رسوم الديار بعد دروسها

مُسْتَفْعِلُنْ مَفَاعِلُنْ ، هَـذِهِ مُزَاحَفَةٌ عَنْهُ ، وَإِذَا حَـذَفْنَا مُتَحَرِّكًا ، بَقِينَا سَاكِنًا ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ابْتِدَاءٌ بِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ :

كِـدْتُ أَقْضِي الْغَدَاةَ مِنْ جَلَلِهْ[1]

بِتَخْفِيفِ الضَّادِ فَأَمَرَ بِتَغْيِيرِهِ ، وَرَفَعَنِي إِلَى جَنْبِهِ ، وَابْتَدَأَ فَقُرِئَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِ الْمُقْتَضَبِ ، بَابُ مَا يَجْرِي وَمَا لَا يَجْرِي ، إِلَى أَنْ ذَكَرَ سَحَرَ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ إِذَا كَانَ لِسَحَرٍ بِعَيْنِهِ ، لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنِ الْأَوَّلِ ، فَقُلْتُ : مَا عَلَامَةُ الْعَدْلِ فِيهِ ؟ فَقَالَ : إِنَّا قُلْنَا السَّحَرُ ، ثُمَّ قُلْنَا : سَحَرُ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الثَّانِيَ مَعْدُولٌ عَنِ الْأَوَّلِ . قُلْتُ : لَوْ كَانَ كَذَلِكَ ، لَوَجَبَ أَنْ تَطَّرِدَ الْعِلَّةُ فِي عَتَمَةَ ، لِأَنَّكَ تَقُولُ : الْعَتَمَةُ ، ثُمَّ تَقُولُ عَتَمَةَ[2] ، فَضَجِرَ وَاحْتَدَّ ، وَصَاحَ وَازْبَدَّ[3] . وَادَّعَيْتُ أَنَّهُ نَاقِصٌ ، وَالْتَمَسَ التَّحَاكُمَ ، فَكَتَبْتُ رِسَالَةً أَخَذْتُ فِيهَا خُطُوطَ أَهْلِ النَّظَرِ ، وَقَدْ

(١) وبعد فالبيت من الخفيف على ما روى أخيرا ، دخل فاعلاتن من الحذف والخبن ، فصار فعلن ، والذى روى أقضى بتشديد الضاد مخطئ . « عبد الخالق »

(٢) ومنع عتمة من الصرف ،رأى لبعض النحاة ، على أنها ممنوعة للعلمية والتأنيث ، ومثلها عشية : قال فى حاشية الصبان على شرح الاشمونى : هذا رأى ، ولكن الأفصح الصرف ، ولذا لم يذكرها بعض النحاة فى غير المنصرف .

(٣) أى تغير وعبس

أنفذتُ دَرَجَ[١] كتابي نُسْخَتها، وفيها خطُّ أبي عبدِ اللهِ بنِ رَذَامَر عَنْ مشايخِهِم، ورأيتُ الشيخَ بعدَ ذلكَ عزيزاً فاضلاً، متوسِّعاً عالماً، فعلقْتُ عليه، وأخذتُ عنه، وحصَّلْتُ تفسيرَهُ لكتابِ سيبويهِ، وقرأتُ صدْراً منهُ، وهناكَ أبو بكرِ ابنُ مقسمٍ، وما في أصحابِ ثعلبٍ أكثرُ درايةً، وما أصحُّ روايةً منهُ، وقد سمعتُ مجالسَهُ، وفيها غرائبُ ونكتٌ، ومحاسنُ وطُرَفٌ، من بينِ كلمةٍ نادرةٍ، ومسألةٍ غامضةٍ، وتفسيرِ بيتٍ مشكلٍ، وحلِّ عقدٍ معضلٍ، ولهُ قيامٌ بنحوِ الكوفيِّينَ وقراءاتِهم، ورواياتِهم ولغاتِهم. والقاضي أبو بكرِ ابنُ كاملٍ، بقيةُ الدُّنيا في علومٍ شتَّى، يعرفُ الفقهَ والشروطَ والحديثَ، وما ليسَ من حديثِنا، ويتوسَّعُ في النحوِ توسُّعاً مستحسناً، ولهُ في حفظِ الشِّعرِ بضاعةٌ واسعةٌ، وفي جودةِ التصنيفِ قوةٌ تامةٌ، ومن كبارِ رواةِ المبرِّدِ وثعلبٍ، والبحتريِّ وأبي العيناءِ، وغيرِهم[٢]. وقد سمعتُ قدْراً صالحاً ممَّا عندهُ، وكنتُ أحبُّ أنْ أسمعَ كلامَ أهلِ النظرِ

(١) أي طيه

(٢) كانت في الاصل: «وغيره»

بِالْعِرَاقِ ، لِمَا تَتَابَعَ فِي حِذْقِهِمْ مِنَ الْأَوْصَافِ . وَذَكَرَ أَبَا زَكَرِيَّاءَ يَحْيَي بْنَ عَدِيٍّ وَغَيْرَهُ ، وَمُنَاظَرَاتٍ جَرَتْ هُنَاكَ يَطُولُ شَرْحُهَا .

وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي نَصْرِ بْنِ خَوَاشَادَهْ أَنَّهُ قَالَ : مَا غَبِطْتُ أَحَدًا عَلَى مَنْزِلَةٍ ، كَمَا غَبِطْتُ الصَّاحِبَ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ عَبَّادٍ ، فَإِنَّا كُنَّا مُقِيمِينَ بِظَاهِرِ جُرْجَانَ ، مَعَ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ عَلَى حَرْبِ الْخُرَاسَانِيَّةِ ، فَدَخَلَ الصَّاحِبُ إِلَى دَارِهِ فِي الْبَلَدِ ، آخِرَ نَهَارِ يَوْمٍ لِحُضُورِ الْمَجْلِسِ الَّذِي يَعْقِدُهُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، وَتَحْتَهُ دَابَّةٌ رَهْوَاءُ [1] ، وَقَدْ أَرْسَلَ عِنَانَهُ ، فَرَأَيْتُ وُجُوهَ الدَّيْلَمِ وَأَكَابِرَهُمْ ، مِنْ أَوْلَادِ الْأُمَرَاءِ يَعْدُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، كَمَا تَعْدُو الرَّكَابِيَّةُ [2] ، وَكَانَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ : يُخَاطِبُ شَيْخَنَا خِطَابًا لَا يُشْرِكُ مَعَهُ فِيهِ أَحَدًا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُقِلُّ مُكَاتَبَتَهُ ، وَكَانَتِ الْكُتُبُ مِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، إِنَّمَا تَرِدُ عَلَى لِسَانِ كَاتِبِهِ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفَ .

(١) دابة رهواء : تسير سيرا على مهل

(٢) أي السائرون في الركب

وَلَمَّا وَجَدَتِ الشُّعَرَاءُ لِبَضَائِعِهَا عِنْدَ ابْنِ عَبَّادٍ نَفَاقًا وَسُوقًا .
أَهْدَوْا نَتَائِجَ أَفْكَارِهِمْ إِلَى حَضْرَتِهِ ، وَسَاقُوهَا نَحْوَهُ سَوْقًا .
فَذَكَرَ الثَّعَالِبِيُّ قَالَ : وَاحْتَفَّ بِهِ مِنْ نُجُومِ الْأَرْضِ ، وَأَفْرَادِ الْعَصْرِ ، وَأَبْنَاءِ الْفَضْلِ ، وَفُرْسَانِ الشِّعْرِ مَنْ يُرْبِي عَدَدُهُمْ عَلَى شُعَرَاءِ الرَّشِيدِ ، وَلَا يُقَصِّرُونَ عَنْهُمْ فِي الْأَخْذِ بِرِقَابِ الْقَوَافِي ، وَمِلْكِ رِقِّ الْمَعَانِي ، فَإِنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعْ بِبَابِ أَحَدٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ ، مِثْلُ مَا اجْتَمَعَ بِبَابِ الرَّشِيدِ ، مِنْ فُحُولِ الشُّعَرَاءِ الْمَذْكُورِينَ ، كَأَبِي[1] نُوَاسٍ ، وَأَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَالْعَتَّابِيِّ ، وَالنَّمَرِيِّ[2] ، وَمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَأَبِي الشِّيصِ ، وَابْنِ أَبِي حَفْصَةَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مُنَاذِرٍ

وَجَمَعَتْ حَضْرَةُ الصَّاحِبِ بِأَصْبَهَانَ ، وَالرَّيِّ ، وَجُرْجَانَ ، مِثْلَ أَبِي الْحُسَيْنِ السَّلَامِيِّ[3] ، وَأَبِي سَعِيدٍ الرُّسْتُمِيِّ ، وَأَبِي

(١) وكانت بالأصل فأبى — والصواب ما ذكرنا

(٢) قال في القاموس : النمر بن قاسط ، ككتف ، والنسبة بفتح الميم ، ومنه : اسق اخاك النمرى يصطبح ، وينسب الى النمر بن تولب ، ككتف ايضا اه « عبد الخالق »

(٣) ترك المؤلف كلا من أبي بكر الخوارزمي ، وأبي طالب المأموني ، وأبي الحسن البديهي ، والقاعدة الصرفية ان يقال : البدهي .

القَاسِمِ الزَّعفَرَانِيّ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ الضَّبِّيّ ، وَالْقَاضِي الْجُرْجَانِيّ وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْخَازِنِ ، وَأَبِي هَاشِمٍ الْعَلَوِيّ ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْجَوْهَرِيّ ، وَبَنِي الْمُنَجِّمِ ، وَابْنِ بَابَكَ ، وَابْنِ الْقَاشَانِيّ ، وَالْبَدِيعِ الْهَمَذَانِيّ ، وَإِسْمَاعِيلَ الشَّاشِيّ ، وَأَبِي الْعَلَاءِ الْأَسَدِيّ ، وَأَبِي الْحَسَنِ الْغُوَيْرِيّ ، وَأَبِي دُلَفٍ الْخَزْرَجِيّ ، وَأَبِي حَفْصٍ الشَّهْرَزُورِيّ ، وَأَبِي مَعْمَرٍ الْإِسْمَاعِيلِيّ ، وَأَبِي الْفَيَّاضِ الطَّبَرِيّ ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْنِي ذِكْرُهُ ، أَوْ ذَهَبَ عَنِّي اسْمُهُ ، وَمَدَحَهُ مُكَاتَبَةً الرَّضِيُّ الْمُوسَوِيُّ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِئُ ، وَابْنُ الْحَجَّاجِ ، وَابْنُ سُكَّرَةَ ، وَابْنُ نُبَاتَةَ ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَطُولُ ذِكْرُهُ .

وَكَتَبَ أَبُو حَفْصٍ الْأَصْفَهَانِيُّ الْوَرَّاقُ إِلَى الصَّاحِبِ رُقْعَةً نُسْخَتُهَا : لَوْلَا أَنَّ الذِّكْرَى – أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ – تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَزَّةَ الصَّمْصَامِ تُعِينُ الْمُصْلِتِينَ[1] لَمَا ذَكَّرْتُ ذَاكِراً ، وَلَا هَزَزْتُ مَاضِياً ،

(١) أصلت سيفه : سله

وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ تَسْتَعْجِلُ النُّجْحَ ، وَتَكُدُّ الْجَوَادَ السَّمْحَ ، وَحَالُ عَبْدِ مَوْلَانَا فِي الْحِنْطَةِ مُتَخَلِّفَةٌ ، وَجُرْذَانُ دَارِهِ عَنْهَا مُنْصَرِفَةٌ ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يَخْلِطَ عَبْدَهُ بِمَنْ أَخْصَبَ رَحْلَهُ (١) ، فَلَمْ يَشُدَّ رَحْلَهُ ، فَعَلَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَوَقَّعَ عَلَى رُقْعَتِهِ : أَحْسَنْتَ يَا أَبَا حَفْصٍ قَوْلًا ، وَسَنُحْسِنُ فِعْلًا ، فَبَشِّرْ جُرْذَانَ دَارِكَ بِالْخِصْبِ ، وَآمِنْهَا مِنَ الْجَدْبِ ، فَالْحِنْطَةُ تَأْتِيكَ فِي الْأُسْبُوعِ ، وَلَسْتَ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ النَّفَقَةِ بِمَمْنُوعٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى . قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الدُّلَفِيُّ الْمَصِّيصِيُّ قَالَ : انْتَحَلَ فُلَانٌ يَعْنِي بَعْضَ الْمُتَشَاعِرِينَ بِحَضْرَةِ الصَّاحِبِ شِعْرًا لَهُ ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَالَ : أَبْلِغُوهُ عَنِّي .

سَرَقْتَ شِعْرِي وَغَيْرِي يُضَامُ فِيهِ وَيُجْدَعْ (٢)
فَسَوْفَ أَجْزِيكَ صَفْعًا بِكَدِّ رَأْسٍ وَأَخْدَعْ (٣)
فَسَارِقُ الْمَالِ يُقْطَعْ وَسَارِقُ الشِّعْرِ يُصْفَعْ

(١) الرحل : المثوى ، والمنزل ، وما تستصحبه من الأثاث ، وقد يطلق على الوعاء والجراب ونحوهما . وقد جاء القرآن بذلك فى قوله تعالى « اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم » أى فى أوعيتهم ، وقيل فيه غير ذلك . (٢) يريد أن غيره اذا قال مثل شعره ، صعب عليه قوله ، ولا يصل اليه الا بالهوان وجدع الأنف .

(٣) الأخدع : عرق فى صفحة العنق ، والكد التمشيط ، ولكنه هنا تمشيط مؤلم

قَالَ : فَاتَّخَذَ اللَّيلَ جَمَلاً وَهَرَبَ مِنَ الرَّيِّ .

وَحَدَّثَ عَنْ عَوْنِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْهَمَذَانِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عِيسَى بْنَ الْمُنَجِّمِ يَقُولُ : سَمِعْتُ الصَّاحِبَ يَقُولُ : مَا اسْتَأْذَنْتُ عَلَى فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ الْأُنْسِ ، إِلَّا وَانْتَقَلَ إِلَى مَجْلِسِ الْحِشْمَةِ (١) فَأَذِنَ لِي فِيهِ ، وَمَا أَذْكُرُ أَنَّهُ تَبَذَّلَ بَيْنَ يَدَيَّ ، أَوْ مَازَحَنِي قَطُّ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَإِنَّهُ قَالَ لِي ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ : إِنَّ الْمَذْهَبَ مَذْهَبُ الِاعْتِزَالِ ، وَالنَّيْكَ نَيْكُ الرِّجَالِ ، فَأَظْهَرْتُ الْكَرَاهَةَ لِانْبِسَاطِهِ ، وَقُلْتُ بِنَا مِنَ الْجِدِّ ، مَا لَا نَفْرُغُ مَعَهُ لِلْهَزْلِ ، وَنَهَضْتُ كَالْمُغَاضِبِ ، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ مُرَاسَلَةً حَتَّى عَاوَدْتُ مَجْلِسَهُ ، وَلَمْ يَعُدْ بَعْدَهَا إِلَى مَا يَجْرِي مَجْرَى الْهَزْلِ وَالْمَرَحِ . وَلَمَّا أَتَتِ الصَّاحِبَ الْبِشَارَةُ بِسِبْطِهِ عَبَّادِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَسَنِيِّ (٢) ، « وَلَمْ يَكُنْ لِلصَّاحِبِ وَلَدٌ غَيْرُهَا (٣) » ، وَكَانَ قَدْ زَوَّجَهَا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْحَسَنِيِّ الْهَمَذَانِيِّ ، وَكَانَ شَاعِراً أَدِيباً بَلِيغاً ،

---

(١) أى الحياء

(٢) وكان على الحسنى هذا زوج ابنته

(٣) يعنى أم عباد

وَلَهُ شِعْرٌ مِنْهُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي دَارٍ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ بَنَاهَا :

دَارٌ عَلَتْ دَارَ الْمُلُوكِ بِهِمَّةٍ
كَعُلُوِّ صَاحِبِهَا عَلَى الأَمْلَاكِ
فَكَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا وَبَهَائِهَا
« بُنِيَتْ قَوَاعِدُهَا عَلَى الأَفْلَاكِ »

أَنْشَأَ الصَّاحِبُ يَقُولُ :

أَحْمَدُ اللهَ لِبُشْرَى أَقْبَلَتْ عِنْدَ الْعَشِيِّ
إِذْ حَبَانِي اللهُ سِبْطًا هُوَ سِبْطٌ لِلنَّبِيِّ
مَرْحَبًا نُمْتَ أَهْلًا بِغُلَامٍ هَاشِمِيِّ
نَبَوِيٍّ عَلَوِيٍّ حَسَنِيٍّ صَاحِبِيِّ

ثُمَّ قَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا
قَدْ صَارَ سِبْطُ رَسُولِ اللهِ لِي وَلَدًا

وَقَدْ ذَكَرَتْ ذَلِكَ الشُّعَرَاءُ فِي أَشْعَارِهِمْ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي الْحَسَنِ الْجَوْهَرِيِّ فِي قَصِيدَةٍ مِنْهَا :

وَكَانَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ كَافِلَهُ
فَصَارَ جَدَّ بَنِيهِ بَعْدَ كَافِلِهِ(١)
هَلُمَّ لِلْخَبَرِ الْمَأْثُورِ مُسْنَدُهُ
فِي الطَّالَقَانِ فَقَرَّتْ عَيْنُ نَاقِلِهِ
فَذَلِكَ الْكَنْزُ عَبَّادٌ وَقَدْ وَضَحَتْ
عَنْهُ الْإِمَامَةُ فِي أُولَى مَخَايِلِهِ

لَمَّا رَوَتِ الشِّيعَةُ أَنَّ بِالطَّالَقَانِ كَنْزاً مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ، يَمْلَأُ اللهُ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً. وَالصَّاحِبُ مِنَ الطَّالَقَانِ مِنْ قُرَى أَصْفَهَانَ، فَلَمَّا رُزِقَ سِبْطاً فَاطِمِيّاً، تَأَوَّلُوا لَهُ هَذَا الْخَبَرَ، وَأَنَا بَرِيءٌ مِنَ الْعُهْدَةِ، هَذَا الَّذِي ذَكَرَ الثَّعَالِبِيُّ، أَنَّ طَالَقَانَ مِنْ قُرَى أَصْفَهَانَ، وَالصَّوَابُ مَا تَقَدَّمَ(٢).

قَالَ: وَعَرَضَ عَلَيَّ أَبُو الْحَسَنِ الشَّقِيقِيُّ الْبَلْخِيُّ، تَوْقِيعَ الصَّاحِبِ إِلَيْهِ فِي رُقْعَتِهِ: مَنْ نَظَرَ لِدِينِهِ نَظَرْنَا لِدُنْيَاهُ(٣)، فَإِنْ آثَرْتَ الْعَدْلَ وَالتَّوْحِيدَ، بَسَطْنَا لَكَ الْفَضْلَ وَالتَّمْهِيدَ،

(١) وقبل هذا البيت آخر يزيده وضوحاً، قال:
ما زال يخطب منه الدين مجتهداً   قربى توطد من عليا وسائله

(٢) يريد أن الخبر المأثور ليس للطالقان التي منها الصاحب، وإنما هو للطالقان التي بين بلخ ومرو الروذ، وليست هي التي منها الصاحب

(٣) هكذا في اليتيمة وهو الاوفق، وكانت في الاصل: نظر ما الدنياه، ببناء الفعل للمجهول

وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى الْجَبْرِ ، فَلَيْسَ لِكَسْرِكَ مِنْ جَبْرٍ ، وَهَذِهِ رِسَالَةٌ كَتَبَهَا الصَّاحِبُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ ، فِي شَأْنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ .

قَالَ الثَّعَالِبِيُّ : وَسَمِعْتُ الْأَمِيرَ أَبَا الْفَضْلِ عُبَيْدَ اللهِ ابْنَ أَحْمَدَ الْمِيكَالِيَّ يَسْرُدُهَا ، فَزَادَنِي جَرْيُهَا عَلَى لِسَانِهِ ، وَصُدُورُهَا عَنْ فِيهِ إِعْجَاباً بِهَا ، وَهِيَ : كِتَابِي هَذَا يَا سَيِّدِي صَدَرَ مِنْ « سَحْنَةَ (١) » ، وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ ، وَسَحَبَ الظَّلَامُ ذُيُولَهُ ، وَنَحْنُ عَلَى الرَّحِيلِ غَداً إِنْ شَاءَ اللهُ ، إِذَا مَدَّ الصَّبَاحُ غُرَرَهُ ، قَبْلَ أَنْ يُسْبِغَ حُجُولَهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَطَلْتُهُ ، كَوُقُوفِ الْحَجِيجِ عَلَى الْمَشَاعِرِ ، وَلَمْ أَقْتَصِرْ مِنْهُ عَلَى زَادِ الْمُسَافِرِ ، فَإِنَّ الْمُتَحَمَّلَ لَهُ ، وَسِيعُ الْحُقُوقِ لَدَيَّ ، حَقِيقٌ أَنْ أُتْعِبَ لَهُ خَاطِرِي وَيَدَيَّ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ

(١) سحنة : بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون . قال الحازمي : موضع بين بغداد وهمذان ، وقال نصر : سحنة : بلد بالقرب من همذان ، وقال ابن الكلبي : كانت عجلة وسحنة امرأتين ، بنتي عمرو بن عدى ، بن نصر بن ربيعة ، بن الحارث ، بن مالك ، ابن سعود ، بن عمم ، بن نمارة ، وأظنها أنا قرب الانبار ، لان ابن الكلبي قال : وأهل الانبار يقولون : سحنة ، قال : وكانتا تشربان اللبن بها . معجم البلدان ج ٥ ص ٤٥

الْحَامِدِيُّ ، كَانَ وَافَى مَعَ ذَلِكَ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ ، أَبِي سَعِيدٍ الشَّبِيبِيِّ السَّعِيدِ — رَفَعَ اللَّهُ مَنَازِلَهُ — وَقَتَلَ قَاتِلَهُ ، يَكْتُبُ لَهُ فَآنَسَنَا بِفَضْلِهِ ، وَآنَسَنَا الْخَيْرَ مِنْ عَقْلِهِ ، فَلَمَّا فُجِعَ بِتِلْكَ الصُّحْبَةِ ، وَبِمَا كَانَ لَهُ فِيهَا مِنَ الْقُرْبَةِ ، لَمْ يَرْضَ غَيْرَ بَابِي مَشْرَعاً ، وَغَيْرَ جَنَابِي مَرْتَعاً ، وَقَطَعَ إِلَيَّ الطَّرِيقَ الشَّاقَّ ، مُؤَكِّداً حَقّاً لَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ، وَلَا يُنْسَى عَلَى الزَّمَانِ ذِمَارُهُ [١] ، فَكُنْتُ عَلَى جَنَاحِ هَذِهِ النَّهْضَةِ الَّتِي بِنَا لَمْ يَسْتَقِرَّ نَوَاهَا ، وَلَمْ تُلْقَ عَصَاهَا ، فَإِخْرَاجُ [٢] الْحُرِّ الْمُبْتَدِىءِ الْأَمْرِ ، الْقَرِيبِ الْعَهْدِ بِوَطْأَةِ الدَّهْرِ ، تَحَامُلٌ عَلَيْهِ بِالْمَرْكَبِ الْوَعْرِ ، فَرَدَدْتُهُ إِلَيْكَ يَا سَيِّدِي ، لِتُسَهِّلَ عَلَيْهِ حِجَابَكَ ، وَتُمَهِّدَ لَهُ جَنَابَكَ ، وَيَتَرَصَّدَ عَمَلاً خَفِيفَ النَّقْلِ ، نَدِيَّ الظِّلِّ ، فَإِذَا اتَّفَقَ عَرَضْتَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ فَوَّضْتَهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ إِلَى أَنْ يَتَّسِقَ [٣] ذَلِكَ ضَيْفِي ، وَعَلَيْكَ قِرَاهُ ، وَعِنْدَكَ مَرْبَعُهُ وَمَشْتَاهُ ، وَيُرِيدُ اشْتِغَالاً بِالْعِلْمِ يَزِيدُهُ

(١) هكذا فى اليتيمة وفى الاصل : « ذمامه »

(٢) وفى اليتيمة : فأمرج الحر المبتدا الامر ، وفى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : فاخراج الخبر المبتدإ ، وفى هذا الاصل : فاخراج الخ

(٣) فى اليتيمة « يتفق » وهو المناسب لما قبله

اسْتِقْلالًا ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ خَبَرُنَا فِي الِاسْتِقْرَارِ ، ثُمَّ لَهُ الْخِيَارُ ، إِنْ شَاءَ أَقَامَ عَلَى مَا وَلَّيْتُهُ ، وَإِنْ شَاءَ الْتَحَقَ بِنَا نَاشِرًا مَا أَوْلَيْتُهُ ، وَقَدْ وَقَّعْتُ لَهُ إِلَى فُلَانٍ بِمَا يُعِينُهُ عَلَى بَعْضِ الِانْتِظَارِ ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ لَهُ كُلَّ الِاخْتِيَارِ ، فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ بِتَعْجِيلِهِ ، وَاكْفِنِي شُغْلَ الْقَلْبِ بِهَذَا الْحُرِّ ، الَّذِي أَفْرَدَنِي بِتَأْمِيلِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ .

وَكَتَبَ إِلَى الْقَاضِي أَبِي بِشْرٍ ، الْفَضْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيِّ ، عِنْدَ وُرُودِهِ بَابَ الرَّيِّ وَافِدًا عَلَيْهِ :

تَحَدَّثَتِ الرِّكَابُ (١) بِسَيْرِ أَرْوَى
إِلَى بَلَدٍ حَطَطْتُ بِهِ خِيَامِي
فَكِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا
بِقَادِمَةٍ (٢) كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ

أَحَقٌّ مَا قِيلَ مِنْ أَمْرِ الْقَادِمِ ؟ أَمْ ظَنٌّ كَأَمَانِيِّ الْحَالِمِ ؟ لَا وَاللهِ ، بَلْ هُوَ دَرْكُ الْعِيَانِ ، وَإِنَّهُ وَنَيْلَ الْمُنَى

(١) الركاب : الابل جمع ركائب ، والمراد هنا الركبان ، فهم الذين يجرى الحديث عليهم ، وفى يتيمة الدهر والاصل الذى فى مكتبة اكسفورد « الركبان » ولكن الوزن لا يستقيم الا بالركاب

(٢) قوادم الطائر : ما وضح من ريشه الامامى

سِيَّانِ ، فَمَرْحَباً أَيُّهَا القَاضِي بِرَاحِلَتِكَ وَرَحْلَتِكَ ، بَلْ أَهْلاً بِكَ وَبِكَافَّةِ أَهْلِكَ ، وَيَا سُرْعَةَ مَا فَاحَ نَسِيمُ مَسْرَاكَ ، وَوَجَدْنَا رِيحَ يُوسُفَ مِنْ رَيَّاكَ[1] نُحَثُّ الْمَطِيَّ تُزِلْ غُلَّتِي بِرُؤْيَاكَ ، وَتُرِحْ عِلَّتِي بِلُقْيَاكَ ، وَنُصَّ عَلَى يَوْمِ الْوُصُولِ نَجْعَلْهُ عِيداً مُشْرِفاً، وَنَتَّخِذْهُ مَوْسِماً وَمَعْرِفاً[2] ، وَرَدُّ الْغُلَامَ أَسْرَعَ مِنْ رَجْعِ الْكَلَامِ ، فَقَدْ أَمَرْتُهُ أَنْ يَطِيرَ عَلَى جَنَاحِ نَسْرٍ ، يَتْرُكُ الصَّبَا فِي عِقَالٍ وَأَسْرٍ :

سَقَى اللهُ دَارَاتٍ مَرَرْتَ بِأَرْضِهَا
فَأَدْنَتْكَ نَحْوِي يَا زِيَادُ بْنُ عَامِرِ

أَصَائِلُ قُرْبٍ أَرْتَجِي أَنْ أَنَالَهَا
بِلُقْيَاكَ قَدْ زَحْزَحْنَ حَرَّ الْهَوَاجِرِ

وَقَالَ بَعْضُ نُدَمَاءِ الصَّاحِبِ لَهُ يَوْماً : أَرَى مَوْلَانَا قَدْ أَغَارَ فِي قَوْلِهِ :

---

(١) أي رائحتك الطيبة ، وفي أصل مكتبة اكسفورد : « رؤياك »

(٢) المعرف والمعرف : واحد المعارف وهي : الوجه بما اشتمل عليه . يقال : امرأة حسنة المعارف ، وفلان من المعارف أي المعروفين ، ومعارف الرجل أصحابه ، وأهل مودته كما هو شائع .

لَبِسنَ بُرُودَ الْوَشْيِ لَا لِتجَمُّلٍ

وَلَـكِنْ لِصَوْنِ الْحُسْنِ بَيْنَ بُرُودِ

عَلَى الْمُتَنَبِّىءِ فِي قَوْلِهِ :

لَبِسنَ الْوَشْىَ لَا مُتَجَمِّلَاتٍ

وَلَـكِنْ كَيْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالَا

فَقَالَ كَمَا أَغَارَهُوَ فِي قَوْلِهِ :

مَا بَالُ هَذِى النُّجُومِ حَائِرَةً

كَأَنَّهَا الْعُمْىُ مَا لَهَا قَائِدُ

عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ فِي قَوْلِهِ :

وَالنَّجْمُ فِي كَبِدِ السَّمَاء كَأَنَّهُ

أَعْمَى تَحَـيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ

وَلِلصَّاحِبِ أَيْضاً :

يَقُولُونَ لِي كَمْ عَهْدُ عَينِكَ بِالْـكَرَى

فَقُلْتُ لَهُمْ مُذْ غَابَ بَدْرُ دُجَاهَا

وَلَوْ تَلْتَقِي عَيْنٌ عَلَى غَيْرِ دَمْعَةٍ
لَصَارَمْتُهَا (١) حَتَّى يُقَالَ قَفَاهَا

مِنْ قَوْلِ الْمُهَلَّبِيِ الْوَزِيرِ :

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ مُنْذُ صَرَمْتَنِي
فَمَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى دَمْعَةٍ تَجْرِي

وَلِلصَّاحِبِ أَيْضاً :

وَمُهَفْهَفٍ (٢) حَسَنِ الشَّمَائِلِ أَهْيَفٍ
يُزْوِي النُّفُوسَ بِفَتْرَتَيْ عَيْنَيْهِ
مَا زَالَ يُبْعِدُنِي وَيُؤْثِرُ هِجْرَتِي
فَجَذَبْتُ قَلْبِي مِنْ إِسَارِ يَدَيْهِ
قَالُوا : تُرَاجِعُهُ فَقُلْتُ : بَدِيهَةً (٣)
قَوْلًا أُقِيمَ مَعَ الرَّوِيِّ عَلَيْهِ

---

(١) صارمها : قاطعها

(٢) المهفهف : الضامر من الذكران ، والأنثى مهفهفة

(٣) يقال : فلان ذو بديهة : أي يفهم ما طرح له من أول وهلة ، ويقال : أجاب على البديهة ، أي من دون توقف ولا تفكر

وَاللهِ لَا رَاجَعْتُهُ وَلَوَ أَنَّهُ
كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَبُوَيْهِ

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

وَاللهِ لَا كَلَّمْتُهَا وَلَوَ أَنَّهَا
كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمُكْتَفِي

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : هَكَذَا ذَكَرَ الثَّعَالِبِيُّ ، وَنَسَبَ هَذَا الْبَيْتَ إِلَى ابْنِ الْمُعْتَزِّ ، وَهُوَ لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ السَّرَّاجِ النَّحْوِيِّ ، وَلَهُ قِصَّةٌ ظَرِيفَةٌ ، وَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي أَخْبَارِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

وَمِمَّا هُجِيَ بِهِ الصَّاحِبُ ، قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ الْأَسَدِيِّ :

إِذَا رَأَيْتَ مُسَجًّى (١) فِي مُرَقَّعَةٍ
يَأْوِي الْمَسَاجِدَ حُرًّا ضُرُّهُ بَادِي
فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْفَتَى الْمِسْكِينَ قَدْ قَذَفَتْ (٢)
بِهِ الْخُطُوبُ إِلَى لُؤْمِ ابْنِ عَبَّادِ

(١) سجى فلان البيت : مد عليه ثوبا وغطاه . وسجا : سجوا دام وسكن ، ومنه قوله تعالى : « والضحى والليل إذا سجا » (٢) أى رمت

وَقَالَ السَّلَامِيُّ :

يَا ابْنَ عَبَّادِ بْنِ عَبَّا
سِ بْنِ عَبْدِ اللهِ حَرْهَا
تُنْكِرُ الْجَبْرَ وَأُخْرِجْـ
ـتَ إِلَى دُنْيَاكَ كَرْهَا (١)

وَمَرَّ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الضَّبِّيِّ ، بِبَابِ الصَّاحِبِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَقَالَ :

أَيُّهَا الْبَابُ لِمْ عَلَاكَ اكْتِئَابُ
أَيْنَ ذَاكَ الْحِجَابُ وَالْحُجَّابُ ؟ ؟
أَيْنَ مَنْ كَانَ يَفْزَعُ الدَّهْرُ مِنْهُ
فَهُوَ الْآنَ فِي التُّرَابِ تُرَابُ ؟

وَلِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْعَلَاءِ الْأَصْفَهَانِيِّ ، يَرْثِي الصَّاحِبَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

مَا مِتَّ وَحْدَكَ لَكِنْ مَاتَ مَنْ وَلَدَتْ
حَوَّاءُ طُرًّا بَلِ الدُّنْيَا بَلِ الدِّينُ

(١) سبق ذكر هذين البيتين

هَذِي نَوَاعِي الْعُلَا مُذْ مُتَّ نَادِبَةٌ

مِنْ بَعْدِ مَا نَدَبَتْكَ الْخُرَّدُ (١) الْعِينُ (٢)

تَبْكِي عَلَيْكَ الْعَطَايَا وَالصِّلَاتُ (٣) كَمَا

تَبْكِي عَلَيْكَ الرَّعَايَا وَالسَّلَاطِينُ

قَامَ السُّعَاةُ (٤) وَكَانَ الْخَوْفُ أَقْعَدَهُمْ

وَاسْتَيْقَظُوا بَعْدَ مَا نَامَ الْمَلَاعِينُ

لَا يَعْجَبُ النَّاسُ مِنْهُمْ إِنْ هُمُ انْتَشَرُوا

مَضَى سُلَيْمَانُ وَانْحَلَّ الشَّيَاطِينُ

وَكَتَبَ الصَّاحِبُ إِلَى أَبِي الْعَلَاءِ الْأَسَدِيِّ مِنْ أَجْوَدِ أَبْيَاتِهِ :

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ يُلِمَّ رَسُولُهَا

بِبَابِي وَيُهْدِي بِالْعَشِيِّ سَلَامَهَا

(١) الخرد : جمع خريدة ، وهي المرأة الطويلة السكوت ، والبكر التى لم تمس

(٢) العين : جمع عيناء وهي الواسعة العين فى عظم سواد

(٣) الصلات ، جمع صلة : وهي الهبة والعطية (٤) السعاة : الساعون بالسوء

يريد استيقظ الملاعين فجاء بالواو مع الفعل مع أن الفاعل جمع وفيه ما فيه من ضعف كما جاء فى قواعد العربية ولا أرى فيه شيئا بعد قول القرآن « وأسروا النجوى الذين ظلموا » « وبعد ثم عموا وصموا كثير منهم » « عبد الخالق »

وَيَذْكُرُ لِي دُونَ الرِّجَالِ حَدِيثَهَا
وَيَنْشُرَ عِنْدِي نُطْقَهَا وَكَلَامَهَا

وَرَدَ يَاشَيْخِي - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ - رَسُولُكَ بِكِتَابٍ سَبَقَ الْأَفْكَارَ وَالظُّنُونَ ، وَحَسَدَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ الْعُيُونَ ، وَتَرَكَ الْوَاصِفِينَ بَيْنَ قَاصِرٍ وَمُقَصِّرٍ ، وَمَثَّلَ لَيَالِينَا بَيْنَ اللِّوَى فَمُحَجَّرٍ [1] بِكَلَامٍ كَالْوَرَقِ النَّضِيرِ ، تَتَأَوَّهُ مِنْهُ الْغُصُونُ ، وَكَالنَّوْرِ [2] الْمُنِيرِ ، أَفْنَانُهُ فُنُونٌ . فَصَادَفَنِي حَلِيفًا لِلشَّوْقِ أَوْ رَهِينًا ، وَحَنِيًّا عَلَى الْحَنِينِ وَسَاءَ قَرِينًا ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ أَلِفْنَا الْقُرْبَ حَوْلًا ، حَوْلَنَا رِيَاضُ الْأَدَبِ تَرِفُّ [3] ، وَدُونَنَا رَوَاحِلُ الْفَضْلِ تُزَفُّ [4] . نَمْلِكُ رِقَابَ الْمَنْطِقِ ، وَنَتَنَازَعُ أَطْرَافَ الْكَلَامِ الْمُنَمَّقِ ، وَنَقْطَعُ اللَّيَالِيَ تَنَاشُدًا وَتَذَاكُرًا ، وَتَحَادُثًا وَتَسَامُرًا ، إِلَى أَنْ يَخْلَعَ الظَّلَامُ

(١) يروى محجر بكسر الجيم مشددة ، وبفتحها كذلك ، وهو علم على مواضع ، منها فى أقبال الحجاز ، وجبل فى ديار طيىء ، وجبل فى ديار يربوع ، وقرن فى أسفله جرعة بيضاء ، فى ديار أبى بكر بن كلاب ، بفرع السرة ، وقرن فى ديار غدرة ، وجبل فى ديار نمير ، وجبل لبنى وبر . قال بشر بن أبى خازم :

معالية لا هم إلا محجر وحرة ليلى السهل منها فلوطها

معجم البلدان ج ٧ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .ا.هـ. ملخصاً (٢) النور : زهر الشجر

(٣) رف : النبات اهتز . (٤) زف : زفا وزفافا . العروس إلى زوجها أهداها .

ثِيَابَهُ ، وَيَحْدِرَ (١) الْمِصْبَاحُ نِقَابَهُ ، هَذَا دَأْبُنَا كَانَ ، إِلَى أَنْ جَاوَزْنَا الشَّبَابَ مَرَاحِلَ . وَوَرَدْنَا مِنَ الْمَشِيبِ مَنَاهِلَ (٢) . ثُمَّ حَانَ الْفِرَاقُ ، فَنَحْنُ حَتَّى الْيَوْمَ مِنْهُ فِي جَوٍّ كَدِرٍ ، وَنَجْمٍ مُنْكَدِرٍ (٣) يَقْبِضُنَا عَنِ الْمَوَارِدِ الْعِذَابِ . وَيَعْرِضُنَا عَلَى لَوَاعِجِ (٤) الْعَذَابِ ، ـ وَاللهَ نَسْأَلُ ـ إِعَادَةَ هَاتِيكَ الْأَحْوَالِ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامِ الْخَضْرَاءِ الظِّلَالِ ، وَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ زَادَنَا بَعْدَكَ مَنَاجِحَ وَمَنَائِحَ (٥) وَأَيَادِيَ غَوَادِيَ وَرَوَائِحَ ، حَتَّى فَتَحْنَا الْفُتُوحَ ، وَذَلَّلْنَا الصُّرُوحَ (٦) ، وَرَتَقْنَا الْفُتُوقَ ، وَنَسَخْنَا الْقُرُونَ ، وَأَثَرْنَا (٧) الْآثَارَ ، وَوَطِأْنَا الرِّقَابَ ، وَطَلَبْنَا الثَّأْرَ ، وَاصْطَنَعْنَا الصَّنَائِعَ ، وَجَعَلْنَا وَدَائِعَ النِّعَمِ قَطَائِعَ ، وَعَقَدْنَا فِي أَعْنَاقِ الْأَحْرَارِ

---

(١) حدر . حدراً — الشيء : حطه من علو إلى أسفل . والعين بالدمع سالت به . والثوب فتل أطراف هدبه . والمراد يسدل

(٢) وفى الاصل : « مراحل »

(٣) انكدرت النجوم تناثرت والمراد الكدر الناشيء عن ذلك

(٤) لواعج . مفردها لاعج ، يقال : هوى لاعج ، أى محرق

(٥) منائح . مانح الرجل صاحبه : واصله بالعطايا .

(٦) جمع صرح وفى الاصل : « القروح »

(٧) أثرنا الخ : أى تركنا فيها أثرا

مِننًا ، أَحْسبها [١] مِنْ سُبُلِ الْإِحْسَانِ سُنَنًا ، إِنَّا قَدْ تَحَمَّلْنَا مَشَاقَّ ، مَالَتْ عَلَى الْقُوَّةِ بِالضَّعْفِ [٢] ، وَتَحَامَلَتْ عَلَى الْأَشَرِ [٣] بِالْوَهْنِ ، وَدَفَعَتْ إِلَى مُعَالَجَةِ خُطُوبٍ ، تَعَجَّبَ الدَّهْرُ مِنْ صَبْرِنَا عَلَيْهَا نَخَارَ [٤] ، وَجَبُنَ الزَّمَانُ عِنْدَ شَجَاعَتِنَا لَهَا نَخَارَ [٥] ، وَهَا أَنَا أَحْوَجُ مَا كُنْتُ إِلَى أَنْ أُرَفَّهَ ، وَلَا أَسْتَكْرِهَ [٦] ، وَقَدْ رَمَيْتُ بِسَهْمِ الْأَرْبَعِينَ ، وَأَرْمَيْتُ [٧] عَلَى شَرَفِ الْخَمْسِينَ ، مَدْفُوعَ الْأَشْغَالِ وَالْأَثْقَالِ ، إِلَى مَتَاعِبَ وَمَصَاعِبَ ، لَوْ مُنِيَ بِهَا [٨] ابْنُ ثَلَاثِينَ قَوِيًّا أَزْرُهُ [٩] ، طَرِيًّا جَرَضُهُ [١٠] ، لَقَامَ عَجْزُهُ ، وَقَعَدَتْ بِهِ نَفْسُهُ ، وَأَظُنُّنِي كُنْتُ قَدِيمًا قُلْتُ :

وَقَائِلَةٍ: لِمْ عَرَتْكَ الْهُمُومُ وَأَمْرُكَ مُمْتَثَلٌ فِي الْأُمَمْ

(١) كانت في الاصل هذا : « أحسا » وأصلحت إلى ما ذكر

(٢) كانت في الاصل : للضعف (٣) الاشر : المرح والبطر (٤) في الاصل : نخار

(٥) في الاصل نخار وما أصلحناه في المرتين أنسب

(٦) يريد أتركها في الرفه ، ولا أصيرها مكرهة على العمل

(٧) أرمى . على الشيء : زاد يقول أرمى على الخمسين : إذ ازاد

(٨) سقط من الاصل « بها »

(٩) الأزر : موضع الازار من الحقوين والظهر . والقوة

(١٠) في الاصل : حرصه « بالحاء والضاد » والجرض الريق يبتلع بجهد ، ولكنه اذا كان طرياً سهل « عبد الخالق »

فَقُلْتُ: دَعِينِي وَمَا قَدْ عَرَا فَإِنَّ الْهُمُومَ بِقَدْرِ الْهِمَمْ

وَمَا أَنَا عَلَى الرَّاحَةِ آسَفُ، بَلْ عَلَى أَلَّا أَكُونَ مَشْغُولًا بِأُخْرَى، أُمَهِّدُ لَهَا وَأَكْدَحُ، وَأَدْأَبُ لِنَفْسِي وَأَنْصَحُ، — اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَقَدِّرْ —، وَمَهِّلْ وَيَسِّرْ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ. وَالرِّسَالَةُ طَوِيلَةٌ كَتَبْتُ مُقَدِّمَهَا(١).

ذَكَرَ مُحَمَّدٌ مَا فَعَلَهُ الصَّاحِبُ مَعَ الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ ابْنِ أَحْمَدَ، مِنْ حُسْنِ الْعِنَايَةِ وَالتَّوْلِيَةِ وَالتَّمْوِيلِ، فَلَمَّا مَاتَ الصَّاحِبُ كَانَ يَقُولُ: أَنَا لَا أَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ تَوْبَتَهُ، فَطُعِنَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَنُسِبَ إِلَى قِلَّةِ الرِّعَايَةِ، فَلَاجَرَمَ أَنَّ فَخْرَ الدَّوْلَةِ، قَبَضَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِ الصَّاحِبِ، وَصَادَرَهُ فِيمَا قِيلَ: عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَعَزَلَهُ عَنْ قَضَاءِ الرَّيِّ، وَوَلَّى مَكَانَهُ الْقَاضِي أَبَا الْحَسَنِ، عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيَّ، الْعَلَّامَةَ، صَاحِبَ التَّصَانِيفِ وَالْفَضَائِلِ الْجَمَّةِ، وَقَدْ ذَكَرْتُهُ أَنَا فِي بَابِهِ.

---

(١) هل من يقول هذا الكلام الجزل، ويذكر هذه المعانى الفاخرة، والجمل المتلألئة يلوك لسانه ما قال أبو حيان، اللهم غفرا « عبد الخالق »

فَقِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْجَبَّارِ بَاعَ أَلْفَ طَيْلَسَانٍ مِصْرِيٍّ فِي مُصَادَرَتِهِ ، وَهُوَ شَيْخُ طَائِفَتِهِمْ ، يَزْعُمُ أَنَّ الْمُسْلِمَ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ عَلَى رُبْعِ دِينَارٍ ، وَجَمِيعُ هٰذَا الْمَالِ مِنْ قَضَاءِ الظَّلَمَةِ ، بَلِ الْكَفَرَةِ عِنْدَهُ وَعَلَى مَذْهَبِهِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هٰذَا لِلِاعْتِبَارِ . وَقَرَأْتُ فِي كِتَابِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِىءِ قَالَ : وَكَانَ الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ يُرَاعِي مَنْ بِبَغْدَادَ ، وَالْحَرَمَيْنِ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ ، وَشُيُوخِ الْكُتَّابِ وَالشُّعَرَاءِ ، وَأَوْلَادِ الْأُدَبَاءِ وَالزُّهَّادِ وَالْفُقَهَاءِ ، بِمَا يَحْمِلُهُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَعَ الْحَاجِّ ، عَلَى مَقَادِيرِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ ، وَكَانَ يَحْمِلُ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ ، وَإِلَى أَلْفَ دِرْهَمٍ جَبَلِيَّةٍ ، مَعَ جَعْفَرِ بْنِ شُعَيْبٍ ، فَأَذْكُرُ وَقَدْ رَاسَلَهُ بَعْدَ وَفَاةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، بِالِاسْتِدْعَاءِ إِلَى حَضْرَتِهِ بِالرَّيِّ ، وَبَذَلَ لَهُ النَّفَقَةَ الْوَاسِعَةَ ، وَالْمَعُونَةَ الشَّاسِعَةَ عِنْدَ شُخُوصِهِ ، وَالْإِرْغَابَ وَالْإِكْثَارَ عِنْدَ حُضُورِهِ . فَكَانَتْ عُقُلُهُ (١) بِالذَّيْلِ الطَّوِيلِ ، وَالظَّهْرِ الثَّقِيلِ ،

(١) جمع عقال : وهو حبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه ، والمراد النوق

تَمْنَعُهُ مِنْ تَرْكِ مَوْضِعِهِ ، وَمُفَارَقَةِ مَوْطِنِهِ ، فَمِمَّا كَتَبَهُ إِلَيْهِ بِالاعْتِذَارِ عَنِ التَّأْخِيرِ :

نَكَصَتْ[١] عَلَى أَعْقَابِهِنَّ مَطَالِبِي
وَتَقَاعَسَتْ[٢] عَنْ شَأْوِهِنَّ مَآرِبِي
وَتَبَلَّدَتْ مِنِّي الْقَرِيحَةُ بَعْدَ مَا
كَانَتْ نَفَاذاً كَالشِّهَابِ الثَّاقِبِ[٣]
وَبَكَيْتُ شَرْخَ شَبِيبَتِي فَدَفَنْتُهَا
دَفْنَ الْأَعِزَّةِ فِي الْعِذَارِ الشَّائِبِ

وَمِنْهَا :

فَلَوَ انَّ لِي ذَاكَ الْجَنَاحَ لَطَارَ بِي
حَتَّى أُقَبِّلَ ظَهْرَ كَفِّ الصَّاحِبِ
وَأَعِيشَ فِي سُقْيَا سَحَائِبِهِ الَّتِي
ضَمِنَتْ سَعَادَةَ كُلِّ جَدٍّ خَائِبِ

(١) نكص فلان عن الأمر : أحجم ورجع عنه
(٢) تقاعس الرجل عن الأمر : تأخر ورجع إلى خلف
(٣) الثاقب : المضيء والنافذ

وَأُرَاجِعُ الْعَادَاتِ حَوْلَ قِبَابِهِ
حَتَّى السَّوَادَ مِنَ الشَّبَابِ الذَّاهِبِ
وَأَعُدُّ مِنْ جُلَسَاءِ حَضْرَتِهِ الَّتِي
شُحِنَتْ بِكُلِّ مُسَائِلٍ وَمُجَاوِبِ (١)
فَيَقُولُ : مَنْ ذَا سَائِلٌ عَنِّي لَهُ
مُتَثَبِّتٌ فَيَقُولَ هَذَا كَاتِبِي ؟
أَتُرَى أَرُومُ بِهِمَّتِي مَا فَوْقَ ذَا
أَنِّي وَخِدْمَتُهُ أَجَلُّ مَرَاتِبِي

وَمِنْهَا يَعْتَذِرُ

كَثُرَتْ عَوَائِقِيَ الَّتِي تَعْتَاقُنِي (٢)
مِنْ غَيْثِ رَاحَتِهِ الْمُلِثِّ (٣) السَّاكِبِ
وَلَدٌ لَهُمْ وَلَدٌ وَبَطْنٌ ثَالِثٌ
هُوَ رَابِعِي وَعَشِيرَتِي وَأَقَارِبِي

(١) كانت فى الاصل : « ومحاربْ »
(٢) لعل الصواب تعوقنى عن السير ، وعوائقى كانت فى الاصل : عواتق
(٣) الملث الساكب

وَالسِّنُّ تِسْعٌ بَعْدَهَا خَمْسُونَ قَدْ
شَامَتْ بَوَارِقَ يَوْمِهَا الْمُتَقَارِبِ
فَالْجِسْمُ يَضْعُفُ عَنْ تَجَشُّمِ رَاجِلٍ
وَالْحَالُ يَقْصُرُ عَنْ تَرَفُّهِ (١) رَاكِبِ
وَعَلَيَّ لِلسُّلْطَانِ طَاعَةُ مَالِكٍ
كَانَتْ عَلَى الْمَمْلُوكِ ضَرْبَةَ لَازِبِ
وَتَعَطُّلِي مَعَ شُهْرَتِي كَتَصَرُّفِي
كُلٌّ سَوَاءٌ فِي الْحِسَابِ الْحَاسِبِ

وَهِيَ طَوِيلَةٌ.

فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ، الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا جَدِّي، أَحَسَّ بِانْقِضَاءِ مُدَّتِهِ، وَحُضُورِ مَنِيَّتِهِ، فَكَتَبَ إِلَى الصَّاحِبِ كِتَاباً يَسْأَلُهُ فِيهِ، إِقْرَارَ هَذَا الرَّسْمِ الْمَذْكُورِ عَلَى وَلَدِهِ، وَإِجْرَاءَهُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَرَنَ الْكِتَابَ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا:

(١) التنعم وسعة العيش

تُحَذِّرُ مِنكَ النَّائِبَاتُ فَتَحذَرُ
وَتَذْكُرُ لِلخَطْبِ الجَسِيمِ فَيَصغُرُ
وَتُكسَى بِكَ الدُّنيا ثِيابَ جَمالِهَا
فَيَرجُوكَ مَعرُوفٌ وَيَخشَاكَ مُنكَرُ

يَقُولُ فِيهَا :

أَسَيِّدَنَا إِنَّ المَنِيَّةَ أَعذَرَتْ(١)
إِلَيَّ بِآيَاتٍ تَرُوعُ وَتَذعَرُ
لَها نُذُرٌ قَدْ آذَنَتْنِي بِهَجمَةٍ
عَلَى مَوْرِدٍ مَا عَنهُ لِلمَرْءِ مَصدَرُ
وَإِنِّي لَأَستَحلِي مَرَارَةَ طَعمِهِ
إِذَا كُنتَ بِالتَّقدِيمِ لِي تَتَأَخَّرُ
وَحَقٌّ لِنَفسٍ كَانَ مِنكَ مَعَاشُهَا
إِذَا غَمَّضَتْ عَيناً وَعَينُكَ تَنظُرُ

(١) أعذر : الرجل أبدى عذراً .

وَمَنْ وَرَّثَ الْأَوْلَادَ بَعْدَ وَفَاتِهِ
حِضَانَكَ (١) طَابَتْ نَفْسُهُ حِينَ يُقْبَرُ
تَمَرَّدَ مِنْكَ الْجُودُ حَتَّى تَمَرَّدَتْ
مَطَالِبُنَا وَالْمَاجِدُ الْحُرُّ يَصْبِرُ
أَأَطْلُبُ مِنْكَ الرِّفْدَ عُمْرِيَ كُلَّهُ
وَأَطْلُبُهُ وَالْجَنْبُ مِنِّى مُعَفَّرُ
وَلَيْسَتْ بِأُولَى بِدْعَةٍ لَكَ فِى النَّدَى
لَهَا مَوْقِفٌ فِيهِ لَكَ الْحَمْدُ يُنْشَرُ (٢)

وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

قَالَ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ : وَأَمَرَنِى بِأَنْ أُنْفِذَ ذَلِكَ ، فَأَنْفَذْتُهُ ، وَكَتَبْتُ عَنْ نَفْسِي كِتَابًا فِى مَعْنَاهُ ، وَوَصَلَ وَنَفَذَ مَنْ يَحْمِلُ الرَّسْمَ عَلَى الْعَادَةِ ، ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ تُوُفِّيَ

(١) حضن حضنا وحضانة الصبى : جعله فى حضنه ورباه ،

(٢) وكانت فى الأصل : « لها موقف الحمد ينشر » فأصلحت إلى ما ذكر ليستقيم الوزن : ويكمل المصراع .

الصَّاحِبُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَوَقَفَ ، وَكَانَتْ بَيْنَ وَفَاتِهِمَا شُهُورٌ .

قَالَ هِلَالٌ : وَسَمِعْتُ مُحَدِّثًا يُحَدِّثُ أَبَا إِسْحَاقَ ، أَنَّهُ سَمِعَ الصَّاحِبَ يَقُولُ : مَا بَقِيَ مِنْ أَوْطَارِي وَأَغْرَاضِي ، إِلَّا أَنْ أَمْلِكَ الْعِرَاقَ ، وَأَتَصَدَّرَ (١) بِبَغْدَادَ ، وَأَسْتَكْتِبَ أَبَا إِسْحَاقَ الصَّابِئَ ، وَيَكْتُبَ عَنِّي وَأُغَيِّرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ جَدِّي : وَيُغَيِّرُ عَلَيَّ وَإِنْ أَصَبْتُ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ جَدِّي قَالَ : حَضَرَ الصَّاحِبُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَبَّادٍ دَارَ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ ، عِنْدَ وُرُودِهِ إِلَى بَغْدَادَ ، مَعَ مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ ، فَحُجِبَ عَنْهُ لِشُغْلٍ كَانَ فِيهِ ، وَجَلَسَ طَوِيلًا ، فَلَمَّا تَأَخَّرَ الْإِذْنُ ، كَتَبَ إِلَيَّ رُقْعَةً لَطِيفَةً فِيهَا :

وَأُتْرَكُ مَحْجُوبًا عَلَى الْبَابِ كَالْخَصِي
وَيَدْخُلُ غَيْرِي كَالْأُيُورِ وَيَخْرُجُ

(١) يقال : تصدر الرجل : نصب صدره فى الجلوس . وجلس فى أعلى المجلس

فَأَقْرَأْتُهَا الْوَزِيرَ الْمُهَلَّبِيَّ ، فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ .

قَالَ : وَكَانَ الصَّاحِبُ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى بَغْدَادَ ، قَصَدَ الْقَاضِيَ أَبَا السَّائِبِ ، عُتْبَةَ بْنَ عُبَيْدٍ لِقَضَاءِ حَقِّهِ ، فَتَثَاقَلَ فِي الْقِيَامِ لَهُ ، وَتَحَفَّزَ تَحَفُّزاً أَرَاهُ بِهِ ضَعْفَ حَرَكَتِهِ ، وَقُصُورَ نَهْضَتِهِ ، فَأَخَذَ الصَّاحِبُ بِضَبْعِهِ وَأَقَامَهُ ، وَقَالَ : نُعِينُ الْقَاضِيَ عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ إِخْوَانِهِ ، فَخَجِلَ أَبُو السَّائِبِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ .

وَذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ التَّنُوخِيُّ فِي كِتَابِ نَشْوَارِ الْمُحَاضَرَةِ : حَدَّثَنِي أَبُو مَنْصُورٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ عَمْرٍو الشَّرَابِيُّ ، حَاجِبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِ لِلَّهِ ، قَالَ : دَخَلْتُ فِي حَدَاثَتِي يَوْماً عَلَى أَبِي السَّائِبِ الْقَاضِي ، فَتَثَاقَلَ فِي الْقِيَامِ لِي ، وَأَظْهَرَ لِي ضَعْفاً عَنْهُ لِلسِّنِّ ، وَالْعِلَلِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِ (١) ، قَالَ : فَتَطَاوَلَ فَجَذَبْتُ (٢) يَدَهُ بِيَدِي ، حَتَّى أَقَمْتُهُ الْقِيَامَ التَّامَّ ، وَقُلْتُ لَهُ : أُعِينُ قَاضِيَ الْقُضَاةِ ،

---

(١) وفى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « المتطاولة له »

(٢) وفى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « فجررت »

ـ أَيَّدَهُ اللهُ ـ، عَلَى إِكْمَالِ الْبِرِّ ، وَتَوْفِيَةِ الْإِخْوَانِ حُقُوقَهُمْ ؟ قَالَ : وَقَدْ كُنْتُ عَاتِباً عَلَيْهِ فِي أَشْيَاءَ عَامَلَنِي بِهَا ، وَإِنَّمَا جِئْتُهُ لِلْخُصُومَةِ ، فَبَدَأْتُ لِأَخْذِ الْكَلَامِ ، فَحِينَ رَأَى الشَّرَّ فِي وَجْهِي قَالَ : تَتَفَضَّلُ لِاسْتِمَاعِ كَلِمَتَيْنِ ؟ ثُمَّ تَقُولُ مَاشِئْتَ ، فَقُلْتُ لَهُ ، قُلْ : فَقَالَ : رَوَيْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ » قَالَ : عَفْوٌ بِلَا تَقْرِيعٍ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ ، فَافْعَلْ ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنَ الاِسْتِقْصَاءِ عَلَيْهِ ، وَانْصَرَفْتُ .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَالَّذِي عِنْدِي ، أَنَّ الْخَبَرَ إِنَّمَا جَرَى بَيْنَ هَذَا وَالْقَاضِي ، وَبَلَغَ أَمْرُهُ الصَّاحِبَ ، فَانْتَحَلَهُ لِنَفْسِهِ ، وَحَكَاهُ فِي مَجْلِسِ أُنْسِهِ ، فَشَاعَ عَنْهُ ، وَكَانَ الصَّاحِبُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مِمَّنْ يُحِبُّ الْفَخْرَ ، وَانْتِحَالَ الْفَضَائِلِ ، الَّتِي رُبَّمَا قَصَرَ عَنْهَا . وَمِنَ أَشْعَارِ الصَّاحِبِ :

يَاخَاطِراً يَخْطِرُ فِي تِيهِهِ
ذِكْرُكَ مَوْقُوفٌ عَلَى خَاطِرِي

إِنْ لَمْ تَكُنْ آثَرَ مِنْ نَاظِرِى
عِنْدِى فَلَا مُتِّعْتُ بِالنَّاظِرِ

وَكَتَبَ إِلَى أَبِى الْحَسَنِ الطَّبِيبِ :

إِنَّا رَجَوْنَاكَ[1] عَلَى انْبِسَاطِ
وَالْجُوعُ قَدْ أَثَّرَ فِى الْأَخْلَاطِ[2]
فَإِنْ عَسَى مِلْتَ إِلَى التَّبَاطِى
صَفَعْتُ بِالنَّعْلِ قَفَا بُقْرَاطِ[3]

وَلَهُ :

بَعُدْتَ فَطَعْمُ الْعَيْشِ بَعْدَكَ عَلْقَمٌ
وَوَجْهُ حَيَاتِى مُذْ تَغَيَّبْتَ أَرْقَمُ
فَمَالَكَ قَدْ أَدْغَمْتَ قُرْبَكَ فِى النَّوَى
وَوُدُّكَ فِى غَيْرِ النِّدَاءِ مُرَخَّمُ

(١) وفى اليتيمة : دعوناك
(٢) أخلاط : مفردها خلط — الدم والبلغم والصفراء والسوداء
(٣) أحد أطباء اليونان القدامى

وَقَالَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ :

وَكَمْ شَامِتٍ بِي عِنْدَ مَوْتِي جَهَالَةً (١)

بِظُلْمٍ يَسُلُّ السَّيْفَ بَعْدَ وَفَاتِي

وَلَوْ عَلِمَ الْمِسْكِينُ مَاذَا يَنَالُهُ

مِنَ الذُّلِّ بَعْدِي (٢) مَاتَ قَبْلَ مَمَاتِي

وَلَهُ أَيْضاً :

بَدَا لَنَا كَالْبَدْرِ فِي شُرُوقِهِ

يَشْكُو غَزَالًا لَجَّ فِي عُقُوقِهِ

يَا عَجَبِي وَالدَّهْرُ فِي طُرُوقِهِ

مِنْ عَاشِقٍ أَحْسَنَ مِنْ مَعْشُوقِهِ

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخُوَارِزْمِيُّ : أَنْشَدَنَا الصَّاحِبُ هَذِهِ الْقَوَافِيَ لَيْلَةً وَقَالَ : هَلْ تَعْرِفُونَ نَظِيراً لِمَعْنَاهَا فِي شِعْرِ الْمُحْدَثِينَ ؟ فَقُلْتُ : لَا أَعْرِفُ إِلَّا قَوْلَ الْبُحْتُرِيِّ :

---

(١) وفى اليتيمة ص ١١١ « بعد موتى جاهلا »

(٢) كانت فى الاصل : « بعدا » وأصلحت إلى ما ذكر .

وَمِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ أَنَّ الأَمِيرَ

أَصْبَحَ أَكْتَبَ مِنْ كَاتِبِهْ

قَالَ : فقَالَ جوَّدْتَ وأَحْسَنْتَ ، هَكَذَا فَلْيَكُنِ الْحِفْظُ.

وَلَهُ وَيُرْوَى لِغَيْرِهِ :

رَشَأٌ(١) غدَا وَجْدِى عَلَيْهِ كَرِدْفِهِ

وَغدَا اصْطِبَارِى فِى هَوَاهُ كَخَصْرِهِ

وَكَأَنَّ يَوْمَ وِصَالِهِ مِنْ وَجْهِهِ

وَكَأَنَّ لَيْلَةَ هَجْرِهِ مِنْ شَعْرِهِ

إِنْ ذُقْتُ خَمْراً خِلْتُهَا مِنْ رِيقِهِ

أَوْ رُمْتُ مِسْكًا نِلْتُهُ مِنْ نَشْرِهِ(٢)

وَإِذَا تَكَبَّرَ وَاسْتَطَالَ بِحُسْنِهِ

فَعِذَارُ عَارِضِهِ يَقُومُ بِعذْرِهِ

وَلَهُ أَيْضاً :

دَبَّ العِذَارُ عَلَى مَيْدَانِ وَجْنَتِهِ

حَتَّى إِذَا كَادَ أَنْ يَسْعَى بِهِ وَقَفَا

(١) وجد كردفه كثير وثقيل عليه ، وصبر كخصره ضعيف قليل

(٢) أى رائحته الذكية

كَأَنَّهُ كَاتِبٌ عَزَّ الْمِدَادُ لَهُ
أَرَادَ يَكْتُبُ(١) لَاماً فَابْتَدَا أَلِفَا

وَلَهُ أَيْضاً :

وَخَطٍّ كَأَنَّ اللهَ قَالَ لِحُسْنِهِ
تَشَبَّهْ بِمَنْ قَدْ خَطَّكَ الْيَوْمَ فَائْتَمَرْ(٢)
وَهَيْهَاتَ أَيْنَ الْخَطُّ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ
وَأَيْنَ ظَلَامُ اللَّيْلِ مِنْ صَفْحَةِ الْقَمَرْ؟؟

وَلَهُ أَيْضاً :

وَشَادِنٍ قُلْتُ لَهُ مَا اسْمُكَا
فَقَالَ لِي بِالْغَنَجِ(٣) عَبَّاثُ
فَصِرْتُ مِنْ لَثْغَتِهِ أَلْثَغَا
فَقُلْتُ أَيْنَ الْكَاثُ(٤) وَالطَّاثُ

---

(١) وفى الاصل الذى فى مكتبة أكسفورد : « أراد أن » :
(٢) فى اليتيمة ، والاصل الذى فى مكتبة أكسفورد : « فاستمر :
(٣) الغنج : الدلال والشكل
(٤) يريد الطاس والكاس ، فلثغ فيهما

وَلَهُ يَصِفُ الثَّلْجَ :

هَاتِ الْمُدَامَةَ يَا غُلَامُ مُصَيَّراً
نُقْلِي (١) عَلَيْهَا قُبْلَةً أَوْ عَضَّةْ
أَوْ مَا تَرَى كَانُونَ (٢) يَنْثُرُ وَرْدَهُ ؟
وَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا سَبَائِكُ فِضَّةْ

وَلَهُ أَيْضاً :

وَصَفْرَاءَ أَوْ حَمْرَاءَ فَهْيَ مُخَيَّلَةٌ (٣)
لِرِقَّتِهَا إِلَّا عَلَى الْمُتَوَهِّمِ
يُشَكِّكُنَا فِي الْكَرْمِ أَنَّ انْتِمَاءَهُ
إِلَى الْخَمْرِ (٤) أَمْ هَاتَا إِلَى الْكَرْمِ تَنْتَمِي
لَكِ الْوَصْفُ دُونَ الْقَصْفِ (٥) مِنِّي نُخَيِّمِي
بِغَيْرِ يَدِي وَارْضَيْ بِمَا قَالَهُ فَمِي

(١) النقل : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما .
(٢) شهر كانون من قلب شهور الشتاء ، وقد سبق ذكره
(٣) تخيل لرائيها يظن أنها شيء
(٤) وفى اليتيمة : « الكرام »
(٥) قصف قصفا : القوم أقاموا فى الأكل والشرب واللهو . قال صاحب اليتيمة :
أراد أنه جلس مع الشرب من غير شرب

وَكَتَبَ إِلَى أَبِي الفَضْلِ بْنِ شُعَيْبٍ :

يَا أَبَا الفَضْلِ لِمْ تَأَخَّرْتَ عَنَّا
فَأَسَأْنَا بِحُسْنِ عَهْدِكَ ظَنَّا ؟
كَمْ تَمَنَّتْ نَفْسِي صَدِيقاً صَدُوقاً
فَإِذَا أَنْتَ ذَلِكَ الْمُتَمَنَّى
فَبِغُصْنِ الشَّبَابِ لَمَّا تَثَنَّى
وَبِعَهْدِ الصِّبَا وَإِنْ بَانَ مِنَّا
كُنْ جَوَابِي إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي
لَا تَقُلْ لِلرَّسُولِ كَانَ وَكُنَّا

وَلَهُ أَيْضاً :

يَا بْنَ يَعْقُوبَ يَا نَقِيبَ الْبُدُورِ
كُنْ شَفِيعِي إِلَى فَتًى مَسْرُورِ
قُلْ لَهُ إِنَّ الْجَمَالَ زَكَاةٌ
فَتَصَدَّقْ بِهَا عَلَى الْمَهْجُورِ

وَلَهُ يَمْدَحُ عَضُدَ الدَّوْلَةِ :

سُعُودٌ يَحَارُ الْمُشْتَرِى فِى طَرِيقِهَا
وَلَا تَتَأَتَّى فِى حِسَابِ الْمُنَجِّمِ

وَكَمْ عَالِمٍ أَحْيَيْتَ مِنْ بَعْدِ عَالِمٍ
عَلَى حِينَ صَارُوا كَالْهَشِيمِ (١) الْمُحَطَّمِ

فَوَاللهِ لَوْلَا اللهُ قَالَ لَكَ الْوَرَى
مَقَالَ النَّصَارَى فِى الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمِ

مَحَامِدُ لَوْ فُضَّتْ فَفَاضَتْ (٢) عَلَى الْوَرَى
لَمَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ وَجْهَ مُذَمَّمِ

وَكَلَّا وَلَكِنْ لَوْ حُظُوا بِزَكَاتِهَا
لَمَا سَمِعَتْ أُذْنَاكَ ذِكْرَ مُلَوَّمِ

وَلَوْ قُلْتُ إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقِ الْوَرَى
لِغَيْرِكَ لَمْ أَحْرَجْ وَلَمْ أَتَأَثَّمِ

---

(١) الهشيم : الشجر اليابس المتكسر ، ومنه قوله تعالى : « فكانوا كهشيم المحتظر »

(٢) فى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « لفاضت »

وَلَهُ يَهْجُو :

سِبْطُ مَتْوِيٍّ (١) رَقِيعٌ سَفِلَهْ
أَبَدًا يَبْذُلُ فِينَا أَسْفَلَهْ

إِعْتَزَلْنَا نَيْكَهُ فِي دُبُرِهِ
فَلِهَذَا تَلْعَنُ الْمُعْتَزِلَهْ

وَلَهُ فِي رَجُلٍ كَثِيرِ الشُّرْبِ بَطِيءِ السُّكْرِ :

يُقَالُ :

لِمَاذَا لَيْسَ يَسْكَرُ بَعْدَ مَا
تَوَالَتْ عَلَيْهِ مِنْ نَدَامَاهُ قَرْقَفُ (٢) ؟

فَقُلْتُ :

سَبِيلُ الْخَمْرِ أَنْ تَنْقُصَ الْحِجَى
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا فَمَاذَا تَحِيفُ

(١) وفى اليتيمة ص ١٠١ « إسمه متويه »

(٢) القرقف : الخمر .

وَلَهُ أَيْضاً :

شَرْطُ الشُّرُوطِيِّ فَتًى أَيِّرٌ ... وَمَا سِوَاهُ غَيْرُ مَشْرُوطِ
أَبْغَى مِنَ الإِبْرَةِ لٰكِنَّهُ ... يُوهِمُ قَوْماً أَنَّهُ لُوطِي

وَلَهُ أَيْضاً :

تَصُدُّ أُمَيْمَةُ لَمَّا رَأَتْ
مَشِيباً عَلَى عَارِضِي قَدْ فَرَشْ
فَقُلْتُ لَهَا : الشَّيْبُ نَقْشُ الشَّبَابِ
فَقَالَتْ : أَلَا لَيْتَهُ مَا نَقَشْ

وَلَهُ أَيْضاً :

وَلَمَّا تَنَاءَتْ بِالْأَحِبَّةِ دَارُهُمْ
وَصِرْنَا جَمِيعاً مِنْ عِيَانٍ إِلَى وَهْمِ
تَمَكَّنَ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ مُسَامِحٍ
كَمُعْتَرِلِيٍّ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ خَصْمِ

انتهى الجزء السادس

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء السابع ﴾

(وأوله ترجمة)

﴿ إسماعيل بن عبد الله ، بن محمد ، بن ميكال ﴾

الدكتور أحمد فريد رفاعى

فهرس

الجزء السادس

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومى

فهرس الجزء السادس